

مكتبة IOII

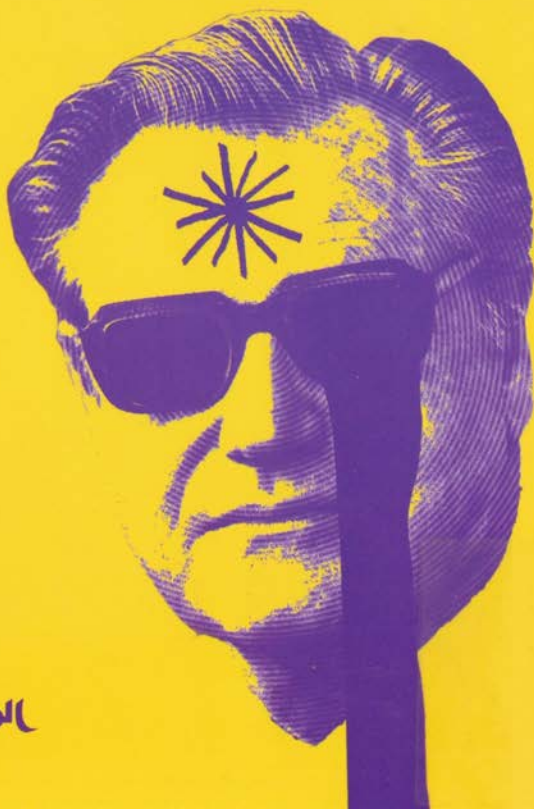
كورت فونيخت

إفطار الأبطال

ترجمة: محمد أ. جمال

أدب أمريكي معاصر

رواية



المكرهسة

مكتبة | سُرْمَن قَرَأ
t.me/t_pdf

إفطار الأبطال

عنوان الكتاب: إفطار الأبطال Breakfast of Champions

كورت فوننيجت Kurt Vonnegut

ترجمة: محمد أ. جمال

مراجعة لغوية: محمود شرف

18 10 2022

مركز
المحرسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة

ت، ف:- 002 02 28432157



mahrousaeg



almahrosacenter



almahrosacenter



www.mahrousaeg.com



info@mahrousaeg.com



mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران

مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٠٢١ / ١٨٢٩

الترقيم الدولي: 2-833-313-977-978

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية

محافظة لمرکز المحروسة

2021

Breakfast of Champions
Copyright © 1973, Kurt Vonnegut
Copyright renewed C 2002, Kurt Vonnegut Jr.
All rights reserved



كورت فونيغت

ترجمة

محمد أ. جمال

مكتبة | سُر مَنْ قَرَأْ

t.me/t_pdf

الطبعة الأولى 2021

مكتبة | سُرْ مَنْ قَرَأَ
t.me/t_pdf



إدارة المكتبة والوثائق والبحوث
مكتبة

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

فونيجت، كورت، 1922-2007

إفطار الأبطال: رواية/ كورت فونيجت؛ ترجمة: محمد أ. جمال.- ط1
القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2021

313 ص؛ 21.5×14.5 سم

تدمك 2-833-313-977-978

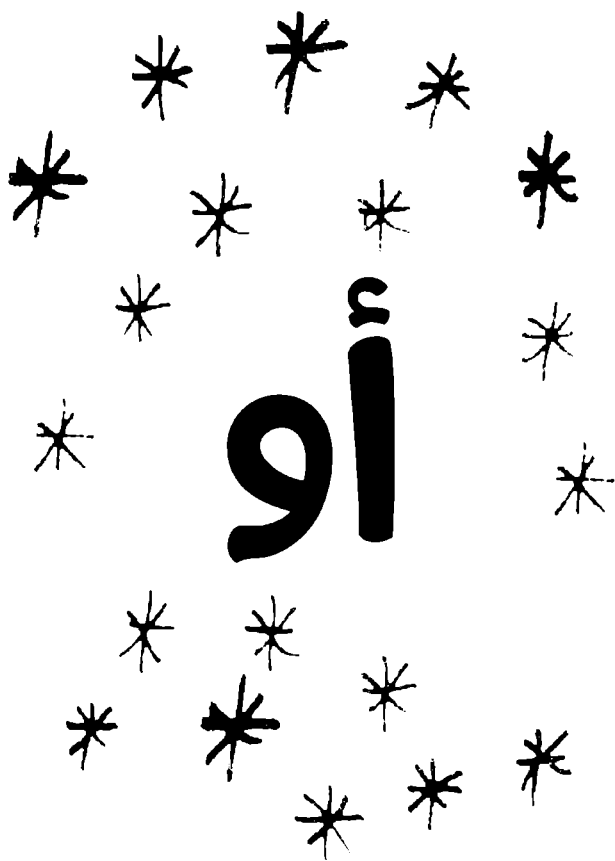
1 - القصص الأمريكية

أ-جمال، محمد أ. (مترجم)

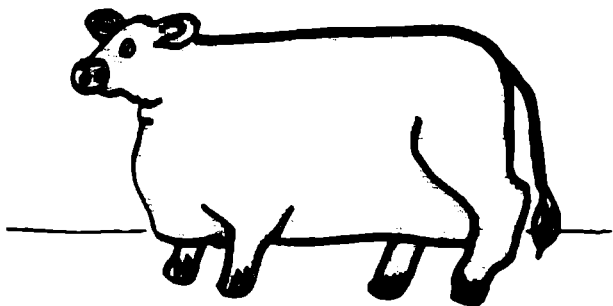
ب- العنوان

823

رقم الإيداع 2021/1829



وداعا
أيها الاثنين الأزرق



في ذِكرى فيبي هورتي
التي طمأنتني في إنديانا بوليس
خلال الكساد الكبير

لِأَنَّهُ يَعْرِفُ طَرِيقِي. إِذَا جَرَّبَنِي أَخْرُجْ كَالذَّهَبِ

سفر أيوب - 23:10

مكتبة

t.me/t_pdf

مَقْدَمَة

تعبير "إفطار الأبطال Breakfast of Champions" هو علامة تجارية مُسجَّلة لشركة جنرال ميلز، تستخدمه لمنتج حبوب إفطار. استخدام تعبير مُطابقٍ كعنوانٍ لهذا الكتاب لا يُقصد به أيُّ ارتباطٍ أو رعاية من شركة جنرال ميلز، ولا يُقصدُ به أيضًا الاستهانة بمنتجاتهم الممتازة.

الإنسانة المُهدَى إليها هذا الكتاب: فيبي هورتي، لم تُعد بين الأحياء مثلما يقولون. كانت أرملةً إنديانابوليسية عندما قابلتها في أواخر الكساد الكبير. كنت في السادسة عشرة تقريبًا، وهي في حوالي الأربعين.

كانت ثريَّة، لكنها خرَّجت لتعمل كلَّ يومٍ ليس عُطلةً في حياتها الناضجة. وكتبت بحصافةٍ ولطافةٍ عمودَ نصيحةٍ لكلِّ عاشقٍ ولهانٍ في إنديانابوليس تايمز. كانت صحيفةً جيِّدةً، لكنها لم تُعد موجودةً الآن.

لم تُعد موجودة.

كَبَّتْ فيبي إعلانَاتٍ لصالِحِ ويليَامِ إتش. بلوك، وهو مَتَجَرٌّ شَامِلٌ لا يزال مُزْدَهَرًا في مَبْنَى صَمَمِه أَبِي. كَبَّتْ هَذَا الإِعْلَانِ عَن تَخْفِيضِ فِي نِهَائِيَةِ الصَيْفِ عَلَى القُبُوعَاتِ القَشِيَّةِ: "مُقَابِلَ سَعْرِ كَهَذَا، بوسِعِكَ تَقْدِيمَهَا لِحِصَانِكَ طَعَامًا، وَمِنهُ إِلَى زَهْوَرِكَ سِمَادًا".

* * *

شَغَلْتَنِي فيبي هورتي فِي كِتَابَةِ إعلَانَاتِ عَن مَلَابِسِ المِرَاهِقِينَ. اضْطُرِرْتُ لِارْتِدَاءِ المَلَابِسِ الَّتِي أَمَدَحُهَا، ذَاكَ كَانَ جِزْءًا مِّنِ الوُضُوفَةِ. وَصِرْتُ صَدِيقًا لِابْنَيْهَا، اللَّذَيْنِ كَانَا فِي مِثْلِ عَمْرِي. كُنْتُ فِي بَيْتِهِمْ طَوَالَ الوَقْتِ.

تَحَدَّثْتُ مَعِي وَمَعَ أَبْنَائِهَا بِجَرَأَةٍ، وَكَذَلِكَ مَعَ فِتْيَانِنَا عِنْدَمَا كُنَّا نُحْضِرُهُمْ مَعْنَا. كَانَتْ ظَرِيفَةً، كَانَتْ مُحَرَّرَةً.

عَلِمْتُنَا أَنَّ نَكُونَ قَلِيلِي الأَدبِ فِي الحَدِيثِ، لَيْسَ فَقَطْ عَنِ الأُمُورِ الجِنْسِيَّةِ، لَكِنِ أَيْضًا عَنِ التَّارِيخِ الأَمْرِيكِيِّ وَالأَبْطَالِ المَشَاهِيرِ وَتَوَازِيْعِ الثَّرَوَاتِ وَالمُدْرَسَةِ، عَن كُلِّ شَيْءٍ.

أَكُلُّ عَيْشِي الآنَ بِكُونِي قَلِيلِ الأَدبِ. أَنَا لَسْتُ مَاهِرًا فِي ذَلِكَ، أَحَاوِلُ طَوَالَ الوَقْتِ مُحَاكَاةَ قِلَّةِ أَدبِ فيبي هورتي الَّتِي كَانَتْ فِي غَايَةِ السَّلَاسَةِ. أَعْتَقِدُ الآنَ أَنَّ تِلْكَ السَّلَاسَةَ كَانَتْ أَسْهَلَ عَلَيْهَا مِنِّي بِسَبَبِ مِزَاجِ الكِسَادِ الكَبِيرِ. كَانَتْ مُقْتَنَعَةً مِثْلَ كَثِيرٍ مِّنِ الأَمْرِيكِيِّينَ وَقَتَهَا أَنَّ الشَّعْبَ سَيَصِيرُ سَعِيدًا وَعَادِلًا وَعَاقِلًا عِنْدَمَا يَأْتِي الأَزْدَهَارُ.

لَمْ أَعُدْ أَسْمَعُ هَذِهِ الكَلِمَةَ: الأَزْدَهَارُ. كَانَتْ ذَاتَ يَوْمٍ مَرَادِفًا لِلجَنَّةِ. وَفِيبي هورتي كَانَتْ قَادِرَةً عَلَى الإِعْتِقَادِ أَنَّ قِلَّةَ الأَدبِ الَّتِي نَصَحْتُ بِهَا سَتُعْطِي مَلَامِحَ لِلجَنَّةِ الأَمْرِيكِيَّةِ.

الآنَ صَارَتْ قِلَّةٌ أَدْبِهَا مَوْضِعٌ. لَكِنِ لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ مَنْ يُؤْمِنُ بِجَنَّةِ أَمْرِيكِيَّةٍ جَدِيدَةٍ. أَنَا أَتَقَدُّ فِيبي هورتي فَعَلًا.

* * *

أما بالنسبة للهاجس الذي أُعبر عنه في هذا الكتاب، أن البشر في الواقع روبوتات، آلات: جديرٌ بالذكر أن الناس، خاصَّةً الرجال، الذين يعانون من مراحلٍ متأخِّرةٍ من الزُّهري ومن الاختلاج الحركي، كانوا مَشَاهِدَ لافِتةٍ للنظر في وسط مدينة إنديانابوليس وأمام حشود السيرك عندما كُنْتُ طفلاً.

هؤلاء كانوا أناساً مُصابين بريمة صغيرة مُفترسة لا يمكن رؤيتها إلا تحت الميكروسكوب. فقرات الضحايا كانت ملحومةً ببعضها بعدما أكلت البريمة اللحمَ بينها. بدا مرضى الزُّهري بظهورهم المُنتصبَة وعيونهم التي تنظر إلى الأمام مباشرةً، في غاية الكبرياء.

رأيتُ أحدهم ذات مرَّةٍ يقف على الرصيف في رُكنِ شارعِي ميريديان وواشنطن، تحت ساعةٍ مُعلَّقة كان أبي قد صمَّمها. كان التَّقاطع يُعرَف محلياً باسم "مُفترَق طُرُق أمريكا".

كان مريض الزهري مُستغرفاً في التفكير، عند مُفترَق طُرُق أمريكا، في كيف يجعل قدميه تنزلان عن الرصيف وتحملانه عبر شارع واشنطن. ارتجف برفق، وكأنَّ هناك مُحركاً صغيراً يدور بتكاسلٍ داخله. تلك كانت مُشكِلتَه: خلايا مُخِّه، حيث التعليمات المُوجَّهة لقدميه تنشأ، كانت البريمات تأكلها حيَّة. الأسلاك التي تحمل التعليمات لم تُعد مَعزولةً، أو أكلتها البريمة أيضاً. والوصلات على طول الطريق باتت ثابتةً إمَّا على وضع التوصيل أو وضع القطع.

بدا ذلك الرجل مثل شيخ في أرذل العمر، رغم أنه ربما كان في الثلاثين من عمره فقط. فكَّر وفكَّر مُطوَّلاً، ثم ركل مرَّتَيْن مثل فتاةٍ في جَوْقة.

بدا لي بلا شكِّ مثل آلهٍ عندما كُنْتُ طفلاً.

أميل أيضًا للتفكير في الناس كأنهم أنابيب اختبار مطاطية ضخمة، تفور بداخلهم التفاعلات الكيميائية. عندما كنت طفلًا، رأيت كثيرًا من الناس مُصابين بتضخم الغُدَّة الدرقيَّة، وكذا فعل دواين هوفر، تاجر سيَّارات البونتياك الذي هو بطلُ ذلك الكتاب. تلك الكائنات الأرضية التعيسة كانت غُدُّهم الدرقيَّة متورِّمة حتى بدوا وكأنَّ لديهم قرعًا عسليًّا ينمو من حُلوقهم.

اتَّضح أنَّ كلَّ ما كان عليهم فعله ليحظوا بحياة طبيعية، كان تناول أقلَّ من واحدٍ على مليون أوقيَّة من اليود كلَّ يوم.

دمَّرت أُمِّي مُخَّها بالكيماويات التي كان يُفترَض أن تجعلها تنام.

عندما أكتب؛ أتناول حَبَّة صغيرة؛ فأبتهج مُجدِّدًا.

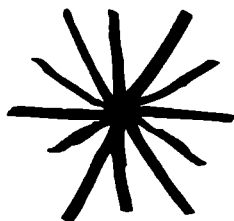
وما إلى ذلك.

هكذا صار من المُعْري لي -عندما أخلق شخصيَّةً لرواية- قول إنه في الحال الذي هو عليه بسبب توصيل أسلاكٍ خاطئ، أو بسبب كمِّ ميكروسكوبيٍّ من الكيماويات تناوَلها أو نسي تناوَلها في ذلك اليوم بعينه.

ماذا أشعر بالضبط حيال ذلك الكتاب بالذات؟ أشعر تجاهه بالسوء، لكنني لطالما شعرتُ بالسُّوء حيال كُتُبي. وصف صديقي نوكس برجر ذات مرة رواية مُملَّة بأنها: "... تُقرأ وكأنَّ كاتبها فيلبويد ستدج". عندما أكتب ما يبدو أني مُبرَمَج أن أكتب، أشعر وأنني فيلبويد ستدج.

هذا الكتاب هو هديتي لنفسي في عيد ميلادي الخمسين. أشعر
وكأنني أعبر خَطَّ مُنْتَصَفِ سطح منزلٍ، بعدما تسلَّقتُ أحدَ جانبيَّه
المنحدَرَيْن.

أنا مُبرمج على التَّصَرُّفِ بطفوليَّةٍ عندما أصبح في الخمسين، على
إهانة "العَلَمِ ذي النُّجوم المِثْلَائِة"، على شخِبة العَلَمِ النَّازِيِّ وفتحة
الشَّرْحِ وأشياء أخرى عديدة بقلم لِبَّاد. لأعطيكم فكرةً عن مدى
نُضج رسوماتي في ذلك الكتاب، إليك رَسْمَتِي لَفَتْحَةِ شَّرْحِ:



أعتقدُ أنني أحاول تنظيف رأسي من كلِّ ما فيه من قمامة، فتحات
الشَّرْحِ والأعلام والسراويل الداخلية. نعم، هناك صورة في ذلك الكتاب
لسروالٍ داخليٍّ. وألقي هنا أيضًا بشخصيَّاتٍ من كُتُبي الأخرى. لن
أقيم أيَّ عروضٍ مَسْرَحِ عرائِسَ أخرى.

أعتقدُ أنني أحاول تفريغَ عَقلي إلى الخَواء الذي كان عليه عندما
وُلِدْتُ في ذلك الكوكب التَّالِفِ قبل خمسين عامًا.

أظنُّ ذلك شيئًا على أغلب الأمريكيَّان البيض -والأمريكان غير
البيض، الذين يحاكون البيض- فعُله. الأشياء التي وضعها الآخرون في
رأسي، بأيِّ شَكْلِ، لا تُلائِمُ بعضها كما يجب، وفي الغالب قبيحة عَدِمة
النَّفْعِ، وغير مُتَسِقَةٍ مع بعضها بعض، وغير متناسبة مع الحياة في
الواقع خارج دماغِي.

ليس في مُخَي ثقافة، ولا تَناعُمٌ إنسانيٌّ. لا أستطيع العيشَ دون ثقافة بعد الآن.

إذن ذلك الكِتَابُ هو رصيفٌ مُترَعٌ بالخُرْدَةِ، بقمامةٍ ألقِيها من فوق كتفي فيما أسافر عائداً بالزَمَنِ إلى الحادي عشر من نوفمبر، ألف وتسعمائة واثنين وعشرين.

سأصلُ إلى وقتٍ في رحلتي العكسية كان الحادي عشر من نوفمبر فيه، والذي صادفَ أَنَّهُ يومٌ مَوْلِدي، يوماً مُقدَّساً يُدعى بيوم الهدنة. عندما كنتُ طفلاً، وكان دواين هوفر طفلاً، كان كُلُّ النَّاسِ في كُلِّ البلاد الذين حاربوا في الحرب العالمية الأولى يصمتون في الدقيقة الحادية عشرة من الساعة الحادية عشرة من يوم الهدنة، والذي كان اليوم الحادي عشر من الشهر الحادي عشر.

وكان في خلال تلك الدقيقة من عام ألف وتسعمائة وثمانية عشرة، أَنُ تَوَقَّفَ ملايينٌ وملايين البَشَرِ عن ذبح بعضهم. تحدَّثتُ مع بعض الشيوخ الذين كانوا في أرض المعركة خلال تلك الدقيقة. قالوا لي بشكل أو بآخر أَنَّ الصَّمْتَ المُفاجِئَ كان صوتَ الرَّبِّ. هكذا لا يزال بيننا بعض الرجال الذين بوسعهم تَدَكُّرُ متى تحدَّثَ الرَّبُّ بوضوحٍ للبشر.

يومُ الهدنةِ صارَ يَوْمَ المُحارِبِينَ القُدَامَى.

يومُ الهدنةِ كان مُقدَّساً.

يوم المُحارِبِينَ القُدَامَى ليس كذلك.

إذن سألقي بيوم المحاربين القدامى من فوق كتفي، أمّا يوم الهدنة فسأحتفظ به. لا أريد الإلقاء بالأشياء المقدّسة.

ما المقدّس غير ذلك؟ روميو وچولييت مثلًا.

والموسيقى كلها أيضًا.

فيلبويد ستدج

مكتبة

t.me/t_pdf

1

هذه حكاية لقاء عَجوزَيْن وحيدَيْن نحيفَيْن بيضِ البَشرة، على كوكبٍ يحتضر بسرعة.

أحدهما كان كَاتِبَ خَيَالٍ عِلْمِيٍّ يُدعى كيلجور تراوت، وكان آنذاك نِكْرَةً، يحسب حياته قد انتهت. لكنه كان مُخْطِئًا. فنتيجة لذلك اللقاء؛ صار من أكثر الشخصيات المحبوبة والمُبْجَلَة في تاريخ البشر. والرجل الذي قابله كان تاجرَ سَيَّارات بونتياك يُدعى دواين هوفر، دواين هوفر كان على حافة الجنون.

* * *

اسْمَعُ:

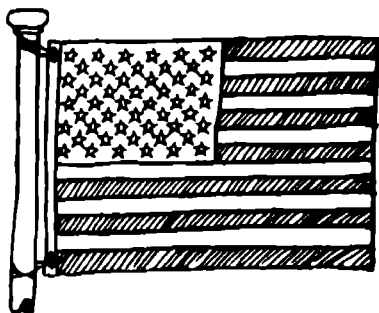
كان كُُلُّ من تراوت وهوفر من مُوَاطِنِي الولايات المتحدة الأمريكية، وهو بَلَدٌ يُدعى أمريكا على سبيل الاختصار. وذلك كان نشيدهم

الوطني -وهو مجرد كلامٍ فارغٍ- مثله مثل كثير من الأشياء التي كان عليهم أخذها بجديّة:

"قُلْ، هل بوسعك أن ترى مع شعاع الفجر الأوّل
ما نفخر به بشدّة مع آخر بريق الشفق
ذا الشرائط الواسعة، والنجوم الساطعة
الذي شاهدناه يُرفرف ببسالة
خلال المعركة المحفوفة بالمخاطر وفوق الأسوار؟
دَلْ وَهَجُ الصّواريخ الأحمر ليلاً، وانفجار القنابل في الهواء
أَنْ عَلَمَنَا لا يزال موجوداً
قُلْ، أَلَا تزال هذه الرّاية الموشّحة بالنجوم تُرفرف
على أرض الأحرار وموطين الشجعان؟".

كان في الكون دشليون بلد، لكن البلد الذي جاء منه دواين هو قمر
وكيلجور كان الوحيد الذي يتكوّن نشيدُه الوطني من ترّهات مُرصّعة
بعلامات الاستفهام.

هذا ما يبدو عليه علم بلدهم:



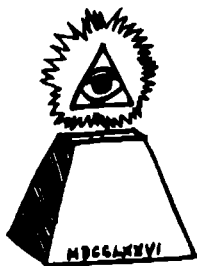
وكان في بلدهم قانونٌ عن العَلَمِ ليس له نَظيرٌ في أيِّ بَلَدٍ آخر على هذا الكوكب، يقول "لا يُنكس العَلَمُ أبداً لأيِّ شخصٍ أو شيء".

تَنكيسُ العَلَمِ هو نوعٌ من التَّحِيَّةِ الوَدِيَّةِ التي تَدُلُّ على الاحترام، وفيها يُدَلَّى العَلَمُ على عصا إلى أن يقترب من الأرض، ثم يُرْفَعُ مَرَّةً أُخْرَى.

شعار بلد دواين هوفر وكيلجور تراوت، الذي يعني "واحد من كثيرين" بِلُغَةٍ لا يتحدثها أحدٌ الآن، كان كالتالي "E pluribus unum".

رَبِّمَا كان العَلَمُ الذي لا يُنكس ليكون شيئاً جميلاً، وربِّمَا كان النَشِيدُ الوَطَنِيُّ والشُّعارُ الأَجَوْفُ ليصيرا محلَّ اهتمامٍ لهذه الدرجة، لولا التالي: كان كثيرٌ من المواطنين مُهَمَّشين ومخدوعين ومُهانين، لدرجة أنهم ظنُّوا أنهم رُبِّمَا في بَلَدٍ آخر أو حتى على كوكبٍ آخر، وأن هناك خطأ شنيعاً قد حدث بشكلٍ ما. لو كان النشيد والشعار قد ذكَّرا شيئاً عن العدل أو الأخوة أو الأمل أو السعادة، ربِّمَا كانوا لِيَطْمَئِنُّوا قليلاً، وربِّمَا كان ذلك البلد لِيُرْحَبَ بهم في مجتمعه ومنشأته.

إن بحثوا في أوراق نقودهم عن دلالات تقودهم لفهم ما يعني به بلدهم حقاً، لوجدوا -بين كثير من الزبالة الباروكية- صورةً لِهَرَمٍ مَبْتورٍ، تعلوه عَيْنٌ مُشَعَّةٌ، مثل هذا:



ولا حتَّى رئيس الولايات المتحدة ذاته يعرف المغزى خلف كل هذا. وكان هذا البلد يقول لمواطنيه "بالهراءِ نستقوي" بدلاً من "بالله نثِقُ".

* * *

كثيرٌ من هذا الهراءِ جاء نتيجةً لمُزاح الآباء المؤسِّسين لبلد دواین هوڤر وكيلجور تراوت؛ فقد كانوا أرسطوقراطيِّين يرغبون في التَّباهي بتعليمهم عديم النفع، والذي كان عبارةً عن دراسةٍ كثيرٍ من الهوكس بوكس القادم من أزمِنَةِ سَحيقَةٍ. وكانوا أيضًا شعراءً مُقرِّفين.

لكن بعض من هذا الهراءِ كان شريراً؛ لأنه أخفى في طَيَّاتِهِ جرائمَ شَنِيعَةً. مثلاً: كتب مُدرِّسو الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية على ألواح الكتابة مرارًا وتكرارًا هذا التَّاريخ، وطلبوا من الأطفال أن يحفظوه بسعادةٍ وفخْرٍ:

1492

أخبر المُعلِّمون الأطفال أن ذلك كان وقتَ اكتشافِ البَشَرِ لِقارَّتِهِم. في الواقع كان على القارة عام 1492 ملايينُ البَشَرِ يعيشون بالفعل حياةً كاملةً خلاقَةً. تلك كانت ببساطة السَّنَةِ التي بدأ فيها قراصِنَةُ البحر في سرقة هؤلاء الناس وغِشُّهم وقتلِهِم.

إليكِ جُزءٌ آخر من الهراءِ الشَّرير الذي يتعلَّمه الأطفال: في النهاية، أنشأ قراصِنَةُ البحر حُكومتَهُ، ستصبح تلك الحكومة مَنارةً حُرِّيَّةً للبَشَرِ

في باقي أرجاء العالم. كان هناك صُورٌ وتماثيلٌ لهذه المنارة المتخيلة كي يراها الأطفال، تبدو وكأنها قُمعُ آيس كريم يحترق، مثل هذا:



في الواقع، أكثرُ قراصنةِ البحرِ انخراطًا في إنشاءِ الحكومة الجديدة، كانوا يمتلكون عبيدًا. استخدموا كائناتٍ بشريَّةً وكأنَّهم آلاتٌ. وحتى بعد إلغاء عبوديَّةِ البَشَرِ، لأنها كانت أمرًا مُحَرِّجًا، استمرَّ أولئك وسُلالَتُهُم في اعتبار البشر العاديين آلاتٍ.

* * *

كان قراصنةُ البحرِ بيضًا. ومَن عاشوا على القارة من الناس قبل قدوم القراصنة كانوا بِلَوْنِ النُّحاس. وعندما عرَّفت القارةُ العبوديَّةَ، كان العبيد سودًا. كان اللَوْنُ كُلُّ شيءٍ.

* * *

هذه هي الطريقة التي استطاع عبرها القراصنة أخذ ما يرغبون به من الجميع: كان لديهم أفضل القوارب في العالم، وكانوا أكثر شراسة من الجميع، وكان معهم بارود، الذي كان مزيجاً من البوتاسيوم والنترات والفحم والكبريت. عندما كانوا يلمسون هذا المسحوق الذي يبدو آمناً بالنار؛ يتحوّل إلى غازٍ بعنفٍ. يُلقى ذلك الغاز بمقدوفاتٍ من الأنابيب المعدنية بسرعاتٍ مُرعبة، تخرق المكدوفات اللحم والعظم بسهولة. وهكذا استطاع القراصنة تحطيم أسلاك ومواسير ومفصلات أيّ إنسان "معصّلج" يقف في طريقهم، حتى ولو كان يقف بعيداً، بعيداً للغاية.

لكن سلاح القراصنة الأهم، كان قدرتهم الفائقة على الإبهار. لم يكن هناك من يصدّق إلى أيّ مدى يُمكن أن يصل جشعهم وقسوة قلوبهم، إلا بعد فوات الأوان.

* * *

في الوقت الذي التقى فيه دواين هوفر وكيلجور تراوت، كان بلدهم هو الأغنى على الكوكب بلا منازع؛ إذ امتلك الكم الأكبر من الطعام والمعادن والآلات، وكان يؤدّب البلاد الأخرى عن طريق تهديدهم بضرهم بالصواريخ الكبيرة وإلقاء أشياء من الطائرات عليهم.

أما بقية بلاد العالم، فلم يمتلك أغلبهم حتى الهواء، والكثير منهم لم يعد صالحاً حتى للمعيشة. كان فيهم من الناس أكثر ممّا يسع المكان، وباعوا كل ما كان بوسعهم بيعه، ولم يعد لديهم ما يأكلونه. برغم ذلك لا يزال الناس يتضاجعون طوال الوقت.

المُضاجعة: هي طريقة صنع الأطفال.

* * *

كان كثيرٌ من الناس على هذا الكوكب البالي شيوعيين. وكانت لديهم نظرية تقول أن يَجِبَ مُشَارَكَةُ ما تبقي من الكوكب بالتساوي بين كُلِّ الناس، الذين لم يطلبوا القُدومَ لهذا الكوكب المُهتَرِي في المقام الأول. وفي الآن ذاته، يأتي العالمَ طوالَ الوقتِ مزيدٌ من الأطفال، يركلون ويصرخون، ويطلبون اللبن.

في بعض الأنحاء، يحاول بعض الناس أكلَ الوَحْلِ وَمَصَّ الحَصَى، في الوقت الذي يُولَدُ فيه مزيدٌ من الأطفال على بُعدِ أقدامٍ منهم. وما إلى ذلك.

* * *

بلد دواين هوفر وكيلجور تراوت، حيث كان لا يزال هناك وَفَرَةٌ مِنْ كُلِّ شيء، كان يعارض الشيوعية. لم يكن يُؤْمِنُ أَنَّ على الكائنات الأرضية -الذين يمتلكون الكثير- مُشَارَكَةُ مُمْتَلِكَاتِهِمْ مع الآخرين، إلا برغبتهم الحُرَّة. وأغلبهم لم يرغبوا. بالتالي لم يُضطَرُّوا أن يفعلوا.

* * *

كان على الجميع في أمريكا أن يضعوا أيديهم على كل ما بوسعهم والتمسُّك به. بعض الأمريكيان كانوا ماهرين في وَضْعِ اليَدِ على الأشياء والتمسُّك بها، أولئك أصبحوا فاحِشِي الثراء. أمَّا الآخرون، فلم يستطيعوا وَضَعَ أيديهم حتى على الهواء.

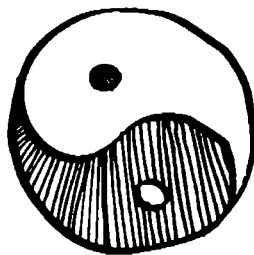
كان دواين هوفر عندما التقى كيلجور تراوت فاحِشِ الثراء. بهذه الكلمات بعينها هَمَسَ رَجُلٌ في أذن صديقه ذات صباح عندما مَرَّ أمامهم دواين هوفر: "يا له من فاحِشِ الثراء".

هذا مقدار ما امتلكه كيلجور تراوت من الكوكب في هذه الأيام:
ولا الهواء.

والتقى كيلجور تراوت ودواين هوغر في مدينة ميدلاند، مسقط
رأس دواين، وكان ذلك خلال مهرجانِ الفنون في خريف 1972.
كما قيل من قبل: دواين كان تاجرَ سيّارات بونتياك على حافة
الجنون.

سبب جنون دواين المُستجَدِّ كان في الأساس مَسْأَلَةَ كيمياء. صنع
جَسَدُهُ نوعًا من المواد الكيماوية أَفْقَدَت عقلَه اتزانَه. لكن دواين
-مثل كلِّ المخابيل الجُدُد- كان بحاجة لبعض الأفكار السيئة التي
تجعل لجنونه شكل واتجاه.

مُثِّل الأفكار السيئة والكيماء السيئة يَنُّ الجنون ويأنجَه. اليُنُّ
واليانجُ هُما زَمَرًا التَّنَاغُم عند الصينيين، هذا ما يدوان عليه:



أفكار دواين السيئة جاءت من كيلجور تراوت.

لم يَعتَبرِ تراوت نفسه غير مؤذٍ فَقَط، وإنما خَفِيًّا أيضًا. لم يُلَقِ
العالمُ له بالأحلى حَسِبَ نفسه مَيِّتًا.
تمنّى لو كان مَيِّتًا.

لكنَّ لِقَاءَهُ بدواين، جعله يدرك أنه كان حيًّا بما يكفي ليوحى إلى إنسانٍ آخر بأفكارٍ سَتَحَوَّلُهُ إلى وحش.

هذه هي الفكرة المِحَوْرِيَّة لِكُلِّ الأفكار السيئة التي منحها كيلجور لدواين: كل أهل الأرض روبوتات، باستثناء واحد: دواين هو فر.

من بين كل كائنات الكون، دواين وحده هو مَنْ يستطيع أن يُفَكِّر ويشعر وَيَقْلَق وَيُخَطِّط، وما إلى ذلك. لا أحد سواه يعرف معنى الأمل، لا يملك سواه الاختيار واتخاذ القرار، الجميع عَدَاهُ آلاَتٌ مُؤَمَّمَتَةٌ، وظيفتهم الوحيدة هي تحفيزُ دواين. دواين هو نوعٌ جديد من الكائنات يَخْتَبِرُهُ خَالِقُ الْكَوْنِ.

لم يكن هناك مَنْ يملك إرادةً حُرَّةً عَدَا دواين هو فر.

* * *

لم يتوقَّع تراوت أن هناك مَنْ سَيُصَدِّقُهُ. وَصَعَ أفكاره السيئة في رواية خيالٍ علميٍّ، وفيها وجدهم دواين. لم تُخاطبِ الرَّوَايَةُ دواين وحده، تراوت لم يعرف دواين حين كتبها. بل كانت تُخاطبُ أَيًّا مَنْ صادف وفتح صفحاتها. كانت تقول للجميع ببساطة: "مرحبًا، إليك مفاجأة: أنت الكائن الوحيد ذو إرادة حرة، ما رأيك في هذا؟"، وما إلى ذلك.

كانت mind game، كانت استعراضُ عَضَلَاتٍ.

لكنَّها بالنسبة لدواين كانت سموًّا عقليَّةً.

* * *

اهتزَّ كيَانُ تراوت عندما أدرك أنَّه حتى هو تَسَبَّبَ في جَلْبِ مَزِيدٍ من الشَّرِّ على العالم بأفكاره السيئة. وبعدها وضعوا على دواين قميصَ المجانين وأودعوه المستشفى، صار تراوت مهووسًا بدورِ الأفكار المُهْمِّ في الإصابة بالأمراض وعلاجها.

لكنَّ أحدًا لم يسمعه؛ وصار عجزًا مُحْتَقِرًا في البريَّة، ينادي بين الأجمَّة والأحراش: "إن وجود الأفكار، أو عدم وجودها، يمكن أن يصيب بالعلل".

أصبح تراوت رائدًا في مجال الصِّحة العقلية، وطوَّر نظريَّاته المُتَنَكِّرة في هيئة خيالٍ علمي. مات عام 1981، بعد قرابة عشرين عامًا من إصابته لدواين بالمرض.

أمسى حينها معروفًا كفنَّانٍ وعالمٍ عظيم. فوق رَمادِهِ، أقامت له الأكاديميَّة الأمريكيَّة للفنِّ والعلوم نُصبًا تذكاريًّا فوق رماده. نُقِشَ عليه اقتباسٌ من روايته الأخيرة، الرواية رقم مائتين وتسعة، تلك التي لم تكتمل عند موته. هكذا كان يبدو النُّصبُ التذكاريُّ:



2 مكتبة

t.me/t_pdf

كان دواين أرملاً. يقضي ليلائه وحيداً في منزل أحلامٍ على مُرتفعات فيرتشايلد، أكثر الأحياء السكنية المرغوبة في المدينة. بناءً منزلٍ هناك يُكلّف ما لا يقلُّ عن مائة ألف دولار، ويقع كل منزل على ما لا يقل عن أربعة فدادين.

رفيق ليالي دواين الوحيد، كان كلب لابرادور ريتريفر، اسمه سباركي. لم يستطع سباركي هَزَّ ذَيْلِه بسبب حادثة سيارة منذ بضع سنوات؛ لذا لم يَكُن لديه طريقة لإخبار الكلاب الأخرى كم هو ودود. هكذا كان مضطراً للشُّجار طوال الوقت. صارت أذناه كالخِرْق البالية، وغطّت جسده الندوب.

* * *

كانت عند دواين خادمة سوداء تُدعى لوتي دايفرز. كانت تُنظف له بيته كل يوم، ثم تطبخ له عشاءه وتقدمه له. ثم تعود لبيتها. كان أسلافها عبيداً.

لم يتبادل دواين ولوتي دايفرز الحديث كثيراً، رغم أنهما أضمرا كثيراً من الإعجاب لبعض. احتفظ دواين بأغلب أحاديثه للكلب. كان يتمدد على الأرض ويتدحرج مع سباركي، ويقول أشياء مثل: "أنا وأنت فقط يا سبارك"، و"كيف حال صديقي القديم؟"، وما إلى ذلك.

وظل هذا الروتين على حاله، حتى بعدما بدأ الجنون يغزو عقل دواين؛ لذا لم تلاحظ لوتي ما يريب.

* * *

امتلك كيلجور تراوت ببغاء درة يُدعى بيل. مثل دواين هوافر، كان تراوت يقضي ليلاته وحيداً إلا من صحبة حيوانه الأليف. تحدث تراوت أيضاً إلى حيوانه.

لكن بينما كان دواين يُترثر إلى كلبه عن الحب، تحدث تراوت مع ببغائه عن نهاية العالم وسخر منها.

كان ليقول "ستحدث في أي لحظة الآن، حان وقتها".

كان لتراوت نظرية ترى أن الغلاف الجوي سيصبح غير قابل للتنفس عما قريب.

افترض تراوت أن في اللحظة التي سيصبح فيها الهواء ساماً، سينقلب بيل على ظهره قبل أن يحدث ذلك لتراوت نفسه بدقائق، واعتاد مُمَارحة بيل بهذا الشأن. قال أشياء على غرار "كيف حال جهازك التنفسي يا بيل؟"، أو "يبدو أنك على وشك الإصابة بالانتفاخ الرئوي يا بيل"، أو "لم نتحدث من قبل عن تفاصيل الجنازة التي تُفضلها يا بيل، إنك حتى لم تخبرني بديانتك". وما إلى ذلك.

قال لبيل إنَّ البشرية تستحقُّ ميتةً شنيعة؛ بسبب سلوكها المتوحّش المُسرِّف تجاه هذا الكوكب الجميل. يقول: "كلنا هليوجابالوس يا بيل". كان هذا اسم إمبراطور رومانيٍّ جعل نَحَاتٍ يَصْنَعُ له مَثَالًا أْجَوْفَ، عبارة عن ثَوْرٍ حديدِيٍّ بِالْحَجَمِ الطَّبِيعِيِّ، له بَابٌ يُمَكِّنُ غَلْقَهُ من الخارج. وكان فَمُ الثَّوْرِ مفتوحًا، وتلك كانت الفَتْحَةَ الوحيدة الأخرى للخارج.

كان هليوجابالوس يضع كائنًا بشريًّا في الثور عبر الباب، ثمَّ يُغْلِقُه. أي صوتٌ يُصدِرُه ذاك الإنسانُ في الداخل يخرج من فم الثور. كان هليوجابالوس يقيم الحفلات اللطيفة ويدعو الضيوف، ويُقدِّم الولايم والنَّبِيذ والنساء الجميلة والغلمان الوُسَمَاء، ثمَّ يُكَلِّف هليوجابالوس خَدَمَه بإيقاد النار في الأخشاب الجافَّة الموجودة تحت الثور.

* * *

كان لتراوت عادةٌ أخرى قد يَعُدُّها بعض الناس من غرابة الأطوار: تسمية المرايا مَسَالِك. تَسَلَّى بالتَّظَاهُر أن المرايا هي فتحاتٌ بَيْنَ عَالَمَيْنِ.

إذا رأى طفلًا بالقرب من مرآة، قد يلوِّح له بإصبعه مُحدِّرًا، ويخبره بجديَّة شديدة: "لا تقترب من ذلك المَسَلِكِ، أنت لا تُحِبُّ أن ينتهي بك الحال في العالم الآخر، أليس كذلك؟".

أحيانًا، قد يقول أحدهم في حضوره: "المَعذِرَة، أنا ذاهِبٌ للتَّسْلِيك". وكانت هذه طريقة يُعبَّرُ بها المُتحدِّث عن نِيَّتِه تصريفَ الفَصَلات السائلة من جسده عبر صمام أسفل بطنه.

يجيب تراوت على هذا مازِحًا: "من حيثٍ جيِّت! يعني هذا أنَّكَ على وشك سرقة مرآة".

وما إلى ذلك.

مع حلول موعد وفاته، بالطبع، بات الجميع يُسمُّون المريا مَسَالِك؛ ما يوضِّح إلى أي مَدَى صارت حتى نِكَاتِهِ مَوْضِعَ تَجِيل.

عام 1972، عاش تراوت في شقَّةٍ قَبوٍ بمدينة كوهوس في نيويورك. أَكُلَّ عيشه كان من عمله في تركيب نوافذ الرياح والستائر الألومنيوم. لم يكن له أيُّ علاقةٍ بجانب المبيعات في عمله؛ إذ لم يمتلك أيَّ جاذبية. الجاذبية هي مُخَطَّطٌ لَجَعَلِ العَرَبَاءِ يَثِقُونَ في الشخص بسرعة، أَيًّا كانت نوايا الجَدَّابِ الحقيقية.

كان دواين هوفر جَدَّابًا جَدًّا.

بوسعي أن أصير جَدَّابًا جَدًّا إن أردتُ.

يوجد كثير من الناس الجَدَّابِين جَدًّا.

لم يكن عند ربِّ عمل تراوت وزملاؤه أدنى فكرةٍ عن كونه كاتبًا. لم يسمع به أيُّ ناشِرٍ محترمٍ أيضًا، مع أنه كان قد كتب مائةً وسبعَ عشرةً روايةً، وألَفِي قِصَّةً قصيرةً عندما قابل دواين.

لم يصنع نسخًا كربونيَّةً لأي شيء كتبه. أرسل مخطوطاته بلا مظاريفٍ مُحَكَمَةٍ ذات طوابع تَضَمَّنُ الرَّدَّ الآمِنَ للمرسل. أحيانًا، لم يضع حتى عنوانًا لاستعادة البريد. كان قد جمع أسماء وعناوين الناشرين من المجلَّات المتخصِّصة في عالم الكتابة، التي كان يقرأها

بنهَم في أقسام الدوريات بالمكتبات العامّة. بهذه الطريقة استطاع الوصول لشركة تُدعى مكتبة الكلاسيكيات العالمية، والتي كانت تنشر محتوى إباحيًا عنيّفًا بمدينة لوس أنجلوس في كاليفورنيا. استخدموا حكاياته، التي لم يكن فيها حتى أيُّ نساءٍ عادةٍ، لإضافة سُمْكِ لكتُبهم ومجلّاتهم المُخصّصة للصور الشّهوانية.

لم يخبروه أبدًا أين يستطيع إيجاد ما كتب مطبوعًا. هذا مقدار ما دفعوه له: ولا الهواء.

* * *

لم يرسلوا له حتى نسخًا على سبيل الهدية من الكتب والمجلّات التي ظهر فيها؛ ما جعله مضطرًّا للبحث بنفسه عنهم في المتاجر الإباحيّة. وفي الغالب كانت العناوين التي يضعها لحكاياته تتغيّر. هكذا تحوّل (الزعيم القشّي العابرٌ للمجرّات) إلى (فم مجنون).

لكن أكثر ما كان يُربِكُ تراوت، كانت الأشكال التي يختارها الناشر، والتي لم يكن لها أي علاقة بحكايته. فمثلًا كتب مرّةً روايةً عن كائنٍ أرضيٍّ يُدعى ديلمور سكاچ، أعزب في حيٍّ ينتمي الجميع فيه إلى عائلات ضخمة. وكان سكاچ عالمًا، واكتشف طريقةً يُعيدُ بها إنتاج نفسه في حساء الدجاج. كان يكحت خلايا حيّةً من يده اليمنى، ويمزجها بالحساء، ويُعرض الحساء للأشعة الكونية. عندها تتحوّل الخلايا إلى أطفال يشبهون ديلمور سكاچ تمامًا.

وبسرعة، أخذ ديلمور ينجب عدّة أطفالٍ في اليوم الواحد، ويدعو جيرانه ليشاركهم فخره وفرحه. وأقام حفلات تعميد جماعيٍّ لمائة من أطفاله في كل مرّة. وصار مشهورًا بكونه رجُلًا ذا أسرة.

وما إلى ذلك.

* * *

تمنى سكاچ أن يدفع الدّولة لِسَنِّ تَشْرِيعَاتٍ تَحُدُّ مِنَ الْعَائِلَاتِ
الكبيرة بشكل مُفْرِطٍ، لَكِنَّ المُشْرَعِينَ وَالْمَحَاكِمَ رَفَضُوا مُوَاجَهَةَ الْمَشْكَلَةِ
بشكلٍ مباشرٍ. وبدلاً من ذلك وضعوا قوانينَ صارمةً ضدَّ حيازة شخصٍ
غير مُتَزَوِّجٍ لِجَسَاءِ الدَّجَاچِ.

وما إلى ذلك.

الأشكال المرفقة بهذا الكتاب كانت صوراً مُعْتَمَةً لِعِدَّةِ نساءٍ بيضٍ،
يُمَارِسْنَ الْجِنْسَ الْفَمُوِيَّ مَعَ رَجُلٍ أَسْوَدَ وَاحِدٍ يَرْتَدِي -لِسَبَبٍ مَا-
قُبْعَةً مَكْسِيكِيَّةً.

في الوقت الذي قابل فيه دواين هوفر، أكثر كتب تراوت انتشاراً
كان (وباء على عَجَلٍ). لم يُغَيَّرْ نَاشِرُهُ الْعِنْوَانِ، لَكِنَّهُ طَمَسَ أَعْلَبَهُ وَاسْمَ
تراوت بالكامل، بشريطٍ مُتَوَهِّجٍ ضَخْمٍ يَعدُّ بِالتَّالِي:

قنارس مفتوحة
على مصراعيها

بالداخل!

قُنْدُسٌ مَفْتُوحٌ عَلَى مَصْرَاعَيْهِ يَعْنِي صُورَةً لِمَرْأَةٍ لَا تَرْتَدِي لِبَاسَهَا
الِدَاخِلِيَّ، وَسَاقَاهَا مَفْتُوحَتَانِ عَلَى اتِّسَاعِهِمَا؛ مَا يَجْعَلُ فَمَّ فَرْجِهَا مَرْتَبًا
لِلنَّازِرِينَ. أَوَّلَ مَنْ اسْتَعْمَلَ هَذَا التَّعْبِيرَ كَانَ مُصَوِّرُ الْأَخْبَارِ، الَّذِينَ
كَانَ بَوَسْعِهِمْ -عَادَةً- رُؤْيَا مَا تَحْتَ تَنَانِيرِ النِّسَاءِ فِي أَثْنَاءِ الْحَوَادِثِ
وَالْمُنَاسَبَاتِ الرِّيَاضِيَّةِ، وَمَنْ تَحْتَ سَلَامِ طَوَارِيءِ الْحَرِيقِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ.
كَانُوا بِحَاجَةٍ إِلَى كَلِمَةٍ شَفْرَةٍ يَصِيحُونَ بِهَا لِرَفَاقِ الصَّحَافَةِ وَرِجَالِ
الْشَّرْطَةِ الْمَأْلُوفِينَ وَمَا إِلَى ذَلِكَ؛ لِيُخْبِرُوهُمْ أَنَّ بَوَسْعِهِمْ رُؤْيَا. وَتِلْكَ
كَانَتِ الْكَلِمَةُ: قُنْدُسٌ.

القُنْدُسُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ حَيَوَانٌ قَارِضٌ كَبِيرٌ، أَحَبُّ الْمِيَاهِ، وَبَنَى
السُّدُودَ، وَكَانَ يَبْدُو كَالتَّالِي:



أَمَّا نَوْعُ الْقُنَادَسِ الَّذِي أَثَارَ اهْتِمَامَ مُصَوِّرِي الْأَخْبَارِ لِهَذِهِ الدَّرَجَةِ فَيَبْدُو كَالتَّالِي:



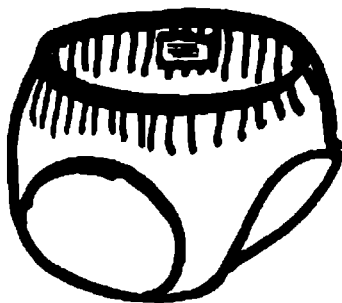
وهو المكان الذي يأتي منه الأطفال.

* * *

عندما كان دواين طفلاً، وعندما كان كيلجور تراوت طفلاً، وعندما كنتُ أنا طفلاً، وحتى عندما صرنا رجالاً في منتصف العمر وأكبر، كان على الشرطية والمحاكم المحافضة على مثل هذه الثغور العادية من التمحيص والمناقشة، من قِبَلِ أشخاصٍ ليسوا مُنخرطين في مُمارسة الطبِّ. بشكلٍ ما، تَقَرَّرَ أن القنادس المفتوحة على مصراعَيْها، والتي كانت مُنتشرةً أكثرَ من القنادس العادية عشرات الآلاف من المرات، يجب أن تصبح أكثرَ الأسرار المحميّة بواسطة القانون.

هكذا كان هناك هوسٌ فيما يخصُّ القنادس المفتوحة على مصراعَيْها. وكان هناك هوسٌ أيضاً بخصوص معدن لَيِّنٍ ضَعِيفٍ، عنصر صار بِشكلٍ ما أكثرَ العناصرِ المطلوبة: الذهب.

وعندما كنتُ ودواين وتراوت أطفالاً، امتدَّ الهوسُ بخصوص القنادس المفتوحة على مصراعَيْها إلى الألبسةِ الداخليّةِ أيضاً. أخفت البناتُ ألبستَهُنَّ الداخليّةِ بأيِّ ثَمَنٍ، وسعى الأولاد لرؤيتها بأيِّ ثَمَنٍ. هذا ما كان يبدو عليه لباسُ البنات الداخليُّ:



من أوّل الأشياء التي تَعَلَّمها دواين في المدرسة عندما كان طفلاً، كان في الواقع قصيدة يتوجّب عليه تلاوتها صارخاً، إن رأى لباس فتاة داخلي بالصدفة في ساحة اللّعب. علّمها له باقي التلاميذ، وكانت كالتالي:

أرى إنجلترا

أرى فرنسا

أرى لباس فتاة صغيرة.

عندما تسلّم كيلجور تراوت جائزة نوبل في الطب عام 1979، أعلن: "البعض يقولون إنه لا يوجد شيء اسمه تطوّر. أعترف أنني أجد في حقيقة أن البشر هم آخر الحيوانات المتبقية على وجه الأرض الآن، نوعاً من الانتصار المُرّيك. من عرف منكم طبيعة أعمال المنشورة قديماً سيفهم لماذا حَزَنْتُ بِشَكْلِ خاصّ عندما مات آخر القنادس.

لكن، عندما كنتُ طفلاً، كان هناك وَحْشان يشاركاننا في هذا الكوكب، أحتفل اليوم بانقراضهم. كانا يعتزمان قتلنا، أو على الأقل: نزع المعنى من حياتنا. وكادا أن يَنْجَحَا. كانا من أقسى الخصوم، ولم يكن أصدقاؤ القنادس الصغار أحدهما. الأسود؟ كلاً، النُّمور؟ كلاً. كان الأسود والنُّمور نائمةً أغلب الوقت، أمّا من أعينهم من الوحوش لم يَغْفَلَا أبداً، بل عاشا في عقولنا. كانا الشُّهوة الاعتباطيّة للذهب و-ليرحمنا الله- للنظر إلى ملابس الفتيات الصُّغار الداخليّة.

أشكر هاتين الرَّغْبَتَيْنِ على كونهما تافِهَتَيْنِ إلى هذه الدرجة؛ لأنّهما علّمانا كيف يمكن أن يعتقد الإنسان في شيء، ويمضي في طريقه بحماس مُحافظاً على هذا الاعتقاد... أي اعتقاد.

والآن، بوسعنا بناء مجتمع غير أناني، من خلال تكريس هذا الحماس، الذي انشغل من قبل في السعي المحموم خلف الذهب والملابس الداخلية، نحو الإيثار".

توقّف لِثَانِيَةً، ثم تلا بأسى ساخِرٍ مُسْتَهْلًا قَصِيدَةً، كان قد تَعَلَّمَ الصُّرَاخُ بها عندما كان طفلاً في برمودا. كانت قصيدة مؤثِّرةً جداً، خاصَّةً وأنها ذَكَرَتْ بلدين لم يعودا موجودَيْن كما كانا، فقد قالت "أرى إنجلترا" و"أرى فرنسا".

في الحقيقة، كانت قيمة ملابس النساء الداخلية قد انخفضت للغاية في وقت المقابلة التاريخية بين دواين هوفر وتراوت. أمّا سعر الذهب فظَلَّ في زيادة.

صور ملابس النساء الداخلية لم تُساوِ حَتَّى قيمة الورق المطبوعة عليه، وحتى أفلام القنادس المفتوحة على مصراعيها الملوّنة، المُتحرِّكة، عاليّة الجودة- كانت على الأَرْفَفِ تَتَوَسَّلُ للزبائن أن يشتروها، بلا مُجيب.

ذات يوم، كانت النسخة من كتاب تراوت الأشهر في ذاك الوقت (وباء على عَجَل) تُباع باثْنَيْ عَشَرَ دولارًا، لما فيها من صور. أمّا الآن فهي تُباع بدولارٍ واحد، وحتى مَنْ يدفعون ذلك الثمن لا يفعلون لأجل الصور، وإمّا لأجل الكلمات.

كانت الكلمات في الكتاب -بالصُدْفَةِ- عن الحياة على كوكبٍ يحتضر يُدعى "لينجو- ثلاثة"، والذي كان سُكَّانُهُ يُشبهون السيارات الأمريكية. كان لهم عَجَلَاتٌ، ويعملون بِمُحرِّكاتٍ احتراقٍ داخلية، ويأكلون الوقود الأحفوري. لكنهم لم يكونوا مُصنَّعين، بل كانوا يتكاثرون. وضعوا

البَيْضُ الذي يحتوي على سيارات صغيرة، ويُرعى الصُّغار في أحواضٍ مَلِيئَةٍ بالزيوت المسحوبة من مُحَرِّكات السيارات البالغة.

زار "لينجو- ثلاثة" رَحَّالَةً فضائيون، الذين عرفوا أن كائناته في طريقهم للانقراض للسبب التالي: دَمَّروا مواردَ كوكبهم، بما فيها غلافهم الجوي.

لم يكن لدى الرَّحَّالَةِ الفضائيين الكثيرُ ليقدموه على سبيل المساعدة المادية. تَمَنَّى "السُّكَّانُ السَّيَّاراتُ" لو كان بوسعهم استعارة بعض الأكسجين، والاستعانة بالزُّوَّار لحمل بيضة واحدة على الأقل من بيضهم لكوكب آخر، حيث ربما تستطيع أن تفقس، وتبدأ حضارة سَيَّارات جديدة. لكنَّ أصغرَ بيضة لديهم وزنها 22 كيلو، أمَّا الرَّحَّالَةُ الفضائيُّون فلا يزيد طول الواحد منهم عن البوصة الواحدة، وحجم سفينَتِهِم الفضائية كلها لم يَبْلُغْ حتى حَجْمَ صندوقِ أحذيةِ كائناتٍ أرضية. كانوا من زيلتولديمار.

المُتحدِّثُ باسم الزيلتولديماريين كان كاجو. قال كاجو إنَّ كُلَّ ما بوسعُه عمله هو إخبار باقي سُكَّانِ الكون عن كيف كانت الكائنات السَيَّارات رائعة. هذا ما قاله لتلك الخُرْدَةِ الصَّديَّةِ التي نَفَدَ وَقودُها: "سترحلون عن الحياة، لكنَّكم لن ترحلوا عن الذاكرة".

الصورة المُصاحِبَةُ لتلك اللحظة من القصة كانت لفتاتين صينيَّتين متشابهتين، ربما كانتا توأمًا مُتطابِقًا، جالِستين على أريكة، وأرجلهما مفتوحة على مصراعِها.

وهكذا، سعى كاجو ورفاقه الزيلتولديماريُّون الصغار، الذين كانوا جميعًا مثليي الجنس، في أرجاء الكون، مُحافظين على ذكرى كائنات السيارات حيَّة. وأخيرًا وصلوا إلى كوكب الأرض، وبمنتهى البراءة أخبر

كاچو الأرضييين عن السيارات. لم يعرف كاچو كم كانت الكائنات البشرية هَشَّةً يَمَكِنُ الفَتْكَ بها بسهولة عبر فكرةٍ واحدة، مثل الكوليرا أو الطاعون. لم يَكُنْ في الأرض مَنَاعَةً ضِدَّ الأفكار البلهاء.

* * *

وهذا كان سَبَبَ عَدَمِ قُدْرَةِ البشر على رفض الأفكار لِسوئها، طبقًا لتراوت: "الأفكار على الأرض كانت علامةً على الصِّداقة أو العداوة، محتواها لا يهم. يُوافِقُ الأصدقاءُ أصدقاءهم للتعبير عن صداقتهم، ويعترض الأعداء على أعدائهم للتعبير عن عداوتهم.

لمئات آلاف السنين، لم تُشكَلِ الأفكارُ التي اعتنقها البَشَرُ فارقًا، بما أنهم لم يَكُنْ بوسعهم فِعْلُ شيءٍ إزاءها على أي حال. قد تكون الأفكارُ عَلامَةً على أي شيء.

لدرجة أنهم كان لديهم قَوْلٌ ماثور يُعبَّرُ عن عُقمِ الأفكار: "لو كانت الأمانى أَحْصَنَةً، لَرَكِبَ الشَّحاذون".

ثم اكتشَفَتِ الكائناتُ الأرضيَّةُ الأدوات. وفجأةً، صار من المُمكنِ أن تصير موافقَةُ الأصدقاء نوعًا من الانتحار أو ما هو أسوأ. لكنَّ الموافقات استمرَّت، ليس على سبيل الحِصافة العامَّة، أو حُسْنِ الخُلُق، أو الحِفاظ على الذات- وإنما لإظهار الصِّداقة.

استمرَّ الأرضييون في الحِفاظ على صداقتهم، في الوقت الذي كان عليهم أن يقضوه في التفكير بدلًا من ذلك. وحتى عندما صنعوا الحواسيب لتفكَّرَ بدلًا منهم، جعلوا هدفها الصِّداقة، لا الحِكْمَةَ؛ لهذا كُتِبَ عليهم الهلاك، وصار بوسع الشَّحاذين القَتْلَةَ الركوب".

3

خلال القرن التالي لوصول كاجو الصغير إلى الأرض، طبقًا لرواية تراوت، كانت كُلُّ أشكال الحياة على ما كان ذات يوم كوكب "أزرق-أخضر" سلميًا مُبتَلُّ عامرٌ بالغذاء- إمَّا ميتة أو تموت. كانت هياكل الخنافس العظيمة التي صنعها البَشَرُ وعبودها في كل مكان. كانت الخنافسُ سيَّارات، وقتَلت هذه السيَّاراتُ كُلَّ شيء.

مات كاجو الصغير نفسه قبل موت الكوكب بفترة طويلة. كان يحاول إلقاء خُطبةٍ عن شرور السيارات في حانةٍ بديترويت. لكنه كان شديد الصَّغرِ، ولم يأبه به أحدٌ. تَمَدَّد ليرتاح للحظة، وحَسِبَهُ عامِلٌ ثَمِلٌ في مصنع سيَّارات عُودَ كبريت؛ فقَتَلَهُ بضربه عِدَّةَ مَرَّاتٍ في الجانب السفلي من المائدة لِئُشْعِلَهُ.

تلقي تراوت رسالةً واحدةً من مُعجَبٍ قبل 1972. كانت من مليونير غريب الأطوار، استعان بوكالة تحريّات خاصّة لتعرّف من هو وأين هو. تراوت كان خفيًّا لدرجة أن تكلفة البحث عنه بلغت ثمانية عشر ألف دولار.

وصل الخطاب لتراوت في قبوه بكوهوس. كان مكتوبًا بخط اليد، واستنتج تراوت أن كاتبه رُبما في الرابعة عشرة من عمره أو شيء من هذا القبيل. قال الخطاب إن "وباء على عَجَل" هي أعظم رواية في اللغة الإنجليزية، وأن تراوت يجب أن يصبح رئيسًا للولايات المتحدة. قرأ تراوت الخطاب بصوت عالٍ لبيغائه. قال: "يبدو أن الأمور تتحسن يا بيل، لظالما علمتُ أنها ستفعل. اسمع يا سيدي". ثم قرأ الخطاب. لم يكن هناك ما يشير في الخطاب أن كاتبه -الذي كان اسمه إليوت روزوتر- شخصٌ ناضج، وفاحش الثراء.

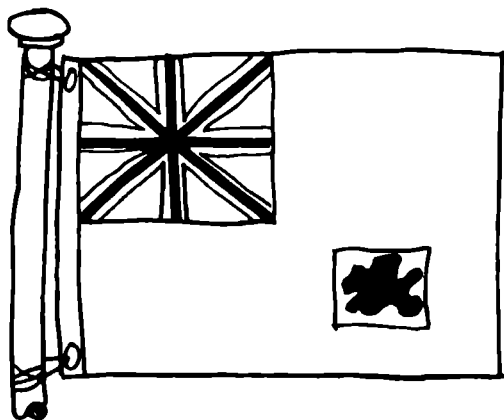
بالصدفة، لم يكن من الممكن أن يصبح كيلجور تراوت رئيسًا للولايات المتحدة دون تعديلٍ دستوريٍّ؛ فهو لم يولد داخل البلد، محلُّ ميلاده كان برمودا. رغم أن والده ليو تراوت ظلَّ مواطنًا أمريكيًّا، إلا أنه عمل هناك سنواتٍ عديدةً لصالح الجمعية الملكيّة لعلم الطيور، في حراسة مكان التعشيش الوحيد لنسور برمودا. نسور البحر العظيمة الخضراء تلك انقرضت في النهاية، برغم كل شيء حاول فعله أيُّ شخص.

رأى تراوت في طفولته هذه النسور تموت، واحدًا تلو الآخر. كلّفه والدهُ بمهمّةٍ كئيبة: قياس امتداد أجنحة الجُثث. تلك كانت أضخم الكائنات التي طارت بقدرتها الذاتية على الكوكب. وآخرُ جُثّةٍ كان

لجناحيها أطول امتداد على الإطلاق: تسع عشرة قَدَمًا وبوصتان وثلاثة أرباع بوصة.

بعد موت كُلِّ النسور، عُرف في النهاية ما قتلهم. الفطريات، التي هاجمت أعينهم وأمخاخهم. أحضر البَشْرُ الفطريات معهم إلى مُستعمرات الطيور مُتتكرّةً ببراءةٍ على هيئة القَدَمِ الرِّياضيّة⁽¹⁾.

هذا ما كان يبدو عليه عَلَمُ جزيرة تراوت الأصلية:



هكذا حظي كيلجور تراوت بطفولةٍ كئيبة، برغم كُلِّ الشمس المشرقة والهواء النقيّ. على الأرجح تعود جذور التشاؤم الذي أثقله في حياته اللاحقة، الذي دَمَّرَ زيجاته الثلاث، ودفع بابنه الوحيد، ليو، إلى الرحيل عن البيت في سنِّ الرابعة عشرة، إلى السَّماذ العضوي من جُثثِ النسور المتعفنة.

(1) القَدَمُ الرِّياضيّة athlete's foot: عدوى فطريّة تَظْهَرُ عادةً بين أصابع القدم. وتنتشر بالأخص بين الذين تتعرَّق أقدامهم بإفراطٍ بينما يرتدون أحذيةً ضيّقةً. [المترجم]

جاءت رسالة المُعْجَبِ مُتَأَخَّرًا جَدًّا. لم تكن أخبارًا طيِّبَةً. تلقَّاهَا كيلجور تراوت كافتحَامٍ لِخُصُوصِيَّتِهِ. وعد روزوتر في خطابه بجعل تراوت شهيرًا. هذا كل ما قاله تراوت عن الأمر، أمام جمهورٍ مُكوِّنٍ من ببغائه فقط: "أَبُيْ بَعِيدًا عن كِيثِ جُثَّتِي بِحَقِّ الجَحِيمِ".

كيس الجُثِّثِ كان مُغْلَفًا بلاستيكيًّا ضَخْمًا للجُنْدِيِّ الأمريكي الذي مات لِتَوُّهِ. كان اختراعًا جديدًا.

* * *

لا أعرف مَنْ الذي اخترع كيس الجُثِّثِ، لكنني أعرف مَنْ اخترع كيلجور تراوت: أنا.

جَعَلْتُهُ مُتَعَرِّجَ الأسنانِ، أَعْطَيْتُهُ شَعْرًا، لَكُنِّي جَعَلْتُهُ أَشْيَبَ. لم أتركه يُسْرِّحُه أو يذهب إلى حَلَّاقٍ، جعلته ينمو ويتجعد.

أَعْطَيْتُهُ الأَرْجُلَ التي أعطاهَا خَالِقُ الكونِ لأبي عندما صار عجوزًا مثيرًا للشفقة. كانتا عَصَوِيَّيْ مِكْنَسَةٍ بِيضَاوَيْنِ شَاحِبَتَيْنِ، كانتا بلا شَعْرٍ، كانتا مُزْخَرْفَتَيْنِ بالدَّوَالِي الوَرِيدِيَّةِ.

وبعد شهرين من تَلَقِّي تراوت أوَّلَ رسالَةٍ من مُعْجَبٍ، جعلته يجد في صندوق بريده دعوةً ليكون من المُتَحَدِّثِينَ بِمَهْرَجَانِ فنونٍ بالغرب الأمريكي الأوسط.

* * *

الخطاب كان من رئيس المهرجان، فريد تي. باري. احترم تراوت إلى حَدِّ التبجيل. ناشدَه أن يكون واحدًا من عِدَّةِ مُشَارِكِينَ مُمَيِّزِينَ في المهرجان قادمين من خارج المدينة. المهرجان الذي سيدوم لخمسَةِ أيامٍ، سيحتفل بافتتاح مركز ميلدريد باري التذكارِي للفنون بمدينة ميدلاند.

لم يَقُلِ الخطابُ ذلك، لكنَّ ميلدريد باري كانت الأُمُّ الراحلة لرئيس المهرجان، وأغنى رَجُلٍ في ميدلاند. دفع فريد تي. باري لإنشاء مركز الفنون الجديد، والذي كان كُرَّةَ شَقَافَةٍ على أعمدة، بلا نوافذ. عندما يُضاء في الليل، كان يبدو كَقَمَرِ الحصادِ المَكْتَمِلِ.

كان فريد تي. باري بالصدفة في نفس عمر تراوت. كان لهما نفس يوم الميلاد. لكنهما بكل تأكيد لم يُشَبِّها بعضًا في شيء. فريد تي. باري لم يَعُدْ حتى يبدو كَرَجُلٍ أبيض، رغم أنه من سُلالةٍ إنجليزيةٍ نَقِيَّة. كُلُّما ازداد عُمرًا وسعادةً على سعادة، وتساقط شَعْرُهُ أكثر في كل مكان؛ بدا أكثرَ مِثْلَ رَجُلٍ صينيٍّ مُنْتَشٍ.

بدا مثل رجل صيني، حتى أنه بدأ يلبس مثل رَجُلٍ صينيٍّ. حتى صار الرِّجال الصينيين حقًا يحسبونه صينيًّا حقيقيًّا.

اعترف فريد تي. باري في خطابه أنه لم يقرأ أعمال كيلجور تراوت، لكنه سيفعل ذلك بسعادة قبل بداية المهرجان. قال: "أوصي بِكَ بشدَّة إليوت روزوتر، الذي أَكَّد لي أنك ربما أعظمُ روائيٍّ أمريكيٍّ حيٍّ. لا يمكن أن يوجد ثناء أعلى من ذلك".

مُرفَقًا بالخطاب كان شَيْكٌ بألف دولار. أوضح فريد تي. باري أنه للأتعاب ونفقات السفر.

ذلك كان مالاَ كثيرًا. صار تراوت فجأةً فاحشَ الثراء.

هذه كانت الطريقة التي حدث أن دُعي بها تراوت: أراد فريد تي. باري لوحةً زيتيةً فاحشةً الثمنٍ كمرکزٍ انتباهٍ لمهرجان مدينة ميدلاند

للفنون. بقدر ما كان ثريًا، لم يستطع تحمّل شراء لوحة، فبحث عن واحدة يستعيرها.

أول شخص توجه إليه كان إليوت روزوتر، الذي امتلك لوحة لإل جريكو ثمنها ثلاثة ملايين دولار أو أكثر. قال روزوتور إن بوسع المهرجان الحصول عليها بشرط واحد: أن يجلبوا أعظم كاتب حيّ باللغة الإنجليزية ليتحدّث في المهرجان، والذي كان كيلجور تراوت. ضحك تراوت على الدعوة المدهنة، لكنه شعر بخوف بعد ذلك. مرّة أخرى كان هناك غريب يعبّث بخصوصيّة كيس جُثته. بإنهاك وجهه سؤاله لبغائه فيما قلب عينيه: "لم كلّ هذا الاهتمام المفاجئ بكيلجور تراوت؟".

قرأ الخطاب مُجددًا، قال: "هم لا يريدون فقط كيلجور تراوت، بل يريدونه في بذلة سهرةٍ يا بيل. ثمة خطأ ما هنا".

هزّ كتفيه، قال: "ربما هم دعوني لأنهم يعرفون أن عندي بذلة سهرة". كان يمتلك بالفعل بذلة سهرة. كانت في صندوق قديم حمّله معه من مكانٍ لِمكانٍ لأكثر من أربعين عامًا. احتوى العباّ من طفولته، وعظام نسرٍ برمودا، وكثيراً من المتعلّقات الغريبة التي كان منها بذلة سهرة ارتداها في الحفل الراقص قبل تخرّجه من مدرسة توماس جيفرسون الثانوية في مدينة دايتون بأوهايو عام 1924. وُلد تراوت برمودا، التحق بالمدرسة الإعدادية هناك، ثم انتقلت أسرته إلى دايتون.

كانت مدرسته الثانوية مُسمّاةً على اسم مالِك عبيدٍ كان أيضًا واحدًا من أعظم منظرّي العالم في الحرّيات الإنسانيّة.

* * *

أخرج تراوت بذلته من صندوقه وارتداها. كانت تُشبه كثيرًا بذلة سهرة رأيتُ أبي يرتديها عندما كان شيخًا في أرذل العمر. كان عليها

طبقة عُفونَةٍ تميل للخضار، بعض العَفَنُ بدا يُشْبِهُ قِطْعًا من فِراء الأرناب الفاخر. قال تراوت: "ستقوم هذه بالواجب في الأمسيات. لكن أخبرني يا بيل، ماذا يرتدي الواحدُ في ميدلاند في أكتوبر قبل غروب الشمس؟". رفع رجلَي بنطاله حتى بدت قَصَبَتَا ساقَيْهِ المَزُخَرَفَتَيْنِ ببشاعة، "شورتات برمودا وجوارب قصيرة، أليس كذلك يا بيل؟ في النهاية أنا من برمودا".

مسح بذلته بخِرْقَةٍ مُبَلَّلَةٍ؛ فتساقط العَفَنُ بسهولة. "أكره فعلَ هذا يا بيل"، قالها بينما يقتل الفِطْرَ. "للفِطْرِ الحَقُّ في الحياة بقدر ما لي الحق فيها. على الأقل يعرفون ما يريدون، تَبَّالي إن كنتُ أعرف ما أريد".

ثم فَكَّرَ فيما قد يرغب به بيل نفسه. حَمَّنَ ذلك بسهولة. قال: "بيل، أُحِبُّكَ كثيرًا، وأنا شَخْصٌ ذو أهمِّيَّةٍ كبيرةٍ في هذا العالم، لدرجة أني سأحَقِّقُ أكبرَ ثلاثِ أُمانيِّ لَدَيْكَ". فتح باب القفص، وهو شيء لم يكن بيل لِيَقْدِرَ عليه ولو بعد أَلْفِ عام.

طار بيل إلى عتبة النافذة. وألصق كتفه الصغيرة بالزُّجاج. كان بين بيل والعالم الخارجي الواسع طبقة زجاج واحدة. رغم أن تراوت كان يعمل في مجال نوافذ الرِّياح، إلا أنه لم يملك أَيَّها في سَكْنِهِ.

قال تراوت: "أُمْنِيَّتُكَ الثانية على وشك التَّحَقُّقِ"، وفَعَلَ شيئًا آخر لم يَكُنْ بوسع بيل عَمَلُهُ أَبَدًا. فَتَحَ النَّاوِذَةَ. لكنَّ فَتْحَ النافذة كان شيئًا مُخيفًا لدرجَةٍ أَنْ البِغَاءَ طار عائِدًا لقفصه وقفز داخله.

أغلق تراوت بابَ القفص بإحكام، وقال للطائر: "هذا أكثر استخدام حاذقٍ للأُمْنِيَّاتِ الثَّلاثِ سَمِعْتُ به على الإطلاق. أنتَ تُحافِظُ على أن يبقى لَدَيْكَ شيء يستحقُّ التَّمْنِي... أن تَخْرُجَ من القفص".

ربط تراوت بين رسالة مُعجَبِه الوحيد والدَّعْوَة، لكنه لم يستطع
تصديق أن إليوت روزوتر كان بالغًا. بدا خطُّ روزوتر كالتالي:

لجِب أن تكون رئيسًا للولايات المتحدة

قال تراوت متردّدًا: "بيل، هناك مُراهقٌ يُدعى روزوتر جلب لي
هذه الوظيفة. لا بُدَّ أن والدَيْه أصدقاء لرئيس مهرجان الفنون، ولا
يعلمون أيَّ شيء عن الكتب؛ لذا عندما قال لهم إني جيّد، صدَّقوه".
هَزَّ تراوت رأسه. "لن أذهب يا بيل. لا أرغب في الخروج من
قفصي. أنا أذكي من ذلك. حتى إن أردتُ، لن أذهب لميدلاند فأجعل
من نفسي أضحوكَةً، ومن المُعجَبِ الوحيد بي أيضًا".

* * *

ترك الأمر عند ذلك. لكنه أعاد قراءة الخطاب من حين لآخر،
حفظه صَمًّا. ثم في أحد الأحيان عرَفَت إحدى الرسائل الخَفِيَّةِ على
الورق طَرِيقَهَا لرأسه. كانت في ترويسةِ الخطاب، على شاكِلَةِ قِنَاعَيْنِ،
الغَرَضُ منهُما تمثيلُ الكوميديا والتراجيديا.

بدا أحد القناعين كهذا:



وبدا الآخرُ كذلك:



قال تراوت لبيغائه: "إنهم لا يريدون رؤية أي شيء إلا المبتسمين هناك، لا مكان للفاشلين التُّعساء". لكنَّ عقله لم يترك الأمر عند هذه النقطة. جاءته فكرةٌ شعَرَ أنها مُنْعِشَةٌ للغاية. "لكن ربما الفاشل التعيس هو بالضبط ما يحتاجون لرؤيته".

بعدها صار في غاية الحماس. قال: "بيل، بيل، اسمع، سأخرج من القفص، لكنني سأعود. سأذهب لأريهم ما لم يَرَهُ أيُّ شخصٍ في

مهرجان فنون من قبل: مُمَثِّل عن آلاف الفنانين الذين كَرَّسوا كاملَ حياتهم للبحث عن الحقيقة والجَمال، ولم يجدوا حتى الهواء".

قَبْلَ تراوت الدَّعوَّة في النهاية. قبل بداية المهرجان بيومَين، وضع بيل في رعاية صاحِبَةِ البيت في الدَّور العلويِّ، وسافر مُتَطَفِّلاً على السيارات العابِرة إلى مدينة نيويورك، بخمسمائة دولار مَخِيطَةً داخِلَ لِباسِه الداخلي. باقى الأموال وضعها في البنك.

سافر إلى نيويورك أوَّلًا؛ لأنَّه تَمَنَّى أن يجد بعضًا من كُتُبِه في المتاجر الإباحيَّة هناك. لم يكن لديه أيُّ نُسخٍ في البيت. كان يحتقرهم، لكنه الآن أراد أن يقرأ منهم جَهْرًا في ميدلاند، كتعبيرٍ عن التراجيديا التي هي في الوقت ذاته مُثيرةٌ للضحك.

نوى أن يُخَيِّرَ النَّاسَ هناك بما تَمَنَّى أن يُكْتَبَ على شاهدِ قَبْرِه.

كان كذلك:



4

في الآن ذاته كان دواين يزداد جنونًا طوال الوقت. رأى ذات ليلة أحد عشر قمرًا في السماء فوق مركز ميلدريد باري التذكاري للفنون الجديد. في الصباح التالي رأى بطَّة ضَخْمَةً تُنظَّمُ المرور في تقاطعِ جادَّةِ أرسنال مع طريق المُقَاتَعَةِ القديم. لم يخبر أيَّ شخصٍ بما رأى، حافظ على جنونه سرًّا.

وكانت الكيمياء السيئة في رأسه قد فاض بها الكيلُ من السريَّة. لم تُعدُّ مُكْتَفِيَةً بجعله يرى أشياء غريبةً ويشعر بها. أرادته أن يفعل أشياء غريبةً، أن يُثير جَلْبَةً كبيرةً أيضًا.

أرادت من دواين هوفر أن يفخر بمرضه.

مكتبة

t.me/t_pdf

* * *

قال الناس لاحقًا إنهم باتوا غاضبين من أنفسهم لعدم ملاحظتهم إشاراتِ الخطر في سلوك دواين؛ لتجاهلهم استغاثته الواضحة. بعدما عاث دواين في الأرض فسادًا، نشرت الصحيفة المحليَّة في افتتاحيتها قِطْعَةً شديدة التعاطف، تتوسَّل إلى الناس أن يلاحظوا إشاراتِ الخطر عند بعضهم. ذلك كان عنوانها:

استغاثة

لكن دواين لم يكن بهذه الغرابة قبل أن يُقابِلَ كيلجور تراوت. سلوكه في العلن لم يخرج قطُّ عن حدود التصرُّفات والقناعات والمُحَادَثات المقبولة في ميدلاند. قالت الإنسانة الأقرب إليه، فرانسين بيفكو، سكرتيرته البيضاء وعشيقتُه، أن دواين بدا وكأنه يزداد سعادةً على سعادةٍ طوال الشهر الذي سبق إعلانه عن خبِّله.

قالت لمُرَاسِلِ جريدةٍ من سريها بالمستشفى: "فكَّرت أنه يتجاوز أخيرًا انتحار زوجته".

* * *

عملت فرانسين في محلِّ عمل دواين الرئيسي، والذي كان (قرية بونتياك دواين هوفر عند المخرج 11)، على مشارف الطريق السريع، بجوار فندق هوليدي إن الجديد.

ذلك ما جعل فرانسين تظنُّ دواين يزداد سعادةً: بدأ دواين في غناء أغانٍ كانت ذاتَ شعبيَّةٍ في طفولته، مثل "الولاعة القديمة" و"تبيبي-تبيبي-تن" و"شد حيلك" و"قمر أزرق"، وما إلى ذلك. لم يُعَنَّ دواين من قبل قطُّ، والآن يفعل بصوتٍ عالٍ فيما هو جالسٌ بمكتبه، وعندما يأخذ عميلًا في جولةٍ بسيارةٍ توضيحيَّة، وبينما يشاهد ميكانيكيًا يصلح سيَّارةً. ذات يوم غنى بصوتٍ عالٍ بينما يعبر لوبي الهوليدي إن الجديد، مبتسمًا ومشيرًا إلى الناس، وكأنه عيِّن ليُغني

لأجل إسعادهم. لكنَّ أحدًا لم يُفكّر أن ذلك يعني بالضرورة علامةً على لوثة أيضًا، خاصّةً وأن دواين امتلكَ جزءًا من الفندق.

ناقش خادمٌ أسودٌ مع نادلٍ أسودٍ غِناءَهُ. قال الخادم: "أتسمع كيف يغيّني". أجاب النادلُ: "لو كان عندي ما عنده، لَغَنَيْتُ أيضًا".

الشخص الوحيد الذي قال بصوتٍ عالٍ إنَّ دواين يُجنُّ، كان هاري ليسابر، مدير مبيعات دواين الأبيض في وكالة البونتياك. قبل أسبوع من هيجان دواين، قال هاري لفرانسين بيفكو: "شيء ما حدث لدواين. كان شخصًا جدًّا با. لكني الآن لم أعد أراه كذلك".

عرف هاري دواين أفضل من أيِّ شخصٍ آخر. صار له معه عشرون عامًا. بدأ يعمل عنده منذ كانت الوكالة على حافة الجانِب الزنجي من المدينة. الزنجي هو كائنٌ بشريٌّ لونه أسودٌ.

قال هاري "أنا أعرفه مثلما يعرف الجندي رقيقه في المعركة. اعتدنا وَضَع حياتنا على المحكِّ كلَّ يوم، عندما كانت الوكالة لا تزال في شارع چيفرسون. كُنَّا نَتعرَّض لِقَطع الطريق في المتوسِّط أربع عشرة مرَّةً في السنة. وأقول لك: دواين اليوم هو دواين لم أره من قبل قطُّ".

كان مُحقِّقًا بشأن تَعَرُّضهم لِقَطع الطريق. ذلك كان سببَ شراء دواين لوكالة البونتياك بهذا الثمنِ البَخسِ. كان البيضُ فَقَط هم من يملكون مالا كافيًا لشراء سيارات جديدة، باستثناء قليلٍ من المجرمين السود، الذين يريدون دومًا الكاديلاك. ولم يُعدَّ البيضُ يَجروون على الاقتراب من شارع چيفرسون.

ذلك كان المكان الذي جاء دواين منه بالمال لشراء الوكالة: اقترَضَه من بنك مقاطعة ميدلاند الوطني، بضمان ما امتلَكَ من أسهُمٍ في شركةٍ كانت تُدعى حينها: شركة مدينة ميدلاند للذَّخيرة. صار اسمها لاحقًا: باريترون المحدودة. عندما حصل دواين على الأسهم أوَّل مرَّةٍ، في منتصف أيام الكساد الكبير، كان اسمها: شركة روبو- ماجيك الأمريكية.

ظَلَّ اسمُ الشَّرِكَةِ يتغيَّرُ بمرور السنوات لأن طبيعة عمَلِها تغيَّرت كثيرًا. لكنَّ إدارتها تَمَسَّكَتْ بشعار الشركة الأصلي؛ لأجل خاطر أيام زمان. كان الشعار:

وداعًا أيُّها الاثنين الأزرقُ

* * *

اسمَعُ:

قال هاري ليسابر لفرانسين، "عندما يُقاتِلُ الرَّجُلُ بِرُفْقَةِ آخَرَ، يستطيع أن يُدركَ أدقَّ تغيُّرٍ في شخصيَّة رقيقه، ودواين قد تغيَّر، أسألي حتَّى فيرنون جار".

كان فيرنون جار ميكانيكيًّا أبيض، وكان المُوظَّف الوحيد غير هاري الذي كان مع دواين قبل أن ينقل دواين الوكالة إلى الطريق السريع. وكما اتفق، كان فيرنون يواجه مُشكلةً في بيته.

كانت ماري زوجته مريضةً بالفصام؛ لذا لم يلاحظ إن كان دواين قد تغيَّر أو لا. زوجة فيرنون كانت مُؤمِنَةٌ أن زوجها يريد تحويل مُخَّها إلى بلوتونيوم.

* * *

كان من حقِّ هاري ليسابر الحديثُ عن المعارك؛ فقد شارك في معركةٍ حقيقيَّةٍ في حرب. دواين لم يفعل، لكنه كان موظَّفًا مَدَنِيًّا في السلاح الجوي بجيش الولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الثانية.

ذاتَ مَرَّةٍ، سَنَحَت له فُرْصَةٌ رَسَمِ رسالةٍ على قُبُوبَةِ تَزَنُ 500 رطل، ذاهِبَةً لَتُلْقَى على مدينة هامبورج بألمانيا. تلك كانت رسالته:



قالت فرانسين: "من حقِّ الجميع أن يَمُرُّوا ببضعة أَيَّامٍ سَيِّئَةٍ يا هاري. وأيام دواين السيئة كانت أقلَّ من أيِّ شَخِصٍ أَعْرَفُه؛ لذا عندما يَنقَلِبُ حاله مثل اليوم، يشعر البَعْضُ بالألَمِ والمُفْجَأة. لا يجدر بهم ذلك، إنه إنسان مثل غيره".

أراد هاري أن يعرف: "لكن لماذا اختصني وحدي؟"، وكان مُحِقًّا؛ فدواين اختصَّه بإساءاتٍ وإهاناتٍ مُذهِلةً ذلك اليوم. أمَّا الجميع عداه، فلا يزال دواين في عيونهم جَدًّا بًا.

لاحِقًا بالطَّبْع، سيُهين دواين كلَّ أنواع الناس، منهم حتى ثلاثة غرباء من مدينة إيرري بولاية بنسلفانيا، والذين لم يزوروا ميدلاند من قبل. لكن هاري كان ضحيَّةً وحيدةً الآن.

قال هاري: "لماذا أنا؟". ذلك كان سؤالاً شائعاً في ميدلاند. كان الناس يسألونه دوماً بينما يُحمَلون إلى سيّارات الإسعاف بعد الحوادث من شتى الأنواع، أو عند القبض عليهم لسلوكٍ غير سليم، أو بعد تعرّضهم للسطو، أو بعد الضرب على أنوفهم، وما إلى ذلك. "لماذا أنا؟".

قالت فرانسين: "على الأرجح لأنه شعر أنك رجُلٌ بما فيه الكفاية، وصديقه بما فيه الكفاية، لتحمّله في أحد أيامه السيئة القليلة".

قال هاري: "ماذا سيكون شعورك إن أهان ملابسك؟". ذلك كان ما فعله له دواين: أهان ملبسه.

قالت فرانسين: "كنتُ لأتذكّر أنه أحسنَ صاحبِ عمَلٍ في المدينة". تلك كانت حقيقةً. دفع دواين رواتبَ عاليّةً، ووزّعَ أنصبّةً من الأرباح وحوافز كريسماس في نهاية كل سنة، وكان أوّلَ تاجرِ سيّارات في هذه الناحية من الولاية يُقدّمُ لموظّفيه "صليب أزرق- درع أزرق"، وذلك كان تأميناً صحياً. حُطّة التّقاعُدِ عنده كانت أفضلَ من أيّ حُطّة تقاعُدٍ في المدينة، باستثناء حُطّة شركة باريترون. باب مكتبه كان مفتوحاً على الدوام لأيّ موظّفٍ يودُ مناقشةً مُشكّلةً، سواء كانت متعلّقة بتجارة السيّارات أو لا.

مثلاً، في اليوم الذي أهان فيه ملابس هاري، قضى أيضاً ساعتين مع فيرنون جار، يناقش معه الهلاوس التي تمرُّ بها زوجته. قال فيرنون: "إنها ترى أشياء غير موجودة".

قال دواين: "لعلها تحتاج للراحة يا فيرن".

قال فيرنون: "والمسيح أشعرُ أنني أجنُّ أنا أيضاً. فأنا أعود للبيت لأحدِّث مع كلبى اللعين لساعات".

قال دواين: "هذا يجعلنا اثنين".

* * *

ذلك كان المشهد الذي دار بين هاري ودواين، وأغضب هاري كثيراً:

دخل هاري مكتب دواين بعدما غادر فيرنون. لم يتوقَّع أيُّ مُشكلة؛ لأنه لم يُقابل أيَّ مُشكلةٍ جادَّةٍ من قبل مع دواين.

قال لدواين: "كيف حال رفيق القتال القديم اليوم؟"

قال دواين: "جيدٌ بقدر ما هو مُتوقَّع. أيضًا يفتك شيءٌ بعينه؟"

قال هاري: "كلَّا".

قال دواين: "زوجة فيرن تحسبه يرغب في تحويل مخطها إلى بلوتونيوم".

قال هاري "وما البلوتونيوم؟"، وما إلى ذلك. تابعا الثرثرة، واخترع هاري مشكلةً لنفسه فقط ليحافظ على المحادثة حيَّة. قال إنه يحزنُ أحياناً لأنه لم يُنجب. وتابَع: "لكنني سعيدٌ بشكل ما أيضًا. أعني... لماذا أشارك في الزيادة السكانية؟"

لم يقل دواين شيئاً.

قال هاري: "ربما علينا تبني أحدهم، لكن الوقت فات. أقضي وزوجتي العزيزة أوقاتاً طيبةً برُفقةٍ بعضنا. فيمَ نحتاج الأطفال؟".

وكان بعد ذكر التَّبني أن انفجر دواين. كان هو نفسه ابنًا بالتَّبني لزوجين انتقلا من فرجينيا الغربية لميدلاند، ليَجنيًا مالاً كثيراً بالعمل كعمَّال في مصانع الحرب العالمية الأولى. أمُّ دواين الحقيقية كانت مُعلِّمةً عائسَ في مدرسةٍ، تكتبُ الشُّعرَ العاطفيَّ، وتدَّعي أنها من سلالة ريتشارد قلب الأسد، والذي كان ملكًا. أبوه الحقيقي كان مطبوعياً جَوَّالاً، أغوى أمه بطباعةٍ فصائدها. لم يُمرِّهم لجريدةٍ أو شيء من هذا القبيل. كان يكفيها أن تراهم مطبوعين.

كانت آلهة حمل أطفالٍ معطوبةٍ، دمَّرت نفسها أوتوماتيكياً بولادة دواين. أمَّا المطبوعي فاختفى، كان آلهة اختفاءً.

* * *

رُبَّمَا كَانَ ذِكْرُ مَوْضُوعِ التَّبْنِيِّ سَبَبًا لِتَفَاعُلِ كِيمِيَائِيٍّ مُؤَسِّفٍ فِي رَأْسِ دَوَايِنَ. عَلِ أَيْ حَالٍ فَقَدْ رَجَمَ فَجَاءَهُ هَارِي بِالتَّالِي: "يَا هَارِي، لِمَاذَا لَا تَأْخُذُ بَعْضَ الْخِرَقِ الْقَدِيمَةِ مِنْ فَيْرِنِ جَارٍ، وَتَنْقَعَهَا فِي "بَلُو صَانِكُو"، وَتَحْرِقَ بِهَا دَوْلَابَ مَلَابِسِكَ اللَّعِينِ؟ أَنْتَ تَجْعَلُنِي أَشْعَرُ وَكَأَنِّي فِي وَاطْسُونِ وَأَخَوَاتِهِ". وَاطْسُونِ وَأَخَوَاتِهِ كَانَ اسْمَ صَالَةٍ جِنَازَاتٍ لِلْبَيْضِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى الْأَقْلُ مَيْسُورِي الْحَالِ. بَلُو صَانِكُو كَانَ نَوْعًا مِنَ الْجَازُولِينَ. صُعِقَ هَارِي، ثُمَّ تَأَلَّمَ. لَمْ يَقُلْ دَوَايِنَ أَيْ شَيْءٍ عَنِ مَلَابِسِهِ طِيلَةَ السَّنَوَاتِ الَّتِي عَرَفَهُ فِيهَا. فِي رَأْيِ هَارِي، مَلَابِسُهُ كَانَتْ مُتَحَفُّظَةً وَأَنْيَقَةً. قُمْصَانُهُ كَانَتْ بِيضَاءً، وَرِبَطَاتُ عُنُقِهِ سُودَاءً أَوْ زُرْقَاءً، وَبِذَلَاتُهُ رِمَادِيَّةٌ أَوْ كُحْلِيَّةٌ، وَأَحْذِيَّتُهُ سُودَاءٌ مِثْلَ جَوَارِبِهِ.

قَالَ دَوَايِنَ وَقَدْ ارْتَسَمَ عَلَى وَجْهِهِ الْقَرْفُ: "اسْمَعْ يَا هَارِي، أَسْبُوعَ هَاوَايِ يَقْتَرِبُ، وَأَنَا جَادٌّ تَمَامًا فِيمَا أَقُولُ: أَحْرِقْ مَلَابِسَكَ وَاشْتَرِ غَيْرَهَا جَدِيدَةً، أَوْ اذْهَبْ لِلْعَمَلِ فِي وَاطْسُونِ وَأَخَوَاتِهِ. وَحَنِّطْ نَفْسَكَ بِالْمَرَّةِ وَأَنْتَ هُنَاكَ".

* * *

لَمْ يَسَعِ هَارِي فِعْلَ أَيْ شَيْءٍ إِلَّا تَرَكَ فَمِهِ يَتَدَلَّى مَفْتُوحًا. أَسْبُوعَ هَاوَايِ الَّذِي ذَكَرَهُ هَالِي كَانَ بَرْنَامَجًا دَعَائِيًّا لِلْمَبِيعَاتِ يَتَضَمَّنُ جَعَلَ الْوَكَالَةَ تَشْبَهُ جُزْرَ هَاوَايِ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ. وَمَنْ يَشْتَرِي سَيَّارَاتٍ مُسْتَعْمَلَةً أَوْ يَقُومُ بِتَصْلِيحَاتٍ يَفُوقُ ثَمَنَهَا خَمْسَمِائَةَ دُولَارٍ خِلَالَ الْأَسْبُوعِ؛ يَدْخُلُ أَوْتُمَاتِيكِيًّا فِي قُرْعَةٍ. يَفُوزُ فِيهَا ثَلَاثَةُ مَحْظُوظِينَ بِرِحْلَةٍ مَدْفُوعَةٍ التَّكَالِيفِ وَمَجَانِيَّةٍ بِالْكَامِلِ إِلَى لَاسْ فِيجَاسِ وَسَانَ فِرَانْسِيْسِكُو، ثُمَّ يَذْهَبُ وَاحِدًا أَوْ اثْنَانِ مِنْهُمْ إِلَى هَاوَايِ.

تَابَعَ دَوَايِنَ: "أَنَا لَا أَمَانِعُ أَنْ لَكَ اسْمَ سَيَّارَةِ بُوِيكِ يَا هَارِي فِي حِينِ يُفْتَرَضُ بِكَ بَيْعُ الْبُونْتِيَاكِ". كَانَ يَشِيرُ إِلَى حَقِيقَةِ أَنْ قَسَمَ بُوِيكِ

في شركة جنرال موتورز قد أصدر طرازاً من السيّارات يُدعى ليسابر. "أنت لا تستطيع فعل شيءٍ حيال ذلك". ثم ربّبت دواين على سطح مكتبه بنعومةٍ، كان في ذلك بشكلٍ ما وعيدٌ أكثر ممّا لو ضرب المكتب بقبضته. "لكن هناك أشياء عديدة تستطيع تغييرها يا هاري. أماننا عطلة أسبوعيّة طويلة، أتوقّع رؤية تغييرات كثيرة عندما آتي للعمل في صباح الثلاثاء".

عطلة نهاية الأسبوع كانت أطول لأنّ الاثنين القادم كان إجازة قوميّة، يوم المحاربين القدامى. الذي كان لتمجيد الناس الذين خدموا البلد مُرتدين زيّاً رسمياً.

قال دواين: "عندما بدأنا بيع البونتياك يا هاري، كانت السيّارة المناسبة لمُعلمات المدارس والجَدّات والخالات". تلك كانت حقيقةً. "لعلّك لم تلاحظ يا هاري، لكن البونتياك صارت مُغامرةً لامعة مُفعمةً بالشباب لمن يبحثون عن النشوة في الحياة. بينما أنت تلبس وتصرّف وكأننا في مَشرحة. انظر لنفسك في مرآة يا هاري، واسأل نفسك: مَنْ الذي يستطيع أن يربط رجلاً كهذا بالبونتياك؟".

كان هاري ليسابر مُختنقاً إلى حدّ لم يستطع معه تنبيه دواين أنه مهمّما كان مظهره- كان يُعرّف عنه أنه من أفضل مديري مبيعات البونتياك، ليس فقط في الولاية، لكن في الغرب الأوسط كلّهُ. كانت البونتياك أكثر السيارات مبيعاً في ميدلاند، برغم حقيقة أن سعرها لم يكن منخفضاً. كانت سيّارةً متوسطة السعر.

دواين هوَفر أخبر هاري ليسابر أن مهرجان هاواي، الذي لا يَبُعد أكثر من عَطْلَةٍ أسبوعيَّةٍ طويْلَةٍ، هو فرصة هاري الذهبيَّة للفكِّ والانبساط، ولِتَشجيعِ الآخرين على الانبساط أيضًا.

قال دواين: "هاري، عندي لك أخبارٌ سَعِيدَةٌ: قَدَّم لنا العِلْمُ الحَدِيثُ العَدِيدَ من الألوان الجديدة الرائعة يا هاري، ذات أسماء غريبة مُثيرة مثل الأحمر! والبرتقالي! والأخضر! والوردي! لم نَعُد عالقين مع الأبيض والأسود والرماديِّ فقط، أليست تلك أخبارًا رَائِعَةً يا هاري؟ ومجلس الولاية التشريعي أعلن لِتَوَّه أن الابتسام خلال ساعات العمل لم يَعد جريمةً يا هاري، وحصلت على وعدٍ شَخْصِيٍّ من المُحافظ، أن أحدًا لن يُرسل مرَّةً أخرى إلى جَنَاح الانحراف الجِنْسِيِّ في الهيئة الإصلاحية للبالغين، لِقولِه مَرَحَةٌ!".

* * *

ربما كان هاري ليسابر ليتجاوز كل ذلك بأقلِّ الأضرار، فقط لو لم يكن مُتَشَبِّهًا جِنْسِيًّا/ ترانسفيسيتيت في السَّرِّ. كان يُحِبُّ ارتداءَ ملابس النساء في عطلات نهاية الأسبوع. كان وزوجته يُنزِلان السَّتائر، ويتحوَّل إلى عصفور الجَنَّة.

لم يعرف سِرَّهُ أيُّ شَخْصٍ عدا زوجته.

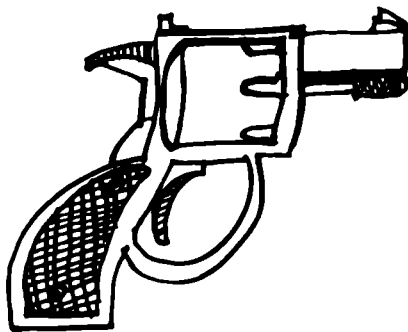
عندما وَبَّخَه دواين بشأن الملابس التي يرتديها في العمل، ثم ذكر جناح الانحراف الجنسي في الهيئة الإصلاحية للبالغين في شيردزتاون، شكَّ هاري أن سِرَّهُ قد كُشِفَ. ولم يكن ذلك مُجرَّدَ سِرٍّ مُضْحِكٍ. فيمكن أن يتعرَّض هاري للإيقاف جرَّاء ما يفعله في نهايات الأسبوع. قد تُفَرَّض عليه غرامةٌ تَصِلُ إلى ثلاثة آلاف دولار، ويُحَكَّم عليه بما يصل إلى خمس سنوات مع الشغل في جناح الانحراف الجنسي في الهيئة الإصلاحية للبالغين في شيردزتاون.

* * *

هكذا قضى هاري المسكين أسوأ عطلة يوم المحاربين القدامى مرّ بها. لكن دواين قضى أسوأ منها.

ذلك ما كانت آخر ليلة من تلك العطلة عليه بالنسبة لدواين: أخرجته الكيمياء السيئة من السرير. جعلته يرتدي ملابسه وكان هناك طوارئ ما ينبغي عليه التعامل معها. وكان ذلك بعد منتصف الليل، انتهى يوم المحاربين القدامى مع دقة الساعة الثانية عشرة.

جعلت الكيمياء السيئة دواين يأخذ مُسدّسه ذا الساقية عيار 38 المُحشوّ من تحت وسادته، ويحشّره في فمه. المُسدّس هو أداة هدّفاً الوحيد هو صنّع نُقوب في البشر، تبدو كذلك:



في ناحية دواين من الكوكب، يستطيع أي شخص أن يحصل على واحد من أقرب محلّ مُعدّات. امتلك كلّ رجال الشرطة مُسدّسات، وكذلك فعّل المُجرّمون، وكذلك فعّل من كانوا بينهم عالقين.

يُشير المُجرّمون بالمسدّسات إلى الناس ويقولون: "أعطني كلّ مالِك"، وعادةً ما يفعل الناس. ويشير رجال الشرطة بالمسدّسات إلى المُجرّمين ويقولون: "توقّف"، أو أيّاً كان ما يستدعيه الموقّف، وعادةً ما يفعل المجرّمون. وأحياناً لا يفعلون. أحياناً تغضب زوجة من زوجها لدرجة

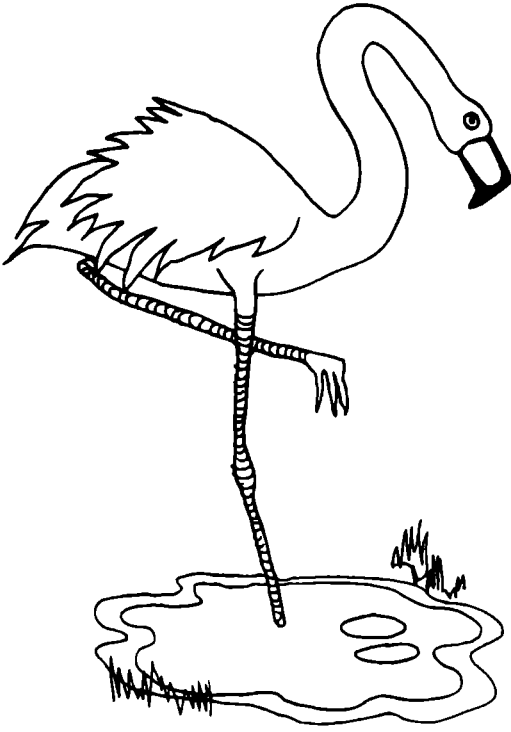
تجعلها تَضَعُ فِيهِ حُفْرَةً بِمُسَدِّسٍ. أحيانًا يَغْضِبُ الرَّجُلُ مِنْ زَوْجَتِهِ
فِيضِعُ فِيهَا حُفْرَةً. وَمَا إِلَى ذَلِكَ.

فِي ذَاتِ الْأُسْبُوعِ الَّذِي خَرَجَ فِيهِ دَوَايِنُ هُوَفْرٍ عَنِ طَوْرِهِ، وَضَعُ
وَلَدٌ فِي الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ ثُقُوبًا فِي أُمِّهِ وَأَبِيهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَرِغِبْ فِي
أَنْ يُرِيَهُمْ شَهَادَةَ دَرَجَاتِهِ الْمُنْخَفِضَةِ الَّتِي أَحْضَرَهَا مَعَهُ. خَطَّطَ مُحَامِيهِ
لِتَقْدِيمِ التَّمَاسِ يَدَّعِي أَنَّهُ أُصِيبَ بِالْجُنُونِ الْمُؤَقَّتِ؛ مَا يَعْنِي أَنَّ فِي
سَاعَةِ إِطْلَاقِ النَّارِ، لَمْ يَكُنِ الْفَتَى قَادِرًا عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الصَّوَابِ
وَالْخَطَأِ.

أحيانًا مَا يَضَعُ النَّاسُ ثُقُوبًا فِي الْمَشَاهِيرِ؛ لِيُصْبِحُوا مَشَاهِيرَ بِدَوْرِهِمْ.
أحيانًا مَا يَرْكَبُ النَّاسُ طَائِرَاتٍ يُفْتَرَضُ بِهَا السَّفَرُ إِلَى مَكَانٍ مَا،
وَيَعْرَضُونَ أَنْ يَضَعُوا الثَّقُوبَ فِي الطَّيَّارِ وَالطَّيَّارِ الْمُسَاعِدِ مَا لَمْ يَطِيرَا
بِالطَّائِرَةِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ.

وَضَعُ دَوَايِنُ فُوَهَةَ الْمُسَدِّسِ فِي فَمِهِ لَوْهَلَةٍ. شَعْرَ بِمِذَاقِ الزَّيْتِ.
كَانَ الْمُسَدِّسُ مُعَبِّأً، أَي كَانَتْ فِيهِ لِفَائِفٌ مَعْدِنِيَّةٌ أُنَيْقَةٌ صَغِيرَةٌ، تَحْتَوِي
مَسْحُوقَ الْفَحْمِ وَالْبُوتَاسِيُومِ وَالنِّتْرَاتِ وَالْكَبْرَيْتِ، عَلَى بُعْدِ بُوَصَاتٍ
قَلِيلَةٍ مِنْ مُخِّهِ. كُلُّ مَا كَانَ عَلَيْهِ فِعْلُهُ هُوَ سَحْبُ رَافِعَةٍ صَغِيرَةٍ،
فِيَتَحَوَّلُ الْمَسْحُوقُ إِلَى غَازٍ. وَالْغَازُ سَيْلِقِي كُتْلَةً رِصَاصٍ عِبْرَ أَنْبُوبَةٍ
الْمُسَدِّسِ إِلَى مُخِّ دَوَايِنِ.

لَكِنْ دَوَايِنُ اخْتَارَ أَنْ يُطَلِّقَ النَّارَ عَلَى وَاحِدٍ مِنْ حِمَامَاتِهِ الْمُغَطَّاءَةِ
بِالْبِلَاطِ بَدَلًا مِنْ رَأْسِهِ. وَضَعُ كُتْلًا مِنَ الرِّصَاصِ فِي مِرْحَاضِهِ وَحَوْضِهِ
وَكَابِينَةِ اسْتِحْمَامِهِ. كَانَ عَلَى زُجَاجِ كَابِينَةِ الاسْتِحْمَامِ صُورَةً لِطَائِرِ
فَلَامَنْجُو، تَبْدُو كَتَلِكِ:



أَطَلَقَ دَوَايِنَ النَّارِ عَلَى الْفَلَامَنْجُو.

اغْتَاطَ عِنْدَمَا تَذَكَّرُ ذَلِكَ فِيمَا بَعْدُ. ذَلِكَ مَا دَمَدَمَ بِهِ حِينَهَا:

"طَائِرٌ غَبِيٌّ مُقْرِفٌ."

* * *

لَمْ يَسْمَعْ أَحَدُ الطَّلَقَاتِ. كُلُّ الْمَنَازِلِ فِي ذَلِكَ الْحَيِّ كَانَتْ مَعزُولَةً صَوْتِيًّا. إِنْ كَانَ هُنَاكَ صَوْتُ مَا يَرِغَبُ فِي الدَّخُولِ إِلَى -أَوْ الْخُرُوجِ مِنْ- مَنْزِلِ أَحْلَامِ دَوَايِنَ، عَلَيْهِ أَنْ يَمُرَّ عِبْرَ بَوْصَةٍ مِنَ الْجَبَسِ، وَحَاجِزٍ مِنْ

بخار البوليسترين، ولوح من ورق الألومنيوم، وثلاث بوصات من الهواء، ولوح ورق ألومنيوم آخر، وبطانية ثلاث بوصات من الصوف الزجاجي، ولوح ورق ألومنيوم آخر، ولوح سُمكُه بوصة من نشارة الخشب المضغوطة، وورق قطران، وبوصة من التغليف الخشبي، ومزيد من ورق القطران، ثم كساء خارجي من الألومنيوم المُجَوَّف. الفراغ داخل الألومنيوم مملوء بمادّة عازلة إعجازيّة، صُنِعَت خِصِيصًا لَتُسْتَخَدَمَ في الصواريخ التي ذهبت للقمر.

* * *

أضاء دواين الأضواء الغامرة المحيطة ببيته، ولعب كرة السلة في الساحة المُسفلّنة خارج جراحه ذي السيّارات الخمس.

كان سباركي كلب دواين قد اختبأ في البدروم عندما أطلق دواين النار في الحمّام. لكنه خرج الآن، وأخذ يشاهد دواين يلعب كرة السلة.

قال دواين: "أنا وأنت فقط يا سباركي"، وما إلى ذلك. كان يُحبُّ ذلك الكلب بلا شك.

لم يره أحدٌ يلعب كرة السلة؛ فقد كان يداريه عن جيرانه أشجارٌ وأجمةٌ وسياجٌ خشبيٌّ عالٍ.

* * *

وضع كرة السلة جانبًا، ثم ولجَّ في سيارة بليموث فيوري سوداء كان قد حصل عليها في مُقايضةٍ بالأمس. بليموث كانت من مُنتجات شركة كرايسلر، أمّا دواين فكان يبيع مُنتجاتٍ جنرال موتورز. قرّر أن يركب البليموث ليومٍ أو اثنين كي يبقى مُواكبًا للمنافسة.

بينما كان يخرج من البيت، فكّر أن من المهم أن يشرح لجيرانه لماذا هو في بليموث فيوري، هكذا صرخ من النافذة: "أواكب المنافسة!"، وأطلق النفير.

* * *

انطلق دواين بِسُرْعَةٍ في طريق المقاطعة القديم ومنه إلى الطريق السريع، الذي كان فيه وحده تمامًا. انحرف إلى المخرج 10 بسرعة مُتزايدَة، ارتطم بالحاجز، ودار حول نفسه عِدَّةَ مَرَّاتٍ. خرج إلى جادة يونيون بينما يقود للخلف، اعتلى رصيفًا، وتوقّف في ساحة خالية. كان دواين يمتلك الساحة.

لم يَرِ أَحَدًا أو يسمع شيئًا. لم يكن هناك مَنْ يعيش بهذه المنطقة. كان يُفترض بِرَجُلٍ شُرطَةٍ أن يجوب الأنحاء كُلَّ سَاعَةٍ تَقْرِيْبًا، لكنه كان يتعاون في زقاقٍ خَلْفِ مُسْتَوْدَعٍ ويسترن إيكتريك على بعد ميلَيْن. التعاون كان اللقب الذي تُطلقه الشرطة على النوم خلال الوظيفة.

* * *

ظل دواين في ساحته الخالية لفترة. شَغَّلَ الراديو. كل محطات ميدلاند كانت نائمةً تلك الليلة، لكن دواين اختار محطةً أغانٍ ريفيَّةً من فرجينيا الغربيَّة، والتي كانت تُعرضُ عليه عشرة أنواع مختلفة من شجيرات الزهور وخمس أشجار فاكهة مُقابلِ سِتِّ دولارات، والدفع عند الاستلام.

قال دواين: "بيدو لي عرضًا جيدًا"، وكان يعني ذلك. كل الرسائل تقريبًا في بَلَدِهِ، المُرسَلَة والمُسْتَقْبَلَة، وحتى التَّخاطُبِيَّة، كانت تتعلّق ببيع أو شراء شيءٍ لَعَيْنِ ما. كان وَقَعُ ذلك كأغاني قبل النوم على دواين.

5

بينما كان دواين هوفر يستمع لراديو غرب فيرجينا، حاول كيلجور تراوت أن ينام في صالة سينما بمدينة نيويورك. كان ذلك أرخص من قضاء الليلة في فندق. لم يفعل تراوت ذلك من قبل، لكنه يعلم أن النوم في صالات السينما من الأشياء التي يفعلها العجائز البذيئون. تمنى أن يصل إلى ميدلاند وقد صار أبداً عجوزاً على الإطلاق. كان يُفترض به أن يشارك في ندوة هناك بعنوان (مستقبل الرواية الأمريكية في عصر مكلوهان). تمنى أن يقول في الندوة: "أنا لا أعرف من هو مكلوهان، لكنني أعلم ما يعنيه أن تقضي ليلتك مع كثيرٍ من العجائز البذيئين في سينما بنيويورك. أيمكن أن نتحدث عن ذلك؟".

وتمنى أيضاً أن يقول: "هل هذا المكلوهان، أيًا كان من هو، لديه ما يقوله عن العلاقة بين القنادس المفتوحة على مصراعيها ومبيعات الكتب؟".

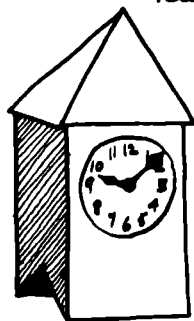
* * *

وصل تراوت من كوهوس في مساء ذلك اليوم. منذ ذلك الحين زار عَدَدًا من متاجر البورن ومتجر قمصان. اشترى اثنين من كتبه: (وباء على عَجَل) و(الآن بوسعي أن أقول)، ومجلة تحتوي على قصّة قصيرة له، وقميصًا للبدلة. اسم المجلة كان (حزام اللباس الأسود). قميص البدلة كان به كَشْكَشَةٌ عند الصدر. اشترى أيضًا -بناءً على نصيحة بائع القمصان- حزمة تَتَضَمَّنُ وشاحَ خَصِرٍ وزَهْرَةَ عُرْوَةَ وباييون، كلهم بلون اليوسفي.

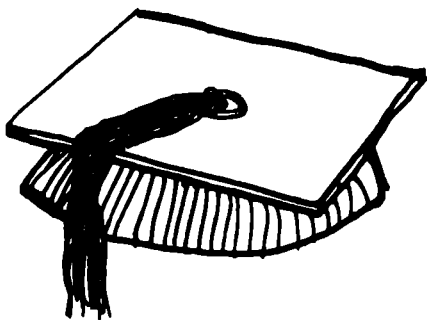
كل هذه المشتريات كانت في حِجْرِهِ، مع لَفَّةٍ من الورق البُنِّيِّ تحتوي على بذلته، وِسْتٌ سراويلَ داخِلِيَّةٍ، وِسْتٌ جوارب، وشفرة حلاقته وفرشاة أسنان جديدة. لم يكن عند تراوت فرشاة أسنان لسنوات طويلة.

* * *

أغْلَفْتُ كِتَابِي (وباء على عَجَل) و(الآن بوسعي أن أقول) وَعَدَت بكثير من القنادس المفتوحة على مصراعيها بالداخل. الصورة على غلاف (الآن بوسعي أن أقول)، وهو الكتاب الذي سِيُحَوَّلُ دواين هوفر إلى قاتلٍ مجنون، كانت لبروفيسور جامعيٍّ في بيت طالباتٍ تَنزِعُ عنه ثِيَابَهُ مَجْموعَةً من الفتيات العاريات. من نافذة بيت الطالبات المفتوحة يمكن رؤية بُرْج مَكْتَبَةٍ. الوقت بالخارج كان نهارًا، وفي البرج كانت ساعة. بَدَّت الساعة كذلك:



ملابس البروفيسور كانت منزوعةً بالكامل، إلا لباسه الداخلي
المُخَطَّطَ وجواربه وقُبَّعَتَه الجامعية، وهي قُبَّعَةٌ تبدو كتلك:



لم يكن داخل الكتاب أيُّ شيء له علاقة بروفيسور أو بيتِ طالباتٍ
أو بجامعةٍ على الإطلاق. الكتاب كان على شكل خطابٍ مُرْسَلٍ من
خالق الكون إلى الكائن الوحيد ذي الإرادة الحرَّة.

* * *

أما بخصوص القِصَّة في مجلَّة حزام اللباس الأسود، فتراوت لم
يكن يَمْلِكُ أدنى فكرةٍ أنها قُبِلَت للنشر. يبدو أنها قُبِلَت منذ أعوام؛
فالتاريخ على الغلاف كان أبريل 1962. وجدها تراوت بالصدفة في
سَلَّةِ مَجَلَّاتٍ قديمةٍ مُهمَّلةٍ بالقرب من مدخل المتجر. كانت مجلاتٍ
ملابسٍ داخلية.

عندما اشترى المجلة، حسبه الكاشير ثَمَلًا أو أبله؛ فكل ما سيجده
فيها هو صورٌ لنساء في ألبستهن الداخلية. ربما كانت أرجلهن مَفْتُوحَةً
على اتساعها، لكنهنَّ مُرتديات الألبسة. بالتالي لا ترقى لمناقسة القنادس
المفتوحة على مصراعيها المعروضة في مؤخِّرة المتجر.

قال الكاشير لتراوت: "أتمنى أن تستمتع بها". كان يعني أنه يتمنى لتراوت أن يجد صوراً جيدةً ليستمني عليها، بما أن ذلك هو الهدف الوحيد من كل الكتب والمجلات.

قال تراوت: "إنها لأجل مهرجان فنون".

* * *

أما بخصوص القصة ذاتها، فكان بعنوان (الأحمق الراقص). وكانت مثل العديد من قصص تراوت، عن الفشل الذريع في التواصل.

هذه كانت الحبكة: طبق طائرٌ يحمل كائناً اسمه "زوج" جاء إلى الأرض ليشرح للناس كيفية منع الحروب وشفاء السرطان. أحضر هذه المعلومات من مارجو، وهو كوكبٌ يتواصل سُكَّانه الأصليون بالضراط والرقص الإيقاعي. هبط "زوج" في كونيتيكت ليلاً. ما أن لمس الأرض حتى رأى بيتاً يحترق. هرع إلى البيت، يضرط ويرقص إيقاعياً ليُنذِر سُكَّانه بالخطر الذي يُهددهم. حطَّ رُبُّ البيت رأس "زوج" بمضرب جولف.

* * *

صالة السينما التي جلس فيها تراوت بكلِّ متاعه في حجره، لم تعرض إلا الأفلام البذيئة. الموسيقى كانت مُريحَةً. وعلى الشاشة الفضية كانت خيالات لشابٍ وشابةٍ يمتصان فتحات بعضهم الطرية ببراءة.

وفيما هو جالس، وضع تراوت رواية جديدة. كانت عن رائد فضاء أرضي وصل كوكباً ماتت فيه الحيوانات والنباتات وأشكال الحياة كلها، إلا البشر، من قرط التلوث. يأكل البشرُ هناك طعاماً مصنوعاً من الفحم والنفط.

قَدَّمُوا وليمةً لرائدِ الفضاء، الذي كان اسمه دون. كان الطعام مُريعًا. موضوع الحديث الأكبر كان الرقابة. آفةٌ مُدنيهم كانت صلات السينما التي لا تعرض إلا الأفلام البذيئة. تمَّنت الكائنات البشريَّة لو كانت هناك طريقة لإغلاقهم بشكلٍ ما، دون المَساس بحريَّة التعبير. سألوا دون إن كانت الأفلام البذيئة مُشكِّلةً في الأرض أيضًا، وقال لهم دون: "نعم". سألوه إن كانت الأفلام بذيئة جدًّا، وأجاب دون: "أبدأ ما يمكن أن تكون".

ذلك كان تحدِّيًا للكائنات البشرية، الذين كانوا مُتيقنين أن أفلامهم البذيئة تفوق أيَّ شيء على الأرض. هكذا تكوَّم الجميعُ في السيارات الهوائية، وطاروا إلى صالة سينما بذيئةٍ في وسط المدينة.

وصلوا في وقت الاستراحة، هكذا صار أمام دون وقتٌ للتفكير في ماذا قد يكون أكثرَ بذاءةً ممَّا شاهده بالفعل على الأرض. أصبح مثارًا جنسيًّا حتى قبل أن يبدأ الفيلم. النساء في صُحبته كُنَّ مُرتعشاتٍ مُتلويات.

ثم أظلمت القاعة وانفتحت الستائر. في البداية لم تُعرض أيَّة لقطات، ومن السَّماعات خرجت أصواتٌ تَلْمُظ وتَأوُّه. ثم ظهرت الصورة ذاتها. كان فيلمًا عالي الجودة لكائِنٍ بشريٍّ ذَكَر، يأكل ما بدا كتمرةٍ كُمثرى. اقتربت الكاميرا من شفثيه ولسانه وأسنانه، الذين التمعوا جميعًا بالعُصارة. أخذ وقته في أكلِ الكُمثرى. عندما اختفى آخرها في فمه الذي يسيل منه اللعاب، رَكَزَت الكاميرا على تفاحة آدم في رقبتِه. تراقصت تفاحة آدم بخلاعةٍ. تجشأ برضًا. ثم ظهرت هذه الكلمة على الشاشة، لكن بلُغة الكوكب:

النهاية

بالطَّبع كل ذلك كان مُزَيَّفًا. لم يُعد هناك أي كمثرى. ولم يكن أَكُلُ الكمثرى هو الحدث الرئيسي في تلك الأمسية على أيِّ حالٍ. كان عَرَضًا قصيرًا، سمح للحضور ببعض الوقت ليستقرُّوا في مقاعدهم.

ثم بدأ العَرَضُ الرئيسيُّ. كان عن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَطِفْلَيْهِمْ، وكلبهم وَقِطَّتِهِمْ. أكلوا دون توقُّفٍ طوال ساعة ونصف: حساء وملح وبسكويت وزبد وخضار وبطاطس مهروسة ومرق وفواكه وحلوى وكعك وفطير. لم تبتعد الكاميرا تقريبًا عن شفاههم الملمَّعة وتفاحات آدم المُتراقصة في أعناقهم أكثر من قَدَمٍ. ثم وضع الأبُ الكَلْبَ والقِطَّةَ على المائدة؛ ليستطيعوا المشاركة أيضًا في العَرَبْدَةِ الجَماعِيَّةِ.

بعد فترة، لم يستطع المُمثِّلون أَكُلَ المزيد. كانوا شبَعانين لدرجة أن أعينهم دارت في محاجرِها. بالكاد كانوا يستطيعون الحركة. قالوا إِنَّهُمْ رُبَّمَا لن يستطيعوا الأكل مُجدَّدًا لأسبوع، وما إلى ذلك. نظَّفوا المائدةَ ببطءٍ. ثم تهادَّوا إلى المطبخ، حيث ألقوا بحوالي 30 رطلًا من بقايا الطعام في سَلَّةِ القمامة.

هاجت الجماهير.

عندما خرج دون وأصدقاؤه من السينما، بادرتهم مومساتٌ بشريَّةً، وعَرَضْنَ عليهم تقديم بَيْضٍ وبُرْتقالٍ وحَلِيبٍ وزُبْدٍ ومكسرات وما إلى ذلك. بالطبع لم يكن بوسع المومسات تقديم ما وَعَدْنَ به.

الكائنات البشرية أَخْبَرَت دون أَنَّهُ لو ذَهَبَ مع مومس إلى بيتها؛ ستطبخ له وجبةً من منتجات الفحم والنفط بأسعار غالية. ثم ستحدِّثُ إليه ببذاءةٍ بينما يأكل، عن كيف أن الطعام طازجٌ وشهيٌّ وتَنزُّ منه العُصارةُ الطبيعيَّة، برغم أن الطَّعامَ كُلَّهُ مُزَيَّفٌ.

6

جلس دواين هوڤر في البليموث فيوري المُستعملة المُستقرّة في ساحته الخاوية لساعة، استمع خلالها لراديو غرب فيرجينيا. سمع عن التأمين الصّحيّ مُقابلَ قروشٍ يوميًّا، وعن كيف يحصل على أفضل أداء من سيارته. سمع عن كيف يتعاملُ مع الإمساك. عُرضَ عليه الإنجيل الذي فيه كلُّ ما قاله الرّبُّ ويسوع المسيح بصوتٍ عالٍ، مطبوعًا بحروف كبيرة حمراء. عُرضت عليه نباتاتٌ تجتذب الحشرات الحاملةً للأمراض في المنزل وتلتهمها.

خُزن ذلك كُله في ذاكرة دواين، إذ ربما يحتاجهم لاحقًا. كان في تلك الذاكرة أشياء كثيرة فعلاً.

* * *

بينما جلس دواين هناك وحيدًا، كانت أكبرُ سُكّان مدينة ميدلاند تموت في مستشفى المقاطعة، في نهاية جادة فيرتشايلد، والذي كان يبعدُ

تسعة أميال. اسمها كان ماري يونج، وعمرها كان مائة وثمانية أعوام. كانت سوداء. كان والداها عَبْدَيْن في ولاية كنتاكي.

كان هناك القليل ممَّا يَرِبُط ماري يونج ودواين هوڤر. غسلت ملابس أُسْرَة دواين بضعة أشهر، كان دواين في ذلك الوقت طفلاً صغيراً. حكّت لدواين الصغير قصصاً إنجيليةً وقصصاً عن العبودية، وَحَكَّتْ له عن شَنْقِ عَلَنِيٍّ لِرَجُلٍ أبيض شهدته في سينسيناتي عندما كانت طفلةً صغيرة.

تابع مُتَدَرِّبٌ أسود في مستشفى المُقَاتَعَة ماري يونج تموت من الالتهاب الرئوي.

لم يعرفها المُتَدَرِّب. لم يَمِضْ على وُجُودِها في ميدلاند إلاَّ أسبوعٌ واحدٌ. بل لم يكن حتى أمريكيًّا زميلًا في الوطن، رغم أنه نال شهادته في الطب من هارفارد. كان إندارويًا، كان نيجيريًّا. اسمه سيبريان أوكويندي. لم يشعر بأي قَرَابَةٍ تِجَاهَ ماري أو أي من السود الأمريكيين. شعر بالقرابة فقط تجاه الإندارويين.

بينما تموت، كانت ماري وحيدةً على ذلك الكوكب قَدَرٍ وَحْدَةٍ دواين هوڤر وكيلجور تراوت. لم تتكاثر قَطُّ. لم يكن هناك أي أصدقاء أو معارف يشهدون وفاتها. هكذا تفوَّهَتْ بكلماتها الأخيرة على ذلك الكوكب لسبيريان أوكويندي. لم يكن لديها نَفْسٌ كافٍ لتجعل حبالها الصوتية تَرِنُ. بالكاد حرَّگت شفيتها دون صوت.

هذا كل ما كان لديها لتقول عن الموت: "يا ربي، يا ربي".

مثل كل الكائنات الأرضية في لحظة موتها، أرسلت ماري يونج إشاراتٍ باهتةً لِكُلِّ مَنْ عرفوها تَدْكُرهم بها. خرج منها سِرْبُ فراشاتٍ تَخَاطُرِيَّةٍ صَغِيرٍ، مَسَّتْ إحداها بِخِفَّةٍ وَجَنَّةٍ دواين هوفر، على بُعْدِ تِسْعَةِ أُمِيالٍ.

سمع دواين صوتًا واهنًا من مكان ما خلف رأسه، برغم أن أحدًا لم يكن هناك. قال الصَّوتُ لدواين: "يا ربي، يا ربي".

* * *

كيمياء دواين السَّيِّئَةِ جعلته يُحَرِّكُ نَاقِلَ سُرْعَاتِ سَيَّارَتِهِ، وقادها خارجًا من السَّاحَةِ الخالية. مضى بهدوءٍ على طول جادَّةِ يونيون، والتي كانت تُوازي الطَّرِيقَ السَّرِيعَ.

تَجَاوَزَ مَقَرَّ عَمَلِهِ الرئيسي، والذي كان (قرية بونتياك دواين هوفر عند المخرج 11)، ثم دار إلى ساحة انتظار الهوليداي إنَّ الجديد المجاور. امتلك دواين ثلث الهوليداي إنَّ، بالشَّرَاكَةِ مع د.ألفريد ماريتيمو، طبيب الأسنان الأول في ميدلاند، وبيل ميلر، الذي كان، من بين عدَّة أشياء، رئيسًا للجنة إطلاق السَّراح المشروط في الهيئة الإصلاحية للبالغين في شيردزتاون.

صعد دواين إلى سطح الفندق على سلالِمِهِ الخَلْفِيَّةِ دون أن يُقَابِلَ أحدًا. كان القمر كاملاً. كان هناك قمران كاملان. كان مركز ميلدريد باري التَّذكاري للفنون كُرَّةً شَفَافَةً على أعمدة، وكان مُضَاءً مِنَ الدَاحِلِ، فبدا مثل قمر.

* * *

تأمَّل دواين المدينة النَّائمة. كان قد وُلِدَ هناك، قضى سنواتٍ عُمُرِهِ الثَّلَاثَةَ الأولى في دار أيتامٍ على بُعْدِ مِيلَيْنِ من حيث يقف، تبنَّاه آل هوفر وعلموه هناك.

لم يملك وكالة البونتيك وجزءاً من الهوليداي إنَّ الجديد فقط. بل امتلك أيضاً ثلاثة فُرُوعٍ بِرَجَرٍ تشيف، وخَمَسَ مَغاسِلِ سَيَّاراتٍ تعمل بالعمّلات المعدنية، وأنصَبَةً من سينما سيارات شوجر كريك، ومحطة راديو دابليو. إم. سي. واي.، وثلاثة ملاعب جولف صغيرة، وسبعمائة سَهْمٍ في باريترون المحدودة، وهي شركة إلكترونيات محلية. وامتلك عشرات الساحات الخاوية. وكان في مجلس إدارة بنك مقاطعة ميدلاند الوطني.

لكن مدينة ميدلاند بدت الآن لدواين غريبةً ومُخيفَةً.

قال: "أين أنا؟".

بل أنه نَسِيَ حَتَّى -على سبيل المثال- أن زوجته سيليا انتحرت بتناولِ الدرانو، وهو مزيجٌ من الصُوديوم والهيدروكسيد ورقائق الألومنيوم، والذي كان يُستخدَمُ لتنظيف المصارف. تحوّلت سيليا لبركان صغير، بما أنها كانت مُكوَّنةً من نفس أنواع المواد التي تَسدُّ عادةً المصارف.

نسي حتى أن ابنه الوحيد، قد كبر ليصبح مثليّ الجنس سيئ السُّمعة. كان اسمه جورج، لكن الجميع كانوا يُلقَّبونه باني. كان يعزف على البيانو في بار الهوليداي إنَّ الجديد.

قال دواين: "أين أنا؟".

7

تَبَوَّلَ كيلجور تراوت في حَمَّامِ الرجالِ بصالةِ السينما في نيويورك. بجوار المنشفة على الحائط كان هناك مُلصَقٌ يُعَلِنُ عن صالةِ مَسَاجٍ تُدعى "حريم السُّلطان". كانت صالاتِ المَسَاجِ شيئاً حديثاً ومُثيراً في نيويورك. بوسع الرجالِ الذَّهابُ إلى هناك وتصوير نساءٍ عاريات، أو الرسم على أجساد نساءٍ عارياتٍ بألوانِ مياه. ويمكن أن يُدَعَكَ الرَّجُلُ بِالكَامِلِ مِنْ قَبْلِ امْرَأَةٍ حَتَّى يَقْذِفَ قَضِيْبُهُ مَاءً فِي مَنَاشِفِ تَرْكِيَّة.

قال كيلجور تراوت: "يا لها من حياةٍ كَامِلَةٍ مُبارَكَة".

وكان هناك رسالة مكتوبة بالقلم الرصاص على البلاط بجوار المنشفة. تلك كانت الرسالة:

ما الهدف من الحياة؟

بحث تراوت في جيبه عن قلم جافاً أو رصاص. كانت لديه إجابة على السؤال. لكن لم يملك ما يكتب به، ولا حتى عودَ كبريتٍ مُحترق. هكذا ترك السؤال دون إجابةٍ. لكن هذه الإجابة التي كان سيكتبها لو كان وجد ما يكتب به:

أن تكون

أعين

وآذان

وضمير

خالقِ الكونِ

يا حمار

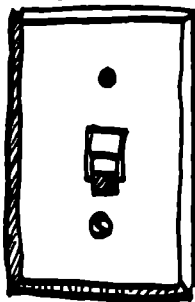
خلال عودة تراوت إلى مقعده في الصالة، تسلّى بلعب دور أعين وآذان وضمير خالقِ الكون. أرسل بالتخاطرِ رسائلَ للخالقِ، أينما هو. أبلغه أن حمّامَ الرجال كان نظيفاً مثل القشدة. وأرسل إشارةً من اللوبي تقول: "السّجّاد تحت قدمي ناعمٌ وجديد. أظنّه مصنوعاً من نسيجٍ عجيب ما. إنه أزرق. أنت تعلم ما أقصده بـ أزرق؟"، وما إلى ذلك.

عندما عاد إلى قاعة العرض نفسها، كانت الأضواء مُنارةً. لم يكن هناك أحدٌ سوى المدير، والذي هو أيضاً قاطعُ التذاكر والحارس وعامل النظافة. كان يكنسُ القاذورات من بين المقاعد. كان رجلاً في منتصف العمر. قال لتراوت: "لا مزيدَ من المرحِ اللَّيلة يا جدّي. حان وقت الرجوع للبيت".

لم يعترض تراوت، ولم يمض من فوره أيضاً. فحص صندوقاً معدنياً أخضرَ مصقولاً في مؤخّرة القاعة. كان يحتوي على آلة العرض والنظام

الصوتي والأفلام. وهناك سِلْكٌ يَرَبْطُ بين الصندوق ومقبس كهرباء في الحائط، وفتحة في مُقَدِّمَةِ الصندوق، منها تخرج الصُّور. بجوار الصندوق كان هناك مِفْتَاحٌ بَسِيطٌ. بدا كذلك:

تشغيل



إيقاف

أثارت تراوت فِكْرَةً أَنَّهُ لم يكن بحاجة إلى ما يزيد عن نَقْرِ الزُّرِّ، فيعود الناس إلى المَصِّ والمُضَاجَعَةِ مُجَدِّدًا.

قال المدير بحدَّة: "تصبح على خير يا جَدِّي".

ذهب تراوت عن الآلة وهو لا يكاد يفعل. قال عنها للمدير ذلك: "كم تسدُّ هذه الآلة من احتياجٍ، وكم يسهل تشغيلها".

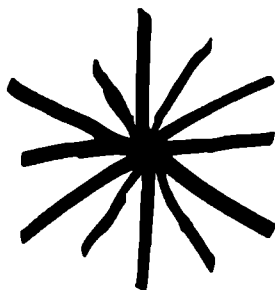
وفيما هو يغادر، أرسل تراوت رسالةً تَخاطُريَّةً لخالق الكون، لاعبًا دَوْرَ أَعْيُنِهِ وَأَذَانِهِ وضميره: "أنا مُتَّجِهٌ الآن إلى شارع 42. ماذا تعلم عن شارع 42؟".

8

مشى تراوت على رصيف شارع 42. كان مكانًا خطيرًا. المدينة كلها كانت خطيرةً. بسبب الكيمياء والتوزيع غير العادل للثروات وما إلى ذلك. كثير من الناس كانوا مثل دواين: خَلَقُوا كِيمِيَاءَ سَيِّئَةً داخل أجسادهم؛ ما أضر سلبًا على أدمغتهم. لكن كان هناك أيضًا عشرات الآلاف من سُكَّانِ المدينة الآخرين، الذين يشترون كيمياءً سَيِّئَةً ويأكلونها أو يستنشقونها، أو يحقنونها في عروقهم بأدواتٍ تبدو مثل تلك:



بل أن بعضهم كان يحشر أحيانًا الكيمياء السيئة في فتحات
مؤخراتهم. فتحات مؤخراتهم تبدو مثل تلك:



جازَفَ النَّاسُ بالكيمياء وأجسادهم؛ لأنهم أرادوا تحسین حياتهم.
فهم يعيشون في أماكن كريهة لا يُتاح فيها إلا عمل الأشياء الكريهة.
ولم يمتلكوا حتى الهواء، فلم يستطيعوا تحسین ما يحيط بهم. هكذا
فعلوا ما بوسعهم لجعل دواخلهم جميلةً عوضًا عن ذلك.

النتائج حتى الآن كارثية: انتحارٌ وسرقةٌ وقتلٌ وجنونٌ، وما إلى ذلك.
برغم ذلك يُطرح في الأسواق طوال الوقت كيمياء جديدة. على بُعد
عشرين قدمًا من تراوت في شارع 42، تمَدَّد فتى أبيض في الرابعة
عشرة فاقِدًا للوعي على عتبة متجَرِّ إباحيٍّ. كان قد ابتلع رُبْعَ لِترٍ
من مُزِيلِ طِلاءٍ من نوع جديد عُرض للبيع أوَّلَ مَرَّةٍ قبل يوم واحد.
وكان قد ابتلع أيضًا قُرصين كان يُفترَضُ بهما علاج الإجهاض المعدي
بين الغنم، ما يُعرف باسم مرض بانج.

تجمّد تراوت في مكانه بشارع 42. لقد أعطيته حياة لا تستحق أن تُعاش، لكنني أعطيته أيضًا إرادةً حديدية للحياة. ذلك كان مزيجًا شائعًا على كوكب الأرض.

خرج مدير السينما وأغلق الباب خلفه.

ومن الّا مكان تجسّدت بائعتا هوى صغيرتان سوداوان. سألتا تراوت والمدير إن كانا يبحثان عن بعض المرح. كانتا مبتهجتين وبلا خوف؛ فقد أكلتا أنبوبَ علاجٍ نرويجيٍّ للبواسير منذ نصف ساعة. لم يُعدّ هذه الأشياءَ صانعوها لتُوكّل. كان يفترض أن يحشرها الناس في فتحاتٍ مؤخراتهم.

هاتان كانتا فتاتين من الأرياف. نشأتا بمنطقةٍ زراعيّةٍ جنوب البلاد، حيث كان أسلافهم يُستخدمون كآلاتٍ زراعية. لكنّ المزارعين البيض لم يعودوا يستخدمون آلاتٍ مصنوعةً من اللحم الآن؛ لأن الآلات المصنوعة من المعدن باتت أرخص وأضمن، ولا تتطلّب سكينًا خاصًا. هكذا اضطرت الآلات السوداء للرحيل، للجوع حتى الموت. ارتحلوا للمدن؛ لأن كل مكان آخر كانت فيه لافتاتٌ مثل تلك على الأسوار والأشجار:



كتب تراوت ذات مرّة قِصَّة تُدعى (نعم أنت المقصود). وقعت أحداثها في جُزُر هاواي، المكان الذي يُفترض بالفائزين المحظوظين بمسابقة دواين هوفر في ميدلاند أن يذهبوا إليه. كل شبرٍ من الجُزُر كان ملكًا لواحدٍ من حوالي أربعين شخصًا، وجعل تراوت هؤلاء الأشخاص في قصّته يستغلّون حقوق ملكيّتهم بالكامل. فوضعوا لافتات "ممنوع الدخول" على كل شيء.

شكّل ذلك مُشكلةً كبيرةً لملايين الناس الآخرين الذين يعيشون هناك.

قانون الجاذبية كان يُحتم على الجميع أن يظّلوا مُلتصقين بمكانٍ ما على الأرض.

إمّا ذلك أو يمكنهم اللجوء إلى البحر والطفو بعيدًا عن الشاطئ.

لكنّ الحكومة الفيدرالية تدخلت بخطّة طوارئ. قدّمت لكلّ رجلٍ أو امرأة أو طفلٍ بلا ملكيّة خاصّة منطادًا مليئًا بالهيليوم.

تدلّى من كلّ منطادٍ حبلٌ في نهايته سرجٌ. وصار بوسع أهلِ هاواي -بمساعدة المناطيد- أن يظّلوا على جُزُرهم دون أن يلتصقوا بأشياء يمتلكها غيرهم.

باعتنا الهوى تعمالن الآن لصالحِ قَوَاد. كان مُذهلاً وقاسيًا. كان بالنسبة إليهما إلهاً. سلبهما إرادتهما الحرّة، ما كان أمرًا عاديًا تمامًا، فهما لم تريداهما على أيّ حال. كان الأمر وكأنهما سلّمتا نفسيهما للمسيح مثلًا، ليكون بوسعهما الحياة في أمانٍ وسلام، باستثناء أنهما سلّمتا نفسيهما لقَوَادٍ بدلًا من المسيح.

طفولتهما انتهت، والآن هما تحتضران. الأرض لم تُعد بالنسبة إليهما أكثر من كوكبٍ تافِهٍ يدَّعي أهميَّةً زائفةً.

عندما قال تراوت ومدير السينما، وهما تافهان مُدَّعيان، إنهما لا يرغبان في أيِّ مَرَحٍ تافِهٍ مُدَّعٍ، مَشَّت الطُّفلتان المحتضرتان الهويانا مُبتعدَتَيْن، أقدامهما تلتصق بالكوكب حينًا، ثم ترتفع، ثم تلتصق مُجددًا. ثم اختفتا في رُكنٍ قريب. تراوت، الذي كان أعين وأذان خالق الكون، عطس.

* * *

قال المدير "باركك الله". كان ذلك ردًّا أوتوماتيكيًّا يقوله كثيرٌ من الأمريكيين عند سَماعِ شَخِصٍ يعطس.

قال تراوت: "شكرًا". وهكذا بدأت صداقةٌ مُوقَّتةً.

قال تراوت إنَّه يَتَمَنَّى أن يصل آمِنًا لفندقٍ رخيص. قال المدير إنَّه يَتَمَنَّى أن يصل لمحطَّةِ المترو في ميدان التايمز. هكذا مَشَّيا معًا، يشجعهما صدى خطواتهما المُرتدُّ عن واجهات المباني.

قال المدير لتراوت القليلَ عن كيف يرى الكوكب. قال إنَّه مكانٌ له فيه زوجةٌ وطفلان. لا تعرف أُسْرَتُه أنه يُدير سينما تعرض أفلامًا زرقاء. يحسبونه يقوم بعمله كمهندسٍ استشاريٍّ إلى وقت مُتأخَّر من الليل. قال إن الكوكب لم يَعد بحاجةٍ كبيرةٍ لمُهَنْدِسِينَ في سِنِّه. رغم أنه ذات يوم كان يُبجِّلُهم.

قال تراوت: "أيام صعبة".

أخبر المديرُ تراوت أنه شارك في تطوير مادَّةٍ عَزَلٍ خارِقَةٍ، اسْتُخْدِمَتْ في سُنِّ الفضاء التي ذهبت للقمر. تلك كانت في الواقع نفس المادة التي أعطت كساء الألومنيوم في منزل أحلام دواين هوفر في ميدلاند خصائص العزلِ الإعجازيَّة.

ذَكَرَ المَدِيرُ تراوتَ بما قاله أوَّلُ رَجُلٍ خطا على القمر: "خطوة صغيرة للإنسان، قفزة عظيمة للبشرية".

قال تراوت: "كلام عظيم". نظر خلفه، لاحظ سيارة تورنيديو أولدزموبيل بيضاء ذات سقفٍ من الفينيل الأسود تتبعهم. كان تلك المركبة أمامية الدفع، ذات المحرك بقوة أربع مائة حصان، تَزْمَجِرُ بينما تمضي بسرعة ثلاثة أميال في الساعة بالقرب من الرصيف على بُعد عشر أقدامٍ خلفهما.

كان ذلك آخرَ ما تذكَّرَه تراوت: رؤية الأولدزموبيل خلفه.

* * *

لم يَدِرِ بِنَفْسِهِ بعدَ ذلك، إلا وهو راقِدٌ على يديه وقدميه في ملعب كرة يدٍ تحت جسر كوينزبورو في شارع 59، بالقرب من النهر الشرقي. بنطاله ولباسه حول كاحليته، وذهبت أمواله، وتناثرَ متاعه حوله: بذلته وقميصه الجديد وكُتْبُهُ، وكان الدَّمُ يَنْزُ من إحدى أُذُنَيْهِ.

داهمته الشرطة وهو يرفع بنطاله. أربكوه بالكشافات التي سُلِّطت عليه فيما كان يستند بظهره إلى الحائط في مَوْخِرَةِ الملعب ويتخبَّط بحماقةٍ مُحاولًا غَلَقَ الحِزام والأزرار والسوستة. افترضت الشرطة أنهم ضبطوه يرتكبُ فعلاً فاضحاً ما في مكانٍ عام، ضبطوه يستخدم ببالتة الألوان المحدودة للرجل العجوز، من الكحول والغائط.

لم يكن مُفلسًا بالكامل. كان في جيب السَّاعَةِ ببنطاله عشرة دولارات.

* * *

اتَّضَحَ في المستشفى أن تراوت لم يُصَبْ بِضَرَرٍ جَدِّيٍّ. أخذوه إلى قسم الشرطة حيث استجوبوه. كل ما استطاع قوله كان أنه تعرَّض للاختطاف على يد الشرِّ الخام الكامن في أولدزموبيل بيضاء. أرادت

الشرطة أن تعرف كم كان عدد الأشخاص في السيارة، وأعمارهم، وجنسهم، وألوان بشرتهم، وطريقة حديثهم.

"بقدر ما أعلم، ربما لم يكونوا من الأرض أصلًا، ربما كان في السيارة غازاتٌ ذكيَّةٌ من بلوتو".

* * *

قال تراوت ما قال ببراءةٍ، لكن اتَّضحَ أن تعليقه سيكون الفيروس الأول في وباءٍ عقليٍّ. ذلك كان كيف انتشر المرُضُ: كتب مراسلٌ صحفياً مقالاً في جريدة نيويورك بوست اليوم التالي، مُعتمداً على اقتباسٍ من تراوت.

نُشر المقالُ تحت ذلك العنوان:

عصابة بلوتو

تخطف اثنين

اسم تراوت بحسب المقال كان كيلمر تروتر، عنوانه غير معروف، وذُكِرَ أن عُمره اثنان وثمانون.

نَسَخَتِ صُحُفٌ أخرى المقال، وحوَّره البعض. اعتمدوا جميعاً على مَزْحَةِ بلوتو، وتحَدَّثوا كما لو أنهم يعرفون عصابة بلوتو من قبل. سأل المراسلون الشرطة عن أيِّ مَعْلوماتٍ جديدةٍ تخصُّ عصابة بلوتو، وهكذا انطلقت الشرطةُ تبحث عن مَعْلوماتٍ تخصُّ عصابة بلوتو.

* * *

هكذا تعلَّم النيويوركيون، الذين كانوا مُحَمَّلين بمخاوفٍ عديدهٍ بلا اسم، أن يخافوا بسهولة من شيء يبدو مُحَدِّداً مثل عصابة بلوتو. فاشتروا أقفالاً جديدة لأبوابهم، وشبَّاناً حديديةً لنوافذهم؛ ليحموا

أنفسهم من عصابة بلوتو. توقّفوا عن الذهاب لصالات السينما ليلاً؛ خوفاً من عصابة بلوتو.

وَنَشَرَتِ الصُّحُفُ الأجنبيّة الرُّعبَ، بنشرها مقالاتٍ تَنصَحُ مَنْ يُفَكِّرُونَ في زيارة نيوويورك، بأن يلتزموا بشوارعِ بَعِينِهَا، حتى يتجنّبوا عصابة بلوتو.

في واحدٍ من جيتوهات نيوويورك المُتعدّدة لذوي البشرة الدّاكنة، اجتمع مجموعةٌ من الشباب البورتوريكيّين في قَبو مَبْنَى مَهجورٍ. كانوا صغاراً، لكنهم كانوا كثرةً وساخني الدماء. تَمَنّوا أن يصبحوا مُخيفين، ليقدروا على الدفاع عن أنفسهم وأصدقائهم وعائلاتهم، وهو شيء لن تَفْعَلَهُ الشُّرْطَةُ. أرادوا أيضاً طَرْدَ مُرَوِّجِي المُخدّرات من أحيائهم، وأن يصبحوا مشهورين كفايةً، وهو أمرٌ في غاية الأهمية؛ لِلْفَتِ انتباه الحكومة، فتقوم الحكومة بعملٍ أفضلٍ في جَمعِ القِمَامَةِ وما إلى ذلك. أحدهم، وكان يُدعى خوسيه ميندوزا، كان رَسَامًا لا بأس به. هكذا رسم شِعَارُ عِصَابَتِهِم الجديدة على ظهور معاطفهم. وذلك كان الشّعار:



٩

بينما كان كيلجور تراوت يُسَمِّمُ دون قَصْدِ الوَعْيِ الجَمْعِيَّ لمدينة نيويورك، كان دواين هوفر، تاجر البونتيك الذي خَفَّ عَقْلُهُ، ينزل من سطح فُنْدُقِهِ في الغرب الأوسط.

دخل دواين لوبي الهوليداي إنَّ المَغْطَى بالسَّجَادِ قبل شروق الشمس بقليل ليطلب غُرْفَةً. برغم غرابة السَّاعَةِ، إلَّا أَنَّهُ كان هناك رَجُلٌ يَسْبِقُهُ، رَجُلٌ أَسْوَد. كان سيبريان أوكويندي، الطبيب الإنداروي النيجيري، الذي يُقِيمُ في الهوليداي إنَّ الجديد إلى أن يَجِدَ شَقَّةً مُنَاسِبَةً. انتظر دواين بتواضع. كان قد نسي أَنَّهُ يَمْتَلِكُ جزءًا من الفندق. أمَّا بالنسبة للسكن في مَكَانٍ يَسْكُنُهُ رَجُلٌ أَسْوَدُ، فقد تَفَلَّسَفَ دواين في هذا الشَّأْنِ. أَحْسَسَ بِنَوْعٍ من السَّعَادَةِ المُرَّةِ بينما يقول لنفسه: "الزمن دَوَّارٌ، الزَّمن دَوَّارٌ."

* * *

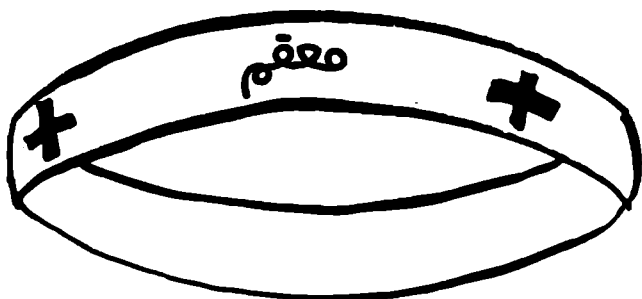
كان مُوظَّف الاستقبال الليليُّ جديداً؛ فلم يعرف دواين. جعله يملأ استمارةً تَسْجِيلٍ كَامِلَةٍ. ودواين بدوره اعتذَرَ لِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِ رَقْمِ لَوْحَةٍ ترخيصِ سَيَّارَتِهِ. شعر بالذنب حيال ذلك، برغم علمه أنه لم يرتكب ما يستحقُّ الشُّعُورَ بِالذَّنْبِ.

ابتهج عندما أعطاه الموظَّفُ مفتاحَ غُرْفَةٍ. لقد نجح في الاختبار. وكم أحبَّ الغرفة. كانت جديدة جداً، وباردة جداً، ونظيفة جداً. وكانت مُحايدةً جداً. كانت شقيقةً آلافِ غُرَفِ الهوليداي إنَّ في جميع أنحاء العالم.

ربما اختلط على دواين ما الذي تعنيه حياته، أو ما الذي عليه فِعْلُهُ بها الآن. لكن هذا على الأقل فَعَلَهُ كما ينبغي: لقد أوصل نفسه إلى حاويةٍ بَشَرِيَّةٍ لا تشوبها شائبة.

كانت في انتظار أيِّ شخص، كانت في انتظار دواين.

حول المرحاض كان هناك شريطٌ وَرَقِيٌّ يتوجَّب عليه نَزْعُهُ قبل استخدام المرحاض، كان يُشبهُ ذلك:



الإطارُ الورقيُّ كان يضمن لدواين أنه ليس بحاجةٍ إلى الخوف من أن تتسلَّق حيواناتٌ صغيرةٌ تُشبهُ البرَّيمةَ مؤخَّرته وتدخل من فتحتها وتأكل أسلاكه. هكذا قلَّت الأشياءُ التي قد تُقلِّقُ دواين واحداً.

* * *

كانت هناك لافتة صغيرة تتدلَّى من المقبض الداخلي للباب، والتي علَّقها دواين الآن على المقبض الخارجي للباب. كانت تبدو كتلك:



فتح دواين السّتائر التي تصل بين السقف والأرض لدقيقة. رأى
لافتة تُعلِنُ عن وجود الفندق للمُساافرين المُتعبين على الطريق
السريع. بدت مثل تلك:

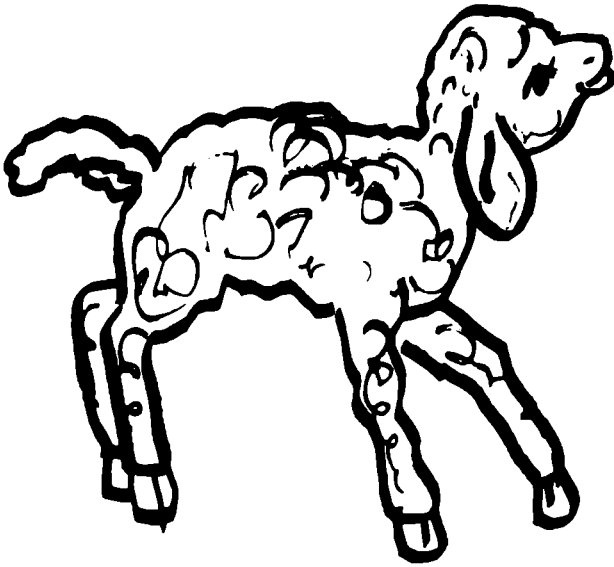


مكتبة

t.me/t_pdf

أَغْلَقَ السَّتَائِرَ. شَغَّلَ التَّكْيِيفَ. نَامَ كَحَمَلٍ وَدَيْعٍ.

الْحَمَلُ هُوَ حَيَوَانٌ صَغِيرٌ تُحْكِي الْأَسَاطِيرُ عَلَى كَوْكَبِ الْأَرْضِ عَنْ
قُدْرَتِهِ عَلَى النَّوْمِ جَيِّدًا. يَبْدُو كَذَلِكَ:



10

أُطْلِقَتْ شُرْطَةُ مَدِينَةِ نِيويوركِ سَرَّاحَ كِيلْجورِ تَرَاوتِ مِثْلِ شَيْءٍ بِلَا وَزْنِ قَبْلِ الْفَجْرِ بِسَاعَتَيْنِ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ لِيَوْمِ الْمُحَارِبِينَ الْقُدَامِيِّ. عَبَرَ جَزِيرَةَ مَانِهَاتِنِ مِنْ شَرْقِهَا لِعَرْبِهَا، بِصُحْبَةِ الْمَنَادِيلِ الْوَرَقِيَّةِ وَالصُّحُفِ وَالسُّخَامِ.

تَمَكَّنَ مِنَ الْحَصُولِ عَلَى رَكُوبَةٍ فِي سَيَّارَةٍ نَقَلَ. كَانَتْ تَنْقُلُ 78 أَلْفَ رَطْلٍ مِنَ الزَّيْتُونِ الْإِسْبَانِيِّ. التَّقَطَّتْهُ عِنْدَ مَدْخَلِ نَفَقِ لِينْكولْنِ، وَالَّذِي كَانَ اسْمُهُ عَلَى اسْمِ رَجُلٍ كَانَ لَدَيْهِ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالخِيَالِ مَا يَكْفِي لِأَنْ يَجْعَلَ اسْتِرْقَاقَ الْبَشَرِ مُخَالِفًا لِقَانُونِ الْوَالِيَّاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ. ذَلِكَ كَانَ اخْتِرَاعًا حَدِيثًا.

أَطْلَقُوا سَرَّاحَ الْعَبِيدِ بِبَسَاطَةٍ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَدَيْهِمْ أَيُّ أَمْلاكٍ. كَانَ يَسْهُلُ تَمْيِيزُهُمْ؛ فَقَدْ كَانُوا سَوْدَاءً. صَارُوا فَجْأَةً أَحْرَارًا لِيَسْتَكْشِفُوا الْعَالَمَ.

* * *

السَّائِقِ -الذي كان أبيض- أخبر تراوت أن عليه التَّمَدُّدَ على الأرض حتى يبلغوا الريفَ المَفْتُوحَ؛ إذ إنَّ التقاطه للركَّابِ المَتَطَفِّلِينَ كان مُخَالِفًا للقانون.

* * *

كان الظَّلَامُ لا يزال مُخَيِّمًا عندما طلب من تراوت أن ينهض. كانوا يعبرون مراعيَّ وسبخ نيو جيرسي المُسَمَّمة. كان للشاحنة جَرَّارٌ من طراز جنرال موتورز أسترو-95 ديزل، يَجْرُ مَقْطُورَةً طُولُهَا أربعون قَدَمًا. كانت هائلَةً إلى حَدِّ جَعَلِ تراوت يَشْعُرُ أنَّ رأسه بحجم طليقة مُسَدِّسٍ خَرَز.

قال السَّائِقُ أنه كان قبل زَمَنٍ طويلٍ صيَّادَ حيواناتٍ وأسمك. وكُلَّمَا تَخَيَّلَ ما كانت عليه المراعي والسُّبُح قبل مائة سَنَةٍ فقط من الآن ينكسر قلبه. "ثم تُفَكِّرُ في كُلِّ القَرَفِ الذي تُنتِجُه تلك المصانعُ: صابون وطعام قِطِطٍ ومشاريبُ غازِيَّةٌ..."

* * *

تلك كانت مَلْحُوظَةٌ جَيِّدَةٌ. عمليَّاتُ التَّصْنِيعِ كانت تُدْمِرُ الكوكب، وما يُصنَعُ كان في الغالب بلا فائدة.

ثم طرح تراوت ملحوظةً جَيِّدَةً بدوره، قال: "حسنًا. لقد كنتُ من دُعاةِ المُحافظَةِ على البيئَةِ. اعتدْتُ البُكاءَ والنُّواحَ على النُّسُورِ الصَّلعاء التي يُطلقون عليها النَّارَ من مدافع الهليكوبترات الآليَّة، ومثل هذه الأشياء. لكنني تخليتُ عن ذلك. هناك نَهْرٌ في كليفلاند تَشَبُّ فيه النَّارُ كُلَّ عامٍ من قَرِطِ تَلَوُّثِهِ. كان هذا يُغْضِبُنِي من قبل، لكنه يُضْحِكُنِي الآن. عندما تُسْرَبُ ناقِلَةٌ بترولٍ عَرَضًا شحنتها في المحيط، وتقتلُ ملايين الطيور ومليارات الأسماك، أقول "بالشِّفاء والعافية يا

ستاندارد أويل" أو أيًا كان أصحابها"، ثم رفع تراوت ذراعَيْه بحركة احتفالية وقال: "في مؤخَّرِكَ يا موبيل جاز".

استاء السائق من هذا. قال: "أنتَ تَمَزَح".

قال تراوت: "أدرِكتُ أن الرَّبَّ ليس ناشطاً بيئياً، فَمَن يكون كذلك هو مُهَرِّطٌ يُضَيِّع وقته. هل رأيتَ من قبل أحد براكينه أو أعاصيره أو فيضاناته؟ ألم يُخِرِّك أحدٌ عن العصور الجليدية التي تتعاقبُ كُلَّ نصف مليون سنة؟ وما رأيكَ في مرض الدَّرِدَار الهولندي؟ كم من الحفاظ على البيئة فيه؟ هذا من عمل الرَّبِّ لا الإنسان. إذا حلَّ وقتُ صرنا نُنظِّف فيه أنهارنا، سيكون الرَّبُّ على الأرجح قد أشعل المَجْرَةَ كُلَّها وكأَنَّها فيلم سيلولويد. هذا ما صار لنجم بيت لحم، أتعرف ذلك؟".

قال السائق: "ما الذي صار لنجم بيت لحم؟".

قال تراوت: "كان مَجْرَةً كاملةً مُشْتَعَلَةً كفيلم سيلولويد".

* * *

انبهر السائق. قال: "بالتفكير في الأمر، لا أظنُّ أن الإنجيل ذَكَرَ في أيِّ مكانٍ الحفاظَ على البيئة".

قال تراوت: "إلَّا إن أخذتَ في اعتبارك قِصَّة الطُوفان".

* * *

ظلاً صامتين لوهلة، ثم طرح السائق مَلحوظةً جَيِّدةً أخرى. قال إنه يَعْلَمُ أن شاحنته تُحوِّلُ العُلَافَ الجَوِّيَّ لغازٍ سامٍّ، وأنهم يُسْفَلِتون الكوكب كُلَّه حتى يستطيع الذهاب بشاحنته إلى أي مكان. قال: "أنا إذن أنتحر".

قال تراوت: "لا تَقَلِّقْ بشأن هذا".

تابع السائق: "إن أخي لأسوأ، فهو يعمل في مصنع كيماوياتٍ لِقَتْلِ النَّبَاتات والأشجار في فيتنام". فيتنام كان بلدًا تُحاولُ أمريكا جَعَلَ أَهْلِهِ يتوقَّفون عن كونهم شيوعيين عبر إلقاء الأشياء عليهم من الطائرات. الكيماويات التي ذكرها كانت تَهْدَفُ لِقَتْلِ أوراق النباتات؛ فيصعب أكثر على الشيوعيين الاختباء من الطائرات.

قال تراوت: "لا تَقْلُقْ بشأن هذا".

قال السائق: "على المدى البعيد، هو أيضًا ينتحر. يبدو أن الوظيفة الوحيدة التي تستطيع أن تعمل بها في أمريكا هذه الأيام، هي الانتحار بشكلٍ ما".

قال تراوت: "ملحوظة جيِّدة".

* * *

قال السائق: "لا أستطيع أن أُحدِّدَ إن كنتَ جادًا أم لا".

قال تراوت: "أنا نفسي لن أعرف إلا بعدما أكتشف إن كانت الحياةُ جادَّةً أم لا. أعلم أنها خطيرة، وأنها تُؤلِّمُ جدًّا. لكن هذا لا يعني بالضرورة أنها جادَّةٌ أيضًا".

* * *

بعدما صار تراوت شهيرًا، بالطبع، كان واحدٌ من أكبر الألباز المُحيطَةِ به هو سؤالٌ إن كان يَمْرَحُ أم لا. قال ذاتَ مَرَّةٍ لسائِلٍ لِحُوحٍ إنَّه يَعْقِدُ أَصَابِعَهُ دَوْمًا إن كان يَمْرَحُ.

وتابع: "ولِيَكُنْ في اعتبارك من فضلك، أني عندما قَدَّمْتُ لك هذه المعلومة التي لا تُقَدَّرُ بِثَمَنِ، كانت أصابعي معقودة".

وما إلى ذلك.

كان مُزَعَجًا مثل أُمِّ في الرقبة، بأكثر من شكل. صَجَّ منه سائِقُ الشاحنة بعد ساعة أو اثنتين. استغلَّ تراوت الصَّمْتِ لَوْضَعِ قِصَّةِ مُضَادَّةٍ لِلحِفاظِ على البيئَة، أسماها (جيلجونجو!).

جيلجونجو! كانت عن كوكبٍ تَعَيَسٍ بسببِ الخَلْقِ المُفْرِطِ الجاري فيه .

بدأت القصة بحفلة قامت لتكريم رَجُلٍ قَصَى على كائِناتِ دِيبَةِ الباندا اللطيفة بالكامل. كان قد سَخَّرَ حياته لهذا. صُنِعَت أَطباقٌ خاصَّةٌ للحَفلة، وأخذها الضيوفُ معهم لبيوتهم على سبيل التذكار. كان على كُلِّ منها صورةٌ لِدُبِّ صَغِيرٍ، وتاريخِ الحفلة. تحت الصورة كانت كلمة:

جيلجونجو!

والتي كانت تعني بِلُغَةِ ذلك الكوكب: "انقَرَضتْ!".

كان النَّاسُ سُعْداءً أَنَّ الدَّيْبَةَ كُلَّها جيلجونجو؛ لأن كوكبهم كان مُفَعَّمًا بأنواع كثيرة بالفعل، وفي كل ساعةٍ كان يأتي للوجود المَزِيدُ. لم تكن هناك طريقةٌ مُمَكِّنُ أَيِّ شَخِصٍ من الاستعداد لتَنوُّعِ الكائنات والنباتات المُربِكِ الذي سيقابِلُهُ على الأَرَجِحِ.

كان النَّاسُ يفعلون ما بوسعهم للحدِّ من عدد الأنواع، فتصبح الحياة مُتَوَقَّعةً أكثر. لكن الطبيعة كانت خَلَاقَةً أَكثَرَ منهم. في النهاية اختنقت كُلُّ أشكالِ الحياة بسببِ طَبَقَةِ حَيَّةٍ سُمَكُها مائَةٌ قَدَمٍ. تَكَوَّنَتِ الطَّبَقَةُ من الحَمَامِ المُهاجرِ ونسور برمودا وطيور الكري.

قال السائق: "على الأقل إنه الزيتون".

قال تراوت: "ماذا؟".

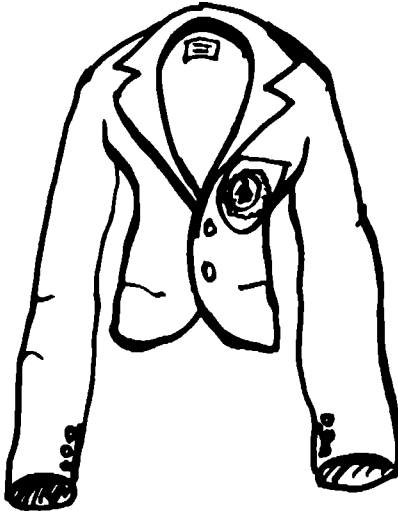
"كان بوسعنا أن ننقل أشياءً أسوأ بكثيرٍ من الزيتون".

قال تراوت: "صحيح". كان قد نسي أن ما يفعلانه بشكل أساسي هو نقل 78 ألف رطل زيتون إلى مدينة تولسا بأوكلاهوما.

تحدّث السائق عن السياسة قليلاً.

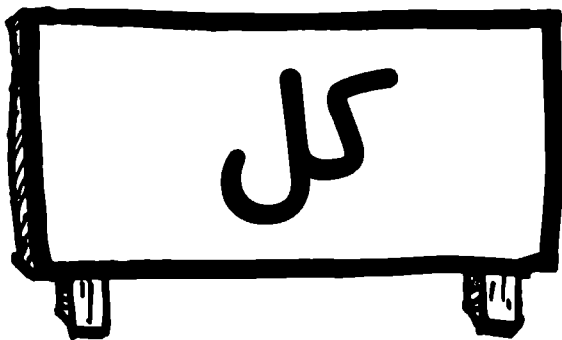
لم يكن تراوت قادراً على تفريقٍ سياسيٍّ من آخر. كانوا كلُّهم بالنسبة له قرودَ شمبانزي مُتحمِّسين بلا سِمَةٍ تُفرِّقُ واحِداً عن آخر. كتب ذات مرّةٍ قصّةً عن شمبانزي مُتفائلٍ صار رئيساً الولايات المتَّحدة الأمريكية. أسماها: "حيُّوا الزعيم".

ارتدى الشمبانزي سِترةً زرقاءَ صَغيرةً ذاتَ أزرارٍ بَرّاقَةٍ، مُطرزَ على جيب صدرها شعار رئيس الولايات المتحدة. بدتِ مثلَ تلك:



أينما ذهب، كانت الفِرْقُ الموسيقيةُ تَعْرِفُ "حَيُّوا الزعيم". أحبَّها
الشمبازي، وتقاوَزَ معها لأعلى ولأسفل.

توقَّفا عند مطعم. ذلك ما قالته اللافتةُ أمامَ المطعم:



فأكلا.

لمح تراوت أحمق يأكل أيضاً. كان الأحمق ذكراً أبيض بالغاً، ترعاه
مُمرضةٌ بيضاء. لم يكن بوسع الأحمق الحديث كثيراً، وكان يصعب
عليه إطعام نفسه. وَصَعَت الممرضةُ حول عنقه مريلة.

لكنَّ شهيتته كانت بلا شكَّ مَفتوحةً. تابعه تراوت وهو يجرف
كعك الوافل وأصابع السُّجق في فمه، ويتجرع اللبن وعصير البرتقال.
تأمل دواين -مُتعبباً- ضخامة الحيوان الذي صار عليه الأحمق، وكم
كانت سعادته مذهلةً أيضاً، بينما يشحن نفسه بالسُّعرات الحرارية
التي ستُعينه على تحمُّل يومٍ آخر.

قال تراوت هذا لنفسه: "الشحن لتحمُّل يومٍ آخر".

قال سائق الشَّاحِنَة لتراوت: "المَعذِرَة، أنا ذَاهِبٌ لِلتَّسْلِيكِ".

قال تراوت: "من حيثِ جِئْتُ، يعني هذا أَنَّكَ على وشك سرقةِ مِرآةٍ؛ فنحن نُسَمِّي المرآيا مَسَالِكَ".

قال السائق: "أنا لم أسمع ذلك من قبل". وكرَّرَ الكلمة: "مسالك". أشار إلى مِرآةٍ على آلة بَيْعِ السجائر. "أَتُسَمِّي هذه مسلِكًا؟".

قال تراوت: "ألا تبدو لك مثل مَسَلِكٍ؟".

قال السائق: "لا، قلتُ لي من أين أنت؟"، قال تراوت: "وُلِدْتُ في برمودا".

بعد أسبوعٍ تقريبًا، سيقول السائقُ لزوجته إن المرآيا تُسَمَّى مَسَالِكَ في برمودا، وستُكرَّرُ ذلك على مَسَامِعِ أصدقائها.

* * *

عندما اتَّبَعَ تراوت السائقَ عائِدًا إلى الشاحنة، ألقى أوَّلَ نَظْرَةٍ مُتَفَحِّصَةً على وسيلةِ مُواصلاتهم من على مَبْعَدَةٍ، رآها كُلِّها. كانت هناك رسالة مكتوبةٌ على جانبها بحروفٍ بُرتقاليَّةٍ صَخْمَة لامعة ترتفع ثماني أقدام. تلك كانت الرسالة:



تساءل تراوت، كيف كان طفلاً تَعَلَّمَ لِتَوْه القِراءة سَيُفَسِّرُ تلك الرسالة؟ كان ذلك الطفل ليفترض أن الرسالة شديدة الأهميَّة، بما أن أحدهم تكَلَّفَ عَناءَ كِتابَةِ حروفها بهذه الضَّخامة.

ثم، مُتظاهراً بأنه ذلك الطفل على جانب الطريق، قرأ الرسالة المكتوبة على جانب شاحنةٍ أخرى. تلك كانت الرسالة:



11

نام دواين حتى العاشرة في الهوليداي إنَّ الجديد. أصبح مُنتَعِشًا. تَنَاوَل الإفطار رقم خمسة في مطعم الفندق الشهر: "تالي- هو رووم". تُنَزَل الستائر في الليل عادةً، لكنها كانت مفتوحةً على مصراعيها الآن. سمحت للشمس بالدخول.

على المائدة المجاورة، كان سيبريان أوكويندي، الإنداروي النيچيري، يجلس وحيدًا أيضًا. كان يقرأ الإعلاناتِ المُبَوَّبةِ في صحيفة ميدلاند المحليَّة "بوجل- أوبزيرفر". كان بحاجةٍ إلى مكانٍ رخيصٍ يعيش فيه. مستشفى مقاطعة ميدلاند العامة كانت تتكفَّل بفواتيره في الهوليداي إنَّ إلى أن يَجِدَ مَكَانًا آخر، وقد ضاق صدرهم من ذلك.

كان أيضًا بحاجةٍ إلى امرأةٍ أو إلى بضع نساءٍ يُضاجِعَنَّهُ مِئات المَرَّات في الأسبوع؛ فقد كان مليئًا بالشَّبَقِ والمَنِيِّ طوال الوقت. اشتاق لأن

يكونَ مع أقاربه الإندارويين. في وطنه، كان لديه ستمائة قريبٍ يَعْرِفُونَهُ بالاسم.

وَجَهُ أوكويندي كان جامدًا بينما يطلب الإفطار رقمَ ثلاثة مع حُبْزٍ من القمح الكامل. خلف قناعه كان شابًّا يُعاني من نوستالجيا في مرحلة متأخرة، وخصيتي عاشقي.

على بُعدِ سِتَّةِ أقدام كان دواين هوفر يتأمل الطريقَ السريع المزدحم، الذي تغمره أشعةُ الشمس. كان يعلم أين هو. كان هناك خندقٌ مألوف بين ساحة انتظار السيارات في الفندق والطريق السريع، وهو حوض خرسانيٌّ بناه المهندسون ليحتوي جدولَ شوجر كريك. بعده كان الحاجز الفولاذي المنيع، الذي يمنع السيارات والشاحنات من السقوط في شوجر كريك. بعده كانت الحارات الثلاث المألوفة المتجهّة غربًا، بعدهم الفاصل العُشبيُّ المألوف، بعده الحارات الثلاثة المألوفة المتجهّة شرقًا، بعدهم حاجزٌ فولاذيٌّ آخرٌ مألوفٌ. بعد ذلك يأتي مطار ويل فيرتشايلد المألوف، ثم الأراضي الزراعية المألوفة في الخلف.

كلُّ شيءٍ كان مُسطَّحًا في الخارج: مدينة مُسطَّحة، في محافظة مُسطَّحة، في مقاطعةٍ مُسطَّحة، في ولاية مُسطَّحة. عندما كان دواين طفلًا، كان قد افترض أن الجميع تقريبًا يعيشون في أماكن مُسطَّحة بلا أشجار. تخيّل أن المحيطات والجبال والغابات كلها معزولة في مُتنزّهات الولايات والمُتنزّهات الوطنية. في الصّفِّ الثالث، خطُّ دواين الطُفْلُ مَقَالَهُ اقترح فيها إنشاءً مُتنزّهٍ وطنيٍّ عند انحناءة جدول شوجر كريك، المُسطَّح المائي الوحيد المُهمُّ على مدى أميالٍ ثمانية من مدينة ميدلاند.

قال دواين لنفسه اسم مُسَطَّحِ المياهِ الأليفِ هذا لنفسه، في صَمِتٍ: "شوجر كريك".

كان عُمق شوجر كريك قَدَمَيْنِ فقط، وعرضه خمسين ياردة عند انحناءته، حيث حسب دواين الصغير أن المكان مُنَاسِبٌ لِمُتَنَزَّهِهِ. بدلاً من ذلك صار الآن مركز ميلدريد باري التذكارى للفنون. كان جميلاً. عبث دواين بياقة قَمِيصِهِ، شعر ببادجٍ مُثَبَّتٍ فيها بدبُّوس. انتزعه، دون أن يتذكَّر ما يقول. كان لترويج مهرجان الفنون الذي سيبدأ هذا المساء. كان الناس يرتدون "بادجًا" مثل دواين في المدينة كلها. هذا ما كان على البادج:



كان شوجر كريك يفيضُ من حينٍ لآخر. يذكُرُ دواين ذلك. في أرض مُسَطَّحَةٍ لهذه الدرجة، فيضان المياهِ أمر جميل بشكل غريب.

ينسكب الجدول برفق هادئ من فوق حافتيه، مُكوِّناً مرآةً شاسعةً بوسع الأطفال اللعب فيها بأمان.

أظهرت المرأة للمواطنين شكل الوادي الذي عاشوا فيه، بيّنت أنهم أهل تلال يسكنون المنحدرات التي كلما ابتعدوا عن شوجر كريك ميلاً ارتفعت قدماً.

قال دواين اسم المسطح المائي بصمت مُجدِّداً: "شوجر كريك".

انتهى دواين من إفطاره، وجرّو على افتراض أنه لم يعد مريضاً عقلياً، وأنه شفيّ بمجرد تبديله محل الإقامة ونومه نوماً هنيئاً.

سمحت له كيميائه السيئة بعبور اللوبي ثم بار الفندق، الذي لم يفتح بعد، دون أن يشعر بأي شيء غريب. لكنه ما أن خطا من الباب الجانبي للبار إلى مراعي الأسفلت التي أحاطت بالفندق ووكالة البونتياك، حتى اكتشف أن أحدهم حوّل الأسفلت لنوع من الترامبولين.

عطست الأرض تحت وزن دواين، وانخفضت بدواين دون خط الشارع بكثير، ثم ارتفعت به ببطء مرةً أخرى، لكنّها إلى حد أدنى ممّا كانت عليه. كان في نقرة مطاطية ضحلة. خطا دواين خطوةً أخرى في اتجاه وكالته لبيع السيارات. غطس مُجدِّداً، ثم ارتفع مُجدِّداً، ووقف في نقرة جديدة.

حدّق حوله باحثاً عن شهود. كان هناك واحد فقط. وقف سيربان أوكويندي على حافة النقرة، دون أن يغرق. هذا كان كل ما قاله أوكويندي، حتى مع وضع دواين الاستثنائي:

"يوم لطيف".

تابع دواين من نُقْرَة إلى نُقْرَة.

أخذ يَنْطُ على طول ساحةِ السَّيَّاراتِ المُسْتَعْمَلَة.

توقّف في نُقْرَة، ونظر إلى فَوْق حيث يوجد شابُّ أسودُّ آخَرُ. كان هذا الشابُّ يُلَمِّع بِخِرْقَة سَيَّارَة بويك سكاى-لارك طراز 1970 حمراء ذات سقفٍ قابِلٍ للطِّي. لم يكن هذا الشابُّ يرتدي ما يُلَائِمُ ذلك العَمَل من ملابس. كان مرتدياً بذلَّة زرقاء رخيصة، وقَمِيصاً أبيض، ورَبْطَة عُنُق سوداء. وأيضاً: لم يكن فقط يُلَمِّعُ السَّيَّارَة، كان يَصْقُلُها. قام الشابُّ بمزيدٍ من الصَّقْل. ثم ابتسم لدواين ابتسامَةً ساطِعَةً، ثم عاد لصَقْلِ السَّيَّارَة مُجَدِّداً.

التفسير كان كالتالي: هذا الشابُّ الأسودُّ الصَّغير كان قد خرج لِتَوْه من الهيئة الإصلاحية للبالغين في شيردزتاون. كان بحاجةٍ للعمل فوراً، وإلا سيتضوّر جوعاً حتى الموت؛ لذا كان يعرض على دواين إلى أيِّ مَدَى هو عامِلٌ مُجَدِّدٌ.

كان قد تَنَقَّلَ بين المياتم وملاجئ الأطفال والسجون من شتّى الأنواع في منطقة ميدلاند منذ سنِّ التاسعة. الآن هو في السادسة والعشرين.

أخيراً صار حُرّاً.

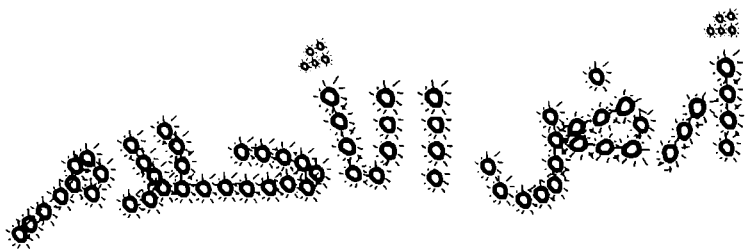
حَسِبَ دواين الشابُّ هَلُوسَةً.

عاد الشابُّ مُتَابَعَةً صَقْلِ السَّيَّارَة. لم تكن حياته تستحقُّ أن تُعَاش. رغبته في الحياة كانت واهنة. اعتقَدَ أن ذلك الكوكب كان شنيعاً، وأنه

لم يَكُنْ يجب أن يُرسل إليه. حدث خطأ ما. لم يكن له أصدقاء أو أقارب. وكانوا يضعونه في أقفاصٍ أغلب الوقت.

كان عنده اسمٌ لعالمٍ أفضل، وكثيراً ما رآه في الأحلام. كان الاسم سراً. وسيُعرض للسُّخريّة إن قاله بصوتٍ عالٍ. كان اسماً طفولياً.

كان بوسع "رَدِّ السجون" الأسود الشاب هذا رؤية الاسم في أي وقت يريد، مكتوباً بالأضواء داخل رأسه. هذا ما كان يبدو عليه:



* * *

كانت لديه صورة لدواين في محفظته. اعتاد تعليق صور دواين على جدران زنزانته في شيردزتاون. كان سهل الحصول عليهم؛ لأن وجه دواين المبتسم كان جزءاً من كل إعلان نَشَره في بوجل-أوبزيرفر، مع شعاره المكتوب أسفلها. تبدّلت الصورة كلّ سِتَّة أشهر. ولم يتغيّر الشعر طيلة خمسة وعشرين عاماً.

هذا كان الشُّعار:

اسأل أيَّ شخصٍ
تستطيع أن تثقَ في

دواين

ابتسم السَّجينُ الشابُّ السابق لدواين مرَّةً أُخرى. أسنانه كانت في حالة رائعة. برنامج علاج الأسنان في شيردزتاون كان ممتازًا، وكذا كان الطعام.

قال الشاب لدواين: "صباح الخير يا سيدي". كان بريئًا إلى حدِّ مُخيفٍ. لا يزال أمامه الكثير ممَّا عليه تَعَلُّمُه. لم يعرف أيَّ شيء عن النساء مثلًا. كانت فرانسين بيفكو أوَّل امرأةٍ يُكلِّمها منذ إحدى عشرة سنة.

قال دواين: "صباح الخير". قالها برفقٍ؛ حتى لا يحمِلَ الهَوَاءُ صَوْتَه بعيدًا، في حالةٍ كان يتحدَّث مع هَلَوَسَة.

قال المُطَلِّقُ سَراخُه: "سيدي، لقد قرأتُ إعلاناتِكَ في الصُّحف باهتمامٍ كبير، ووَجَدْتُ كثيرًا من السعادة في الاستماع لإعلاناتِكَ في الرَّاديو أيضًا". خلال آخر عام له في السجن، كان مهووسًا بفكرة وحيدة: أنه سيعمل ذات يوم عند دواين، ويعيش بعدها في تَبَات ونبات. ستكون تلك أرض الأحلام.

لم يُجب دواين على هذا، فتابع الشاب: "أنا عامِلٌ مُخْلِصٌ جدًّا يا سيدي، كما بوسعِكَ أن ترى. لا أسمع عنكَ غيرَ كُلِّ خير. وأظنُّ أن ربنا الرحيم قد كتب لي أن أعمل لديك".

قال دواين: "هه؟".

قال الشاب: "أسمأؤنا متشابهة للغاية، وكأُن ربَّنَا الرحيم يُخبرنا بما على كَلِينَا فعله".

لم يسأله دواين عن اسمه، لكنَّ الشَّابَّ المُتَوَهِّجَ أَخبره على أيِّ حال: "اسمي يا سيدي هو: واين هوبلر".

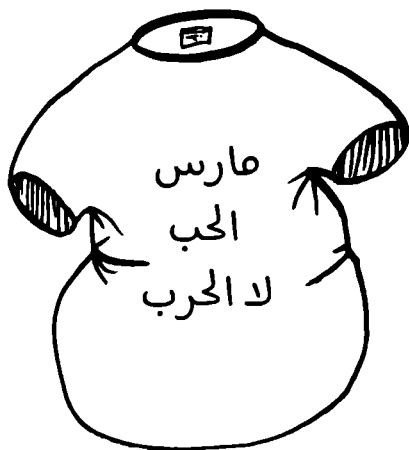
هوبلر كان اسمَ زُوجِ شائعٍ في جميع أنحاء ميدلاند.

كسر دواين قلب هوبلر بعدما هَزَّ رأسه بغموضٍ ثم مضى مبتعدًا.

دخل دواين صالَةَ عَرَضِ السِّيَّارات. لم تَعُدَّ الأرض تهبط تحته. لكنه رأى شيئًا آخر لم يَسْتَطِيع أن يَجِدَ لَهُ أيَّ تفسير: كانت هناك نَخْلَةٌ تقف خارجَةً من أرض صالَة العرض. كيمياء دواين السِّيَّاتَة جعلته ينسى كل ما يتعلَّق بأُسبوع هاواي. في الواقع، كان دواين هو مَنْ صَمَّم النخلة بنفسه. كانت عمودَ أسلاك تليفون مقطوعًا ومَلْفوفًا بالخيش، وفي أعلاه نُبِتَت بالمسامير ثَمَارُ جوز هند حقيقيَّة. ولمحاكاة الأوراق نُبِتَت ألواحٌ من البلاستيك الأخضر.

حَيَّرَت النَخْلَةُ دواين حتى كاد يفقد الوعي. ثم نظر حوله ورأى ثَمَارَ الأناناس والأوكوليلي (جيتارات هاواي) مُتَنائِرَةً في كل مكان.

ثم رأى أغرب شيء على الإطلاق: مدير مبيعاته، هاري ليسابر، قادمًا إليه، مُتَراقِبًا، مُرْتَدِيًا قميصَ رَقِصِ (ليوتارد) أخضر كالحَسِّ، وصندلاً من القش، وتُورَةٌ عُشبيَّة، وتيشيرت وردِيًّا يبدو مثل ذلك:



قضى هاري وزوجته العطلة الأسبوعية كلها يتجادلان في إن كان دواين قد اشتهبه في كون هاري ترانسفيستيت أو لا. استنتجوا أن دواين ليس لديه سبب ليفعل. لم يتحدث هاري مع دواين عن ملابس النساء، لم يدخل قط مسابقات جمال الترانسفيستيت، أو فعل ما يفعله كثير من الترانسفيستيتيين في ميدلاند، أي الاشتراك في نادي ترانسفيستيتيين كبير في سينسيناتي. ولم يذهب إلى حانة الترانسفيستيتيين، أي تلك التي في قبو فندق فيرتشايلد. ولم يتبادل صور البولارويد مع أي ترانسفيستيت آخر، ولم يشترك في مجلات ترانسفيستيتية.

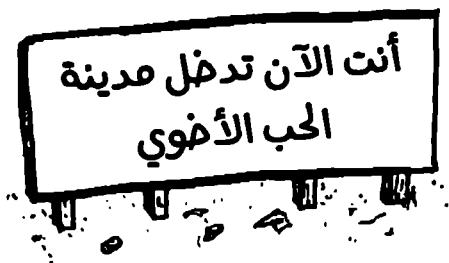
استنتج هاري وزوجه أن دواين لم يقصد أي شيء أكثر مما قال، وهو أن من الأحسن لهاري أن يرتدي شيئاً ما جامعاً من أجل أسبوع هاواي، وإلا سيُلقيه دواين خارجاً.

هكذا بات هاري الجديد الآن مُزدهراً بالخوف والحماس. شعر أنه شيق جميل محبوب، وحُرٌّ على نحو مفاجئ.

حيًا دواين بالكلمة الهوائية التي تعني (مرحبًا) و(وداعًا) في الآن ذاته. قال: "ألوها".

12

كان كيلجور تراوت بعيدًا جدًا، لكنه كان يُقصر المسافةً بينه وبين دواين بثباتٍ. لم يزل في الشاحنة المُسمّاة بالأهرامات. كانت تعبر جسرًا حَمَلَ اسم الشاعر والت ويتمان تكريماً له. غطّى الجسرَ الدُخانُ. وكانت الشاحنة على وشك أن تصبح جزءاً من فيلادلفيا. عند قَدَم الجسر كانت هناك لافتة تقول التالي:



كان تراوت في شبابه سيسخر من لافتةٍ عن الأخوة مُثَبِّتة على حافة خرابة، مثلما بوسع أيِّ شخصٍ أن يرى. لكنَّ رأسه لم يُعَد مرعى لأفكارٍ عمَّا كان يمكن أن تكون عليه الأشياء في هذا الكوكب أو ما كان يجب أن تكون، مُقارَنَةً بما هي عليه فعلاً. صار يعتقد أن ليس للأرض إلا شكلاً واحداً: شكلها الحالي.

كل شيءٍ ضروري. رأى امرأةً بيضاءً تبحث في حاوية قمامة. هذا ضروريٌّ. رأى لُعبَةً أحواض استحمام: بطَّة صغيرة مَطَّاطِيَّة، مُلقاة على جانبها في المجاري بجوار مصرفٍ أمطار. يجب أن تكون هناك. وما إلى ذلك.

ذَكَرَ السَّائِقُ أن اليوم السابق كان يومَ المُحاربين القدامى.

قال تراوت: "هممم".

قال السائق: "هل أنت مُحاربون قدامى؟".

قال تراوت: "لا، هل أنت؟".

قال السائق: "لا".

لم يَكُنْ أيُّهما مُحاربين قدامى.

تطرَّقَ السَّائِقُ إلى موضوع الأصدقاء. قال إنه بات من الصعب عليه أن يُحافظَ على علاقات صداقةٍ ذات أيِّ معنى؛ لأنه على الطريق أغلبَ الوقت. سخر من الوقت الذي اعتاد فيه أن يتحدث عن "أقرب الأصدقاء". حَمَّنَ أن الناس لا يعودون للحديث عن أقرب الأصدقاء بعدما يخرجون من المدرسة الثانوية.

أشار إلى أن تراوت، بما أنه يعمل في مجال تركيب نوافذ الرياح والستائر الألومنيوم، كانت لديه كلُّ فُرْصَةٍ لبناء العديد من الصّدقات المُمْتَدَّة في عمله. قال: "أعني أنه عندما يكون هناك رجالٌ يَعْمَلُونَ معًا يومًا بعد يَوْمٍ في تركيب هذه النوافذ، يعرفون بعضهم جيدًا".
قال تراوت: "أنا أعمل وحيدًا".

خاب أملُ السائق. "حسبْتُ أنها شغلانة تحتاج لشخصين".

قال تراوت: "واحد فقط. بوسع طفل صغير ضعيف أن يقوم بها دون مساعدة".

تمنّى السائق لو كان تراوت يحظى بحياة اجتماعية غنيّة حتى يستطيع الاستمتاع بها بالإجابة. أصرَّ: "ومع ذلك لديك بعض الأصحاب الذين تراهم بعد الشُّغل. تشربون البيرة وتلعبون الكوتشينة وتبادلون المزاح".

هَزَّ تراوت كتفيه.

قال له السائق: "أنت تمشي في الشوارع نفسها كُلَّ يَوْم. تعرف كثيرًا من الناس، ويعرفونك؛ لأنها الشوارع نفسها كُلَّ يَوْمٍ بالنسبة لكم جميعًا. تقول "مرحبًا" فيردُّون عليك "مرحبًا". تناديهم بأسمائهم فينادونك باسمك. وإذا وَقَعْتَ في ورطَةٍ حقيقية يساعدونك؛ لأنَّك واحدٌ منهم، تنتمي إليهم، فهم يَرَوْنَكَ كُلَّ يَوْم".

لم يرغب تراوت في مُجادلته.

* * *

نسي تراوت اسمَ السائق.

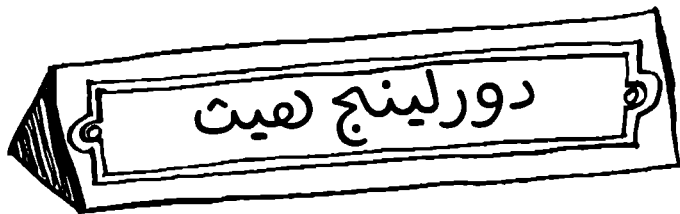
عاني تراوت من خَلَلٍ عَقْلِيٍّ عَانِيَتْ أَنَا أَيضًا مِنْهُ. لم يكن بوسعها تَذَكُّرُ شَكْلِ الْأَشْخَاصِ الْمُخْتَلِفِينَ فِي حَيَاتِهِ، إِلَّا لَوْ كَانَتْ أَجْسَادَهُمْ أَوْ وُجُوهُهُمْ غَرِيبَةً إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ.

عندما كان يعيش في كيب كود مثلًا، الشَّخْصُ الْوَحِيدُ الَّذِي اسْتَطَاعَ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ بِحَرَارَةٍ وَيُنَادِيهِ بِالاسْمِ كَانَ أَلْفِي بِيرسي، وَهُوَ أَمَهَقٌ ذُو ذِرَاعٍ وَاحِدَةٍ. كَانَ يَقُولُ: "هَلِ الْجَوْ حَارٌّ كَفَايَةَ الْيَوْمِ يَا أَلْفِي؟"، "أَيْنَ كُنْتُ تَخْتَبِي يَا أَلْفِي؟"، "يَا لَكَ مِنْ مَشْهَدٍ يَشْفِي الْعَيُونَ الْمُتَوَرِّمَةَ يَا أَلْفِي".

وما إلى ذلك.

* * *

الآن وقد صار يعيش في كوهوس، الشَّخْصُ الْوَحِيدُ الَّذِي يُنَادِيهِ بِاسْمِهِ كَانَ قِزْمًا أَصْهَبَ، إنْجِلِيزِيًّا، يُدْعَى دُورْلِينْجْ هَيْث، يَعْمَلُ فِي وَرْشَةِ تَصْلِيحِ أَحْذِيَةٍ. عَلَى مَنْضَدَةٍ عَمَلُهُ كَانَتْ هُنَاكَ لَوْحَةٌ اسْمُ ذَاتِ طَابَعٍ إِدَارِيٍّ، فِي حَالَةٍ إِنْ أَرَادَ أَحَدُهُمْ مَنَادَاتِهِ بِالاسْمِ. بَدَتْ اللَّوْحَةُ كَالآتِي:



كان تراوت يُعَرِّجُ عَلَى الْوَرْشَةِ مِنْ حِينٍ إِلَى حِينٍ، وَيَقُولُ أَشْيَاءَ عَلَى غِرَارٍ: "مَنْ الَّذِي سَيَفُوزُ بِبَطُولَةِ الْعَالَمِ هَذَا الْعَامِ يَا دُورْلِينْجْ؟"، وَ"أَلَدِيكَ أَيُّ فِكْرَةٍ لِمَاذَا كَانَ الْإِنْذَارُ يَدُقُّ بِالْأَمْسِ يَا دُورْلِينْجْ؟"، وَ"تَبْدُو جَيِّدًا الْيَوْمِ يَا دُورْلِينْجْ، مِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِهَذَا الْقَمِيصِ؟"، وَمَا إِلَى ذَلِكَ.

تساءل تراوت إن كانت صداقته مع هيث قد انتهت. آخر مرة ذهب فيها إلى ورشة تصليح الأحذية، قائلاً هذا وذاك لدورلينج، صرخ فيه القزم بغتة.

هذا كان ما صرّخه القزم بلهجته الإنجليزية الكوكبية: "توقّف عن إزعاجي".

نيلسون روكفلر، محافظ نيويورك، صافح تراوت ذات مرة في متجر بقالة بكوهوس. لم يملك تراوت أدنى فكرة عمّن كان هذا.

ككاتب خيال علمي، كان يجب على تراوت أن يذهل من اقترابه لهذه الدرجة من رجل مثله. لم يكن روكفلر مجرد محافظ، بسبب القوانين الغريبة لهذا الجزء من الكوكب، كان من المسموح لروكفلر أن يمتلك مساحات شاسعة من سطح الأرض، وما دون سطحها من نفط ومختلف المعادن الثمينة أيضاً. كان يملك أو يتحكّم في أجزاء من الكوكب أكثر ممّا تفعل بلاد عدّة. كان ذلك قدره منذ البداية، فقد لُفت صكوك الملكية الحمقاء تلك في قماطه منذ المهد.

سأله المحافظ روكفلر: "كيف الحال يا صديقي؟".

قال كيلجور تراوت: "كالعادة".

بعدما أصرّ على أن تراوت يحظى بحياة اجتماعية غنيّة، تظاهر السائق ليُرضي نفسه مُجدداً- أن تراوت توّسل إليه ليعرف كيف هي الحياة الجنسية لسائق الشاحنة عابر القارات. لم يتوّسل تراوت لمثل هذا الشيء.

قال السائق: "أنتَ تريد أن تعرف كيف يغوي سائقو الشاحناتِ النساءَ، أليس كذلك؟ تتخيَّل أن كُِّلَّ سائِقٍ تراه يُضاجِعُ كالإعصار من الشرق إلى الغرب، أليس كذلك؟".

هَزَّتْ تراوت كتفيه.

صار سائق الشاحنة ساخِطاً على تراوت، وَعَنَّفَه على أفكاره البذيئة الخاطئة. "دَعْنِي أُخْبِرُكَ يا كيلجور..."، ثم تَرَدَّدَ، "هذا اسمُكَ، أليس كذلك؟".

قال تراوت: "نعم". كان قد نَسِيَ اسمَ السائق مائة مَرَّة. لم يَنَسَ فقط اسمَه كُُلِّما نظر إلى الناحية الأخرى، بل نسي وَجْهَه أيضاً.

قال السائق: "كيلجور، اللعنة، لو تعطلَّت سيارتي في كوهوس مثلاً، واضطرتُّ للبقاء هناك ليومَيْن مُنْتَظِراً إصلاحها، إلى أيِّ مَدَى تحسب من السَّهل على غريبٍ يبدو مثلما أبدو، أن يُمارِسَ الجِنْسَ؟".

قال تراوت: "سيعتمد ذلك على مدى عزيمةك".

تَنَهَّدَ السائق. قال يائساً من نفسه: "يا ربي، نعم، هذه غالباً قِصَّةٌ حياتي: عزيمة غير كافية".

تَحَدَّثَا عن تَقْنِيَةِ الكِساءِ بالألومنيوم لجعل البيوت القديمة تبدو جديدةً مَرَّةً أُخْرَى. لا تحتاج هذه الألواح إلى طِلاءٍ أبداً، تظهر من بعيدٍ وكأنها خشبٌ مَطْلِيُّ لِتَوْه.

أراد السائق أيضاً أن يتحدَّثَ عن بيرما-ستون، والتي كانت طريقةً مُنافِسةً تتضمَّن طِلاءَ جوانب البيوت القديمة بالأسمت الملوَّن، هكذا يبدو المنزل من بعيد كما لو أنه مبنيٌّ بالصخور.

قال السائق لتراوت: "لو كنتَ تَعْمَلُ في نوافذ الرياح الألومنيوم، فلا بُدَّ أَنَّكَ في مجال الكساء بالألومنيوم أيضًا". كان المَجَّالان في البلد كله يمضيان يدًا بِيَدٍ.

قال تراوت: "تبعه شَرِكْتِي، ورأيتُه كثيرًا. لكن لم أعمل قَطُّ في تركيبه".

كان السائق يُفَكِّرُ جدًّا في شراء كساء ألومنيوم لبيته في ليتل روك، وتوسَّل لتراوت كي يجيب على سؤاله بصراحة: "مِمَّا سمعت ورأيت من الناس الذين حصلوا على كساء ألومنيوم، هل هُم سعداء بما حصلوا عليه؟".

قال تراوت: "في كوهوس، أعتقد أني لم أَر قَطُّ بين الناس مَنْ هم سعداء حقًّا غيرهم".

قال السائق: "أعلم ما تقصد، ذات مَرَّة رأيتُ أُسْرَةَ كامِلَةً تَقِفُ خارج بيتها. لم يُصدِّقوا إلى أي مدَى بات بيتهم جميلًا بعد وضع الكساء الألومنيوم. سؤالي لك هو، وأتمنى أن تُجيبني بصدق، خاصَّةً أننا لن نعمل معًا أبدًا: كم تدوم هذه السعادة يا كيلجور؟".

قال تراوت: "حوالي خمسَ عَشْرَةَ سَنَةً. يقول مندوب مبيعاتنا إنَّكَ تستطيع تحمُّل تكاليف تثبيته مرَّةً أُخرى، بما ستوفِّره من نقود التدفئة والدهان".

قال السائق: "تبدو بيرما-ستون أكثر ثراءً، وأعتقد أنها تدوم أكثر أيضًا. لكنَّها في المقابل تُكَلِّفُ أكثر بكثير".

قال كيلجور تراوت: "أنتَ تحصل على ما تدفع ثَمَنَهُ".

أخبرَ سائِقُ الشَّاحِنَةِ تراوت عن سَحَّانِ مِيَاهٍ كان قد اشتراه قبل ثلاثين عامًا، ولم يُسبِّب له أدنى مشكلة خلال كل ذلك الوقت.

قال كيلجور تراوت: "يا نهار أبيض!".

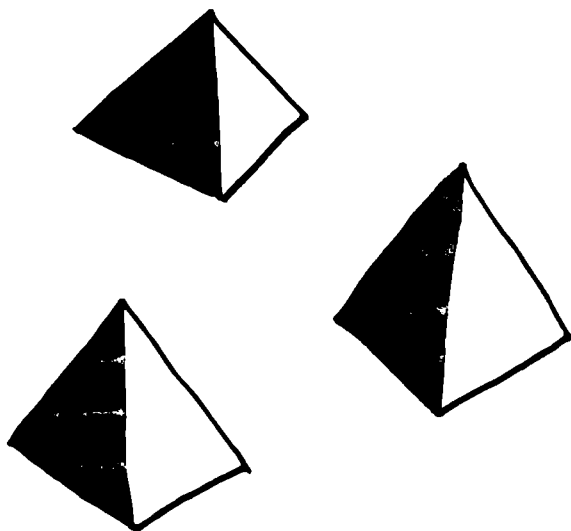
سأل تراوت عن الشاحنة، وقال له السائق إنها أعظمُ شاحنةٍ في العالم. جرَّارُها وحده ثمنه 28 ألف دولار.

كانت ذاتَ مُحركٍ ديزل كامنز بقوة 324 حصان ذي شاحِنِ توربينيٍّ، حتى يكون بوسعه العملُ جيِّدًا في الارتفاعات العالية. وكانت ذاتَ توجيهِ هيدروليكيٍّ، ومكابِحَ هوائيَّةٍ، و13 غيارَ سرعةٍ. وكانت ملكًا لشقيق زوجته.

قال إن شقيق زوجته يمتلك ثمانين وعشرين شاحنة، وهو رئيس شركة الهرم للشاحنات.

سأل تراوت: "لماذا أطلق على شركته "الهرم"؟ أعني... بوسع هذه الشاحنة الانطلاقَ بسرعة مائة ميل في الساعة إن أرادت. إنها سريعةٌ ومُفيدةٌ وغير مُزخرفة. لم أرَ شيئًا قطُّ أقلَّ هَرَمِيَّةً من هذه الشاحنة".

الهرم هو نوعٌ من المقابر الحجرية العملاقة التي بناها المصريون قبل آلاف وآلاف السنين. ولم يُعَد المصريون يبنونها الآن. تبدو المقابرُ، التي يأتي السُّيَّاحُ من جميع أنحاء العالم ليُحدِّقوا بها، مثل تلك:



لِمَ قَدْ يُسَمِّي أَيُّ شَخِصٍ فِي مَجَالِ النُّقْلِ السَّرِيعِ شَرِكَتَهُ وَشَاحِنَاتِهِ
عَلَى اسْمِ مَبَانٍ لَمْ تَتَحَرَّكَ رُبْعَ خُطْوَةٍ مُنْذُ يَوْمِ وُلْدِ الْمَسِيحِ؟".
إِجَابَةُ السَّائِقِ كَانَتْ فَوْرِيَّةً. وَكَانَتْ حَانِقَةً أَيْضًا إِذِ اعْتَبَرَ تَرَاوَتِ
غَيْبًا لِسُؤَالِهِ عَنِ شَيْءٍ مِثْلِ ذَلِكَ. قَالَ: "لَأَنَّ وَقْعَ الْكَلِمَةِ فِي أُذُنِهِ أَعْجَبَهُ.
أَلَا يَعْجُبُكَ وَقَعُهَا؟".

أومأ تراوت ليحافظ على الأمور لطيفةً. قال: "بالطبع، وقعها لطيف".

* * *

تَرَاجَعَ تَرَاوَتِ فِي مَقْعَدِهِ وَفَكَّرَ فِي الْمَحَادِثَةِ. حَوَّلَهَا لِقِصَّةٍ لِنِ يَكْتُبَهَا
إِلَّا عِنْدَمَا يُمْسِي عَجُوزًا جَدًّا. كَانَتْ عَنِ كَوَكَبٍ أَخَذَتْ لُغْتَهُ تَتَحَوَّلُ
إِلَى مُوسِيقَى خَالِصَةٍ؛ لِأَنَّ الْكَائِنَاتِ هُنَاكَ تَفْتِنُهَا الْأَصْوَاتُ. صَارَتْ
الْكَلِمَاتِ نَوَاتٍ مُوسِيقِيَّةً، وَالْجَمَلُ أَلْحَانًا. وَبَاتَتْ بِلَا فَائِدَةٍ كِنَاقِلَاتٍ
لِلْمَعْلُومَاتِ؛ لِأَنَّ أَحَدًا لَمْ يَعُدَّ يَعْلَمُ أَوْ يَهْتَمُّ بِمَعَانِي الْكَلِمَاتِ الْآنَ.

هكذا اضطرَّ قَادَةُ الحكومات والتجارة -حتى يستطيعوا العمل-
لاختراع كلماتٍ جديدةٍ وطُرُقٍ لِنِإَاءِ الْجُمَلِ شَدِيدَةِ الْقُبْحِ؛ حتى لا
يُمْكِنَ تَحْوِيلُهَا إِلَى موسيقى.

* * *

سأل السائق: "هل تزوجتَ يا كيلجور؟".

قال تراوت: "ثلاثَ مَرَّاتٍ". ليس هذا فقط، بل إن كُلاً من زوجاته
الثلاث كانت جميلةً، ومُجِبةً، وشديدةَ الصَّبْرِ. وأصاب كُلاً مِنْهُنَّ الذُّبُولُ
من قَرَطِ تشاؤمه.
"أيُّ أبناء؟".

قال تراوت: "واحد". في مكانٍ ما في الماضي، بين الزَّوجات والقصاص
التي ضاعت في البريد، كان هناك ابنٌ يُدعى ليو. قال تراوت: "صار
الآن رَجُلًا".

* * *

تَرَكَ ليو البيتَ إلى الأبد في الرابعة عشرة. انضمَّ لِمُشَاةِ الْبَحْرِيةِ
بعدما كذب بشأن سنِّه. أرسل لأبيه رسالةً من مركز التدريب. قالت
الرَّسَالَةُ التالي: "أنا أَشْفِقُ عَلَيْكَ؛ فقد انكَمَشْتَ وتكَوَّرْتَ في فتحة
مُؤَخَّرَةِ ذَاتِكَ، ومِتَّ هناك".

كان ذلك آخِرَ ما سمعه تراوت من ليو، بشكلٍ مُبَاشِرٍ أو غير
مباشر، إلى أن زاره عميلان من المباحث الفيدرالية. قالوا إن ليو هجر
كثيبته في فيتنام، وأنه ارتكب خيانةً عَظْمَى، انضمَّ للفييت كونج
[الجهة الوطنية لتحرير فيتنام].

ذلك كان تقييم المباحث الفيدرالية لوضع ليو على الكوكب في
ذلك الوقت: "ابنك في مُشْكِلَةٍ سَيِّئَةٍ".

13

عندما رأى دواين هوفر هاري ليسابر، مدير مبيعاته، في قميص رقص أخضر كالخس وتنورة عُشبية وكل هذا، لم يقدر على التصديق. فجعل نفسه لا يراه. ذهب إلى مكتبه الذي تناثر فيه أيضًا الأناناس والأوكوليلي.

بدأت سكرتيرته، فرانسين بيفكو، طبيعياً، عدا أن حول عنقها كان حبل من الورد وفوق أحد أذنيها وردة. ابتسمت. كانت أرملة حرب ذات شفاه كوسائد الأريكة وشعر أحمر لامع. كانت تعشق دواين، وتعشق أسبوع هاواي أيضاً.

قالت: "ألوها".

* * *

وفي تلك الأثناء، كان هاري ليسابر مُحطماً من دواين.

عندما قَدَّمَ هاري نفسه لدواين بتلك الهيئة المثيرة للسُّخْرِيَّة، كَلُّ دَرَّةٍ فِي جَسَدِهِ كَانَتْ تَنْتَظِرُ رَدَّ فِعْلِ دَوَايِنَ. كُلُّ دَرَّةٍ فِي جَسَدِهِ تَوَقَّفَتْ عَنِ الدَّوْرَانِ، وَابْتَعَدَتْ عَنِ جِرَانِهَا لِوَهْلَةٍ. كُلُّ دَرَّةٍ فِي جَسَدِهِ انْتَظَرَتْ لِتَعْرِفَ إِنْ كَانَتْ مَجْرَتْهَا، تِلْكَ المُسْمَاةُ هَارِي لِيَسَابِرَ، سَتَتَحَلَّلُ أَمْ لَا.

عندما عامل دواين هاري وكأنه غير مرئي، حسب هاري أنه فضح نفسه كترانسفيستيت مُقْرِفٍ، وأنه لهذا بات مطرودًا.

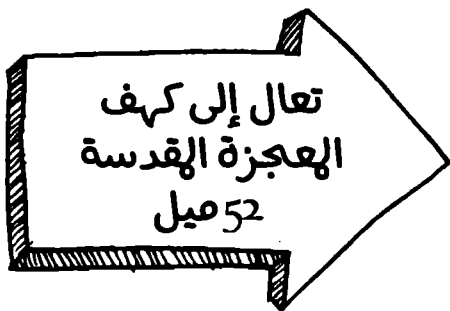
أغلق هاري عينيه. أراد ألا يفتَحَهُم مُجَدِّدًا أَبَدًا. أرسل قلبه هذه الرِّسَالَةَ إِلَى ذَرَاتِهِ: "لأسبابٍ واضحةٍ لنا جميعًا، هذه المَجْرَةُ قد تَحَلَّلَتْ".

لم يعرف دواين أيًا من هذا. انحنى على مكتب فرانسيس بيفكو. كاد أن يُخْبِرَهَا كَم هُو مَرِيضٌ. حَذَّرَهَا: "إِنَّ هَذَا لِيَوْمٍ صَعْبٍ لِسَبَبٍ مَا؛ لَذَا لَا أُرِيدُ أَيَّ مَزَاحٍ وَلَا مَفَاجِآتٍ. حَافِظِي عَلَى الْأُمُورِ بَسِيطَةً، لَا تُدْخِلِي أَيَّ شَخْصٍ ذَا حَدٍّ أَدْنَى مِنَ الحِمَاقَةِ. وَلَا أُرِيدُ تَلِيفُونَاتٍ".

قالت فرانسيس لدواين إن التوأمين ينتظرانه في المكتب الداخلي. قالت: "أعتقد أن شيئًا ما سيئًا حدث في الكهف".

امتنَّ دواين لتلك الرِّسَالَةَ الَّتِي كَانَتْ بَسِيطَةً وَوَاضِحَةً. التوأمان كَانَا أَخَوَيْهِ غَيْرِ الْأَشْقَاءِ، الصَّغِيرَيْنِ، لَيْلِ وَكَايِلِ هُوَقْر. الكهف كان كهفَ المُعْجِزَةِ المُقَدَّسَةِ، مَصِيدَةَ سُبَّاحٍ فِي جَنُوبِ شِيرِدزَتَاوِنِ، اِمْتَلَكَهُ دَوَايِنَ بِالشَّرَاكَةِ مَعَ لَيْلِ وَكَايِلِ. كان مصدر الدخل الوحيد لليل وكايل، اللَّذَيْنِ عَاشَا فِي بَيْتَيْنِ مُتَطَابِقَيْنِ عَلَى جَانِبَيْ مَتَجَرِ الْهَدَايَا الَّتِي يُغَطِّي مَدْخَلَ الكَهْفِ.

في جميع أنحاء الولاية، كانت توجد لافتاتٌ على شكل سَهْمٍ، مُمَسَمَّرَةٌ عَلَى الْأَشْجَارِ وَمُلصَّقَةٌ عَلَى الْأَسْوَارِ، تُشِيرُ فِي اتِّجَاهِ الكَهْفِ وَتَقُولُ مَدَى بُعْدِهِ عَنِ هُنَا، مِثْلًا:



قبل أن يَلِجَ دواين مَكْتَبه الداخلي، قرأ واحدة من اللافتات المَرِحَة العديدة التي وضعتها فرانسيس على الحائط؛ لِتُسَلِّي النَّاسَ وتُذَكِّرهم بما ينسونه بسهولة: أن الناس ليسوا بحاجة لأن يكونوا جادِّين طوال الوقت.

هذا كان نَصُّ الرسالة التي قرأها دواين:

لست مُضطرباً لأن تكون مجنوناً

لتعمل هنا

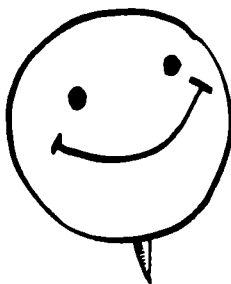
لكن ذلك بلا شكَّ سيُساعِدُ

وبجوار النِّصِّ كانت هناك صورة لشخصٍ مجنونٍ. تلك كانت

الصورة:



ارتدت فرانسيس "بادچا" على صدرها، عليه صورةً لكائِنٍ ذي حَالَةٍ
عقليَّةٍ أكثرِ صِحَّةً بشكلٍ يُحَسِّدُ عليه. ذلك كان الزُّرُّ:



جلس لايِل وكايل مُتجاوِرينَ على الأريكة الجليديَّة السوِداءِ في
مكتب دواين هوفر الداخلي. كانا مُتطابِقينَ إلى حَدِّ أن دواين لم يَكُنْ
قادرًا على التفریق بينهما حتى 1954، عندما تشاجر لايِل بسبب
امرأةٍ في حلبة التزلُّج على الجليد. بعدها بات لايِل التوأمِ ذا الأنفِ
المكسورة. يتذكَّرهم دواين الآن عندما كانا رضيعينَ في المهد، يمتصُّ كُلُّ
منهم إبهامَ الآخر.

هذه كانت الكيفيَّة التي صار بها لدواين أخوةٌ غير أشقاء،
بالصدفة، رغم أنه تَبَنَّتْهُ أسرةٌ غير قادرة على إنجاب أطفال من
صُلْبها. حَفَّزَ تَبَنِّيهم له شيئًا ما في أجسادهم، جعل من المُمكِن أخيرًا
إنجاب أطفالٍ. تلك كانت ظاهرةً شائعةً. يبدو أن كثيرًا من الأزواج
كانوا مُبرمجين بتلك الطريقة.

كان دواين سعيدًا برؤية هذين الرَّجُلَيْنِ الصَّغِيرَيْنِ الآن، يرتديان الأفرولات وأحذية العمل والقُبَّعات السوداء. كانا مألوفَيْن، كانا حقيقيَيْن. أغلق دواين الباب خلفه على الفوضى في الخارج. قال: "حسنًا، ماذا حدث في الكهف؟".

منذ انكسر أنف لاييل، اتَّفَق التوأمان على أن لاييل هو مَنْ سيَتحدَّث نيابَةً عن كِلَيْهِمَا. لم يَقُل كاييل ألف كلمة منذ 1954. قال لاييل: "تلك الفقائِع المُتصاعِدَة تكاد تصل للكاتدرائية، بهذا المُعدَّل، سَتُغطِّي مويي دِك خلال أسبوع أو اثنين".

فهمهم دواين جيّدًا. المجرى المائي الذي يَمُرُّ في أحشاء كهف المعجزة المُقدَّسة، كان مُلوَّنًا بنوعٍ من المُخلَّفَات الصناعية التي يَنْتُج عنها فقائِعُ قاسيَةٌ ككُّرَاتِ البنج-بونج. تكاثَّفَت هذه الفقائِعُ فوق بعضها حتى بلغت مَمْرًا يقود إلى صخرةٍ ضخمةٍ، طَلَبَت باللون الأبيض حتى تُشبه مويي دِك، الحوت الأبيض العظيم. ستبتلع الفقائِعُ عمَّا قريبٍ مويي دِك، وتجتاح كاتدرائيَّةَ الهمسات، والتي هي عاملُ الجذبِ الرئيسي في الكهف؛ فقد تزوَّج الآلاف في كاتدرائيَّة الهمسات، بما فيهم دواين ولايل وكاييل، وهاري ليسابر أيضًا.

أخبر لاييل دواين عن تجرِبَةٍ أجراها هو وكاييل في الليلة السابقة. دخَلَا الكهف مُسلَّحَيْن ببندُقَيْتَي خرطوشٍ براوننج، مُتطابِقَتَيْن، وفتَحَا النَّارَ على حائِطِ الفقائِعِ المُقابِل.

قال لاييل: "خرج منها نتانةٌ لن تُصدِّقها"، وقال إنَّ رائحتها كانت كالقَدَمِ الرياضيَّة. "أخرجتني أنا وكاييل من هناك. شغلنا نظام التهوية لساعةٍ، ثُمَّ عُدنا من جديد. لَطَّخ الطَّلَاءُ مويي دِك، لم تُعد لديه عيون". كان لمويي دِك عيونٌ ذاتُ رموشٍ طويلةٍ، كبيرةٍ مثل أطباق الطَّعام.

قال لائل: "صار لون الأرغن أسود، والسقف بات أصفر قَدْرًا. لا تكاد تستطيع رؤية المعجزة المقدسة بعد الآن".

الأرغن كان (أرغن أنابيب⁽¹⁾ الآلهة)، وهو أجمّة من الصّواعِدِ والهوابِطِ الكَلَسِيَّةِ المُتَشَابِكَةِ معًا في أحد أركان الكاتدرائية. في نهايتها كانت هناك مكبّرات صوت، منها تخرج موسيقى الأعراس والجِنَازات. وكانت مُضَاءَةً بأنوارٍ كَهْرَبِيَّةٍ، يتغيّر لونها طوال الوقت.

المعجزة المقدسة كانت صليبيًا في سقف الكاتدرائية، تشكّل من تقاطع شقّين. "لم تكن رؤيته سهلةً قطُّ على أيِّ حال"، قالها كايِل عن الصليب، "لم أعد واثقًا أنه لا يزال هناك أصلًا". سأل دواين أن يأذن له بشراء شحنةٍ من الأسمنت. أراد أن يسدّ الممرَّ بين المجرى والكاتدرائية.

قال لائل: "أنس مويي دِك وچيسي چيمس والعبيد وكُلّ ذلك، دعنا نُنقذ الكاتدرائية".

چيسي چيمس كان هيكلًا عظيمًا، اشتراه والد دواين بالتبني من ممتلكات طبيبٍ خلال الكساد الكبير. عظام يده اليمنى كانت مُختلِطَةً بالبقايا الصّدئة لِمسدّسٍ ذي ساقية دَوّارة عيار 45. قيل للسّيّاح إنه وُجِدَ على تلك الهيئة، وأنه على الأرجح لِصُ قطاراتٍ حُوصِرَ في الكهف بعد انهيار صخريّ.

أما بالنسبة للعبيد: فأولئك كانوا تماثيل من الجصّ لرجالٍ سودٍ في حفرة عند نهاية ممرٍّ أسفل چيسي چيمس بخمسين قدّمًا. كانت التماثيل تنزع السلاسل عن بعضها بالمطارق والمناشير. قيل للسّيّاح إنه ذات يوم استخدَم الكهف عبيدٌ حقيقيُّون بعد هروبهم بحثًا عن الحرية عبر نهر أوهايو.

(1) أرغن الأنابيب Pipe organ: آلة موسيقية شائعة الاستخدام في الصلوات الدينيّة في الكنائس. [المترجم]

قصة العبيد كانت مزيفة، مثلها مثل قصة جيسي جيمس. لم يُكتشف الكهف حتى 1937، عندما فتح زلزال بسيط فيه شقاً. اكتشف دواين هوفر نفسه الشَّقَّ، ثم فتحه هو وأبوه بالتَّبْنِي بالعتلات والديناميت. قبل ذلك لم تَدْخُلْه حتى الحيوانات الصغيرة.

العلاقة الوحيدة بين الكهف وبين العبودية كانت كالتالي: المزرعة التي اكتُشِفَ الكهف فيها أنشأها عَبْدٌ سابقٌ جوزيفوس هوبلر. جاء للشمال وبدأ المزرعة بعدما حَرَّرَهُ سَيِّدُهُ. ثم عاد ليشتري أُمَّهُ والمرأة التي صارت زوجتَه.

استمرَّ أسلافه في إدارة المَزْرَعَةِ إلى أن حدث الكساد الكبير، عندما انتزع بنك تُجَّار مُقاطعة ميدلاند ملكيَّة المَزْرَعَةِ للعجز عن سداد الرِّهْن العقاريِّ. ثم صدمت سيَّارَةٌ والد دواين بالتَّبْنِي كان يقودها الرَّجُلُ الذي اشترى المزرعة. خلال تسوية خارج المحكمة تعويضاً عن الإصابات، حصل والد دواين على ما أطلق عليه مُحْتَقِرًا: "... مزرعة زنوج لعينة".

يتذكَّر دواين أول رحلة للأسرة لرؤية المزرعة. انتزع والدُه اللافتة الزُّنجيَّة من على صندوق البريد الزنجي، وألقاها في المصرف. هذا ما قالته اللافتة:



14

الشَّاحِنَةُ التي كانت تحمل تراوت صارت الآن في فرجينيا الغربية. كان الإنسان والماكينات والمتفجرات قد حوّلوا سطح الولاية إلى خرابٍ؛ لإجباره على إخراج الفحم. ذهب أغلب الفحم الآن، تحوّل إلى حرارة.

سطح فرجينيا الغربية، بعدما ذهب فحمه وأشجاره وتربّته، كان يُعيد ترتيب نفسه بالتوافق مع قوانين الجاذبية الأرضية. كان ينهار إلى داخل الحفّر التي نُبِشت فيه. جباله، التي كانت تقف من قبل بسهولة بنفسها، أصبحت تنزلق إلى أوْدِيَّتِها الآن.

دمار فرجينيا الغربية حدث بموافقة الفروع التنفيذية والتشريعية والقضائية من حكومة الولاية، التي استمدّت سُلْطَتَها من الشعب.

هنا وهناك، لا تزال بعض المنازل المسكونة قائمة.

* * *

رأى تراوت حاجزًا مكسورًا في الأمام. حَدَّقَ في الوادي أسفله، رأى كاديلاك إلدورادو 1968 مقلوبَةً في نهر. لوحة ترخيصها كانت تَابِعَةً للأباما. وكان في النهر أيضًا عَدَدٌ من الأجهزة المنزلية القديمة: أفرانٌ وَعَسَّالَاتٌ وثَلَّاجَتَانِ.

وقفت طفلةٌ ذات وجهٍ مَلَائِكِيٍّ وشَعْرٍ كِتَائِيٍّ بجوار النهر. لَوَّحت لتراوت. واحتضَّنت زُجاجةَ بيبسي-كولا نصف لترٍ أكثر إلى صدرها.

سألت تراوت نفسه بِصوتٍ عالٍ عَمَّا يفعله الناس على سبيل التسلية، أخبره السائق بقصة غريبة عن ليلةٍ قضاهَا في فرجينيا الغربية في مقصورة شاحنته، بالقرب من مبنى بلا نوافذٍ يَصْدُرُ منه أزيزٌ رَتِيْبٌ.

قال: "رأيتُ ناسًا تَدْخُلُ وناسًا تَخْرُجُ، لكنِّي لم أستطع تمييز نوع الآلة التي تُصْدِرُ هذا الأزيز. هيكل المبنى كان قديمًا رخيصًا، مُقامًا على بلوگاتٍ أَسْمَنِيَّةٍ، وكان في منتصف اللا-مكان. جاءت السيارات وذهبت، وبَدَا الناسُ مُسْتَمْتِعِينَ بمصدرِ ذاك الأزيز أَيًْا كان".

عندها ألقى نظرة بالداخل. قال: "كان مليئًا بأناسٍ يرتدون أحذية التَّزْحَلِّقِ، عليها كانوا يدورون ويدورون. لم يبتسم أحدٌ. فقط كانوا يدورون ويدورون".

أخبر تراوت عن ناسٍ سمع عنهم في المنطقة، يمسون أفَعَى ذات رأس نحاسيَّة أو ذات ذَيْلٍ جَرَسٍ خلال قُدَّاس الكنيسة؛ لِيُظْهِرُوا كم هم مؤمنين بأن المسيح سيحميهم.

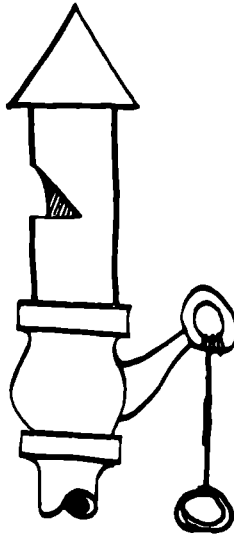
قال تراوت: "إللي يعيش ياما يشوف".

تعجّب تراوت من السرعة التي خَرَبَ بها الرَّجُلُ الأبيضُ فرچينيا
الغربيّة، برغم أنه لم يَصِلْها إلا مُؤخَّرًا، لأجل الحرارة.

الآن ذهبت الحرارة كلها أيضًا، بحسب افتراض تراوت، إلى الفضاء
الخارجي. غَلّوا بها مياهاً، أدارَ بُخارُ المياهِ طواحينَ فولاذيّةً حول نفسها.
الطواحين جعلت المُولّدات تَتَرزُّ وتدور حول نفسها. واستمتعت أمريكا
بالكهرباء لبعض الوقت. بالفحم أيضًا دارت القوارب والقطارات
البخارية القديمة.

* * *

كان في القطارات والقوارب والمصانع البخارية صافراتٌ يَنفُخُها
البُخارُ، عندما كان دواين هوفر وكيلجور تراوت وأنا أطفالاً، عندما
كان آباؤنا أطفالاً، عندما كان أجدادنا أطفالاً. بَدَت الصّافراتُ مثل
تلك:



كان البُخارُ النَّاتِجُ عن الماء المغلي بالفحم المحروق، يجري مُهتاجًا في الصَّافرات، التي يصدر عنها نواحٌ قاسي الجمال، وكأنها حناجر ديناصورات تصدح بنداء التزاوج أو أنين الاحتضار، أصوات مثل: "ووووووووو-آه"، و"ووووووووو-آه"، و"تووووووووووت"، وما إلى ذلك.

الديناصورات كانت زواجفَ صَخْمَةً مثل القطارات البخاريَّة، تبدو كتلك:



كان لها مُخَّان: أحدهما لِمُقَدِّمَتِها، والآخَرُ لِمُؤَخَّرَتِها. انقرضت جميعًا. إن وضعت كِلا المُخَّيْنِ مَعًا، يَظَلَّانِ أصغرَ من حَبَّةِ بازِلَاء. البازِلَاءُ كانت من البقولِيَّات، تبدو مثل تلك:



مكتبة
t.me/t_pdf

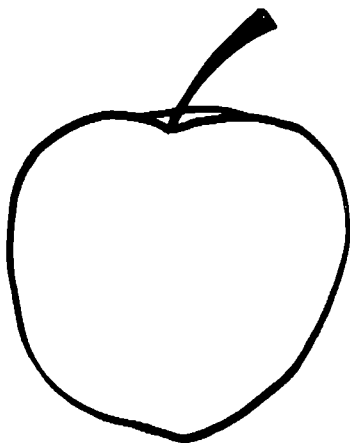
الفحم كان مزيجًا من الأشجار المتعفنة والزهور والشجيرات
والعشب وما إلى ذلك، وفضلات الديناصورات، بعدما خضع لضغط
شديد.

* * *

فكّر كيلجور تراوت في عويل الصافرات البخارية التي عرفها، وفي
خراب فرجينيا الغربية، الذي جعل أغانيها ممكنةً. افترض أن نواحها
الذي يَفِطِرُ القلوبَ قد ذهب إلى الفضاء الخارجي مع الحرارة. كان
مُخَطِّئًا.

مثل أغلب كُتَابِ الخيال العلمي، لم يعرف تراوت شيئًا عن العلم،
التفاصيل التّقنيّة كانت تُضجِرُهُ. لكن أيًّا من عويل الصافرات لم يَبْعُد
عن الأرض كثيرًا لهذا السبب: لا يسافر الصوت إلا في غُلافِ جَوِّيٍّ،
وغلاف الأرض الجَوِّيُّ بالنسبة للكوكب لم يكن سميكًا حتى مثل
القشرة بالنسبة للتفاح. بعده، لم يَكُنْ إلا الفراغ التام.

التُّفَّاح كان فاكهةً شائِعةً، تبدو مثل تلك:

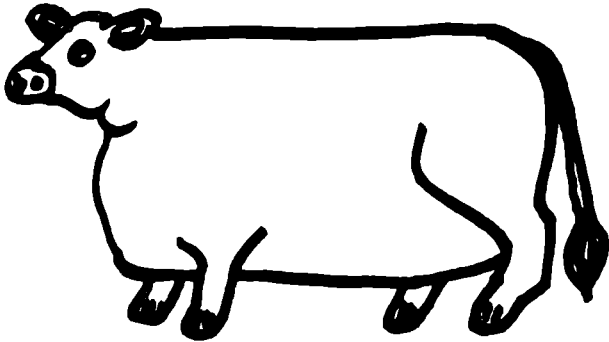


* * *

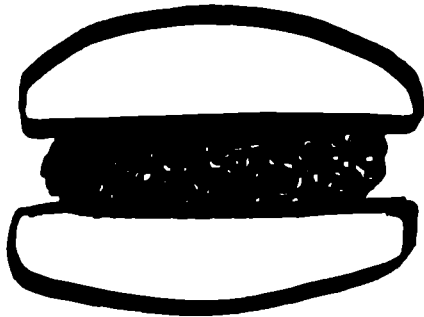
كان السائِقُ آكِلًا شَرِهًا. توقَّف عند أحد فروع مكدونالدز. كان في البلد مطاعم همبرجر عديدة ومختلفة، مكدونالدز كان أحدهم، وبرجر تشيف كان آخر. امتلك دواين هوفر، مثلما قيل من قبل، عدَّة فروع برجر تشيف.

* * *

يُصنَع الهمبرجر من حيوانٍ يبدو مثل ذلك:



يُقْتَل الحيوان ويُطْحَنُ إلى فتاتٍ صغيرة، ثم يُشكَّل على هيئةِ أقراصٍ تُقْلَى، ثم يوضع بين قِطْعَتَيْ خُبْزٍ. المُنْتَجُ النهائيُّ يبدو مثل ذلك:



* * *

وتراوت، الذي لم يَبَقْ معه إلا القليل من المال، طلب كوبَ قهوة. سأل شيخًا عجوز في الكرسيِّ المُجاوِر له على المائدة، إن كان قد عمل في مناجم الفحم.

قال العجوز ذلك: "من وقتٍ لآخر، منذ كنتُ في العاشرة وحتى الثانية والسُّتَيْن"، قال تراوت: "وأنت الآن سعيدٌ بخلاصِك مِنْهُم؟".

قال العجوز: "آه، يا ربِّي، أنت لا تتخلَّص منهم أبدًا. حتى في نومي أحلم بالمناجم".

سأله تراوت عن ماذا كان شعوره تجاه العمل في صناعة تعمل على تدمير الريف، فقال العجوز إنه كان في العادة أكثر إنهاكًا من أن يهتَمَّ.

* * *

قال عامل المناجم العجوز: "بما أنَّكَ لا تملك ما تهتَمُّ به، فاهتمَّك لا يهَمُّ". أشار إلى أن حقوق التنقيب في المقاطعة كلها -التي يجلسون فيها- تملكها شركة روزوتر للفحم والحديد. والتي حصلت على الحقوق بعد الحرب الأهلية بقليل. تابَع: "يقول القانون، عندما يملك رجلُ شيئًا ما تحت الأرض ويرغب في استخراجِه، عليك أن تسمح له بتدمير أي شيء يحوُلُ بينَه وبين ما يملك".

لم يربط تراوت بين شركة روزوتر للفحم والحديد وبين إليوت روزوتر، مُعجِبَه الوَحيد. لا يزال يحسب إليوت روزوتر مُراهقًا.

الحقيقة هي أن أسلاف روزوتر كانوا من المُدْمَرين الرئيسيين لسطح وناس فرجينيا الغربية.

* * *

قال عامِلُ المناجم العجوز لتراوت: "غير أن هذا لا يبدو صحيحًا، أي أن يستطيع رَجُلٌ امتلاك ما تحت بيتٍ أو مزرعة أو أشجار رَجَلٍ آخَرَ. وفي أي وقت يرغب الرجل في استخراج ما دون ذلك كله، لديه الحقُّ في تحطيم ما على السطح ليصل إليه. حقوق الناس على سطح الأرض لا تُشكَّل -وإن اجتمعت- أيَّ فارقٍ، مُقارَنَةً بحقوق الرجل الذي يملك ما في الأسفل".

تذكّر بصوتٍ عالٍ عندما كان يحاول مع زملائه عمال المناجم إجبار شركة روزوتر للفحم والحديد على أن تُعاملهم مثل البشر. خاضوا حروبًا صغيرة مع شُرطة الشركة الخاصّة، وشُرطة الولاية، والحرس القومي.

قال: "لم أَرِ قَطُّ أيَّ روزوتر، لكن روزوتر يفوز دومًا. مشيت على روزوتر، حَفَرْتُ الحُفْرُ في روزوتر لأجل روزوتر، عِشْتُ في بيوت روزوتر، أَكَلْتُ طعامَ روزوتر، حَارَبْتُ روزوتر، أيًا كانت ماهية روزوتر، ثم يَهْزِمُنِي روزوتر ويتركني للموت. اسأَلِ النَّاسَ في الأنحاء وسيُخبرُكَ الجميع: العالم كله روزوتر بقدر ما يعرفون".

عَلِمَ السَّائِقُ أن تراوت مُتَّجِهَةٌ إلى ميدلاند. لم يعلم أنه كاتب في طريقه لمهرجان فنون. آمَنَ تراوت أن الكادحين الصادقين لا تهمهم الفنون في شيء.

"لِمَ قد يرغب أيُّ شَخِصٍ ذي عقلٍ سليم في الذهاب إلى ميدلاند؟"، أراد السائق أن يعرف. كانا على الطريق مُجدِّدًا.

قال تراوت: "أختي مريضة".

قال السائق: "ميدلاند هي فتحةٌ مُؤخَّرة الكون".

قال تراوت: "لطالما تساءلتُ أين فتحةٌ مُؤخَّرة الكون بالضبط".

قال السائق: "إن لم تكن في ميدلاند، فهي في ليرتيفيل في جورجيا. هل رأيت ليرتيفيل من قبل؟".

قال تراوت: "لا".

قال السائق: "قُبِضَ عَلَيَّ هناك لتجاوزِ السُرْعَةِ، حيث عليكَ فَجَاءَ أن تُهدئَ سُرْعَتَكَ من خمسين إلى خمسة عشر ميل في الساعة. أغضبني هذا جدًّا، وقلتُ أشياء لرجل الشرطة؛ فوضعني في السجن.

شُغِلْهُم الأساسيُّ هناك كان عَجَنَ الجرائد والمجلَّات والكتب القديمة؛ لصُنع أوراقٍ جديدةٍ منهم. تجلب الشَّاحنات والقطارات مئات الأطنان من المواد غير المرغوبة كل يوم".

قال تراوت: "همم".

"وعملية التفرغ مُفَعَمَةٌ بالإهمال، فتجدُ الهواء يحمل أوراقَ الكُتُب والمجلَّات وما إلى ذلك في جميع أرجاء المدينة. إن أردتَ إنشاء مكتبة، يُمكنك فقط الذهاب إلى ساحة الشُّحن هناك، وحَمَلُ كُلِّ الكتب التي تريدها".

قال تراوت: "همم". في الأمام كان هناك رَجُلٌ أبيضٌ يحاول إقناع السيَّارات بأن تُقلِّه وزوجته الحامِلَ وتسعة أطفال.

قال سائق الشاحنة عن الرجل: "يشبه جاري كوبر، أليس كذلك؟".

قال تراوت: "هو كذلك فعلاً". جاري كوبر كان نجمًا سينمائيًا.

* * *

قال السائق: "على أي حال، كان في ليرتيفيل كتبٌ كثيرة، حتى أنهم استخدموها كمناديل في حمَّامات السجن. قبضوا عليَّ يومَ الجُمعة في أواخر المساء؛ لذا لم يكن بوسعي حضور جلسة الاستماع في المحكَّمة

قبل يوم الاثنين، هكذا ظللتُ في الزنزانة يومين، بلا شيء أفعله سوى قراءة أوراق المناديل. لا زلتُ أذكر إحدى القصص التي قرأتها".

قال تراوت: "همم".

قال السائق: "تلك كانت آخر قصة قرأتها على الإطلاق. يا ربّي، لا بدُّ أن هذا كان قبل خمسة عشر عامًا. كانت قصة عن كوكبٍ آخر، قصة مجنونة. كانت هناك متاحف ملأى باللوحات المتناثرة في كل مكان، واستخدمت الحكومة عجلة روليت من نوعٍ ما لاختيار أيّ لوحات سيُعرضون في المتاحف وأيّها سيرمون بعيداً".

داخ تراوت فجأةً بتأثير الديجا-فو. ذكره السائق بفكرة كتابٍ لم يُفكّر فيه منذ أعوام. مناديل حمّام السائق في ليبرتيكيل بچورچيا كانت كتاب (بارينج جافنر من باجنيلاتو)، أو (تحفة هذا العام) لمؤلّفها كيلجور تراوت.

* * *

اسم الكوكب حيث دارت أحداث كتاب تراوت كان باجنيلاتو، وبارينج جافنر كان مسؤولاً حكوميّاً هناك، يدير عجلة حظّ مرّة كلّ عام. كان المواطنون يُقدّمون أعمالهم الفنية للحكومة، ويأخذ كلّ منهم رقمًا، ثم كانت العجلة تُقدّر قيمًا ماليّةً لكلّ منها على حسب إدارة بارينج جافنر للعجلة.

وجهة نظر سرد الحكاية لم تكن لشخصيّة بارينج جافنر، بل كانت لإسكافي متواضع يدعى جووز. عاش جووز وحيدًا، ورسم لوحة لقطته. كانت اللوحة الوحيدة التي رسمها في حياته. أخذها لبارينج جافنر، الذي رقمها ووضعها في المستودع حيث تتزاحم الأعمال الفنّيّة.

لوحة جووز حققت ضربة حظّ غير مسبوقه على العجلة. صارت قيمتها ثمانين ألف لامبوس، ما يوازي مليار دولار على الأرض. منح

بارينج جافنر شيكاً بالمبلغ لجوز، والذي استردَّ أغلبه جامِعُو الضرائب على الفور. عُرِضَت اللوحة في صدارة المعرض القومي، واصطفَّ النَّاسُ في طوابير تمتدُّ لأميالٍ ليحصلوا على فرصة لرؤية لوحَةٍ تُساوي مليارات الدولارات.

وكان هناك أيضاً نارٌ كبيرة لِلوَحَاتِ والتَّمَاثِيلِ التي قالت العَجَلَةُ إنها بلا قيمة. ثم اتَّضح لاحقاً أن العجلة كانت مغشوشةً، وانتحر بارينج جافنر.

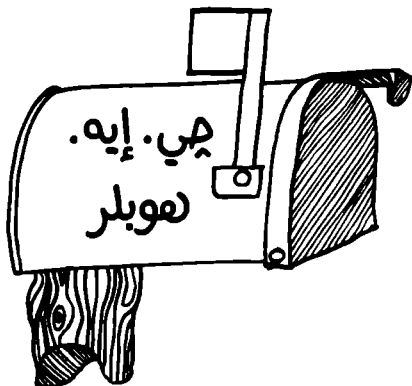
* * *

كانت قراءة السائق لأحد كتب كيلجور تراوت صُدْفَةً مُذهِلةً. لم يقابل تراوت قارئاً من قبل، ورَدُّ فِعْلِهِ كان مُثيراً للاهتمام: لم يعترف أنه كان والِدَ الكتاب.

* * *

أشار السَّائِقُ إلى أن كُلَّ صناديق البريد في المنطقة مَطْلِيٌّ عليها الاسم الأخير ذاته.

قال: "وها هو واحد آخر"، مشيراً إلى صندوق بريدٍ يبدو مثل ذلك:



كانت الشَّاحِنَةُ تَعْبُرُ فِي الْمُنْطَقَةِ الَّتِي جَاءَ مِنْهَا وَالِدَا دَوَايْنِ هُوْفِرٍ بِالتَّبْنِيِّ. كَانَا قَدْ ارْتَحَلَا مِنْ قَرْيِنِيَا الْغَرْبِيَّةِ إِلَى مِيدَلَانْدِ خِلَالِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى، لِيَجْنِيَا مَالًا كَثِيرًا بِالْعَمَلِ فِي شَرِكَةِ كِيدْسَلِرِ لِلسِّيَارَاتِ، الَّتِي كَانَتْ تَصْنَعُ الطَّائِرَاتِ وَالشَّاحِنَاتِ. عِنْدَمَا بَلَغَا مِيدَلَانْدَ، غَيَّرَا اسْمَهُمْ بِشَكْلِ رَسْمِيٍّ مِنْ هُوْبَلِرٍ إِلَى هُوْفِرٍ؛ لِأَنَّ فِي مِيدَلَانْدِ كَانَ هُنَاكَ الْعَدِيدُ مِنَ السُّودِ اسْمَهُمْ هُوْبَلِرٍ.

مِثْلَمَا شَرَحَ وَالِدُ دَوَايْنِ هُوْفِرٍ بِالتَّبْنِيِّ لَهُ ذَاتَ مَرَّةٍ: "كَانَ ذَلِكَ مُحْرَجًا. افْتَرَضَ الْجَمِيعُ هُنَا أَنَّ هُوْبَلِرَ كَانَ اسْمًا زَنْجِيًّا".

15

في ذلك اليوم، بلغ دواين موعِدَ الغداءِ بِسلام. بات يتذكّر الآن أسبوعَ هاواي، لم تُعد الأوكوليلي وما إلى ذلك لغزًا. الرصيف بين وكالة السيارات والهوليداي إنَّ الجديد لم يُعد ترامبولين.

خرج وحده لتناولِ الغداءِ في سيارَةٍ توضيحيّة، بونتياك ليمنز زرقاء من الخارج وكريميّة اللّونِ من الداخل، والتكييف والراديو يعملان. سمع عددًا من إعلاناته الخاصّة على الراديو، التي تؤكّد حقيقةً واحدة: "تستطيع أن تثقّ دومًا في دواين".

رغم أن صحّته العقليّة تحسّنت بشكل ملحوظ منذ الإفطار، إلّا أن أعراض مرضٍ جديد أفصحت عن نفسها، الإيكوليليا الابتدائية. وجد دواين نفسه يرغب في ترديد آخر كلمة قيلت للتوّ -أيّا كانت- بصوتٍ عالٍ.

هكذا عندما قال له الراديو: "تستطيع أن تثقَ دوّمًا في دواين"،
كرّر آخر كلمة، قال: "دواين".

عندما قال الراديو إنه كان هناك إعصارٌ في تكساس، قال دواين
التالي بصوت عالٍ: "تكساس".

ثم سمع أن أزواج آلاف النساء اللواتي تعرّضنَ للاغتصاب خلال
الحرب بين الهند وباكستان، لم يعودوا يريدونهنَّ بعد الآن. قال الراديو
إن النساء الآن، في عيون أزواجهنَّ، قد صرنَ مُلوّثات.
قال دواين: "مُلوّثات".

* * *

أمّا بالنسبة لواين هوبلر، المُدان السابق الذي كان حُلُمُه الوحيد
هو العمل عند دواين هوفر، فقد تعلّم لعب الغُمّيزة مع موظّفي
دواين. لم يُحبّ أن يأمره أحدُهم بمغادرة المكان لتجوّله بين السيارات
المُسْتَعْمَلَة؛ لذا كان يتّجهُ إلى منطقة القمامة خلف الهوليداي إنْ كلما
اقترب أحد الموظفين، ويفحص بخطورة بقايا الشطائر وعُلبِ السجائر
وما إلى ذلك في الحاويات هناك، وكأنه مُفتشٌ صِحّيٌّ أو شيءٌ مُشابه.
وعندما يذهب الموظّفون بعيدًا، يعود واين إلى السيارات
المُسْتَعْمَلَة، ويُبقي عينيه الشبيهتين بالبيض المسلوق مَفْتُوحَتَيْنِ بحثًا
عن دواين هوفر الحقيقي.

* * *

دواين هوفر الحقيقي بالطبع كان قد نَقَى أنه دواين؛ لذا عندما
خرج دواين الحقيقي ساعة الغداء، واين، الذي ليس له مَنْ يتحدّث
معه عدا نفسه، قال لنفسه: "هذا ليس السيد هوفر. برغم أنه يُشبهُ
بالفعل السيد هوفر. ربما السيد هوفر مريض اليوم". وما إلى ذلك.

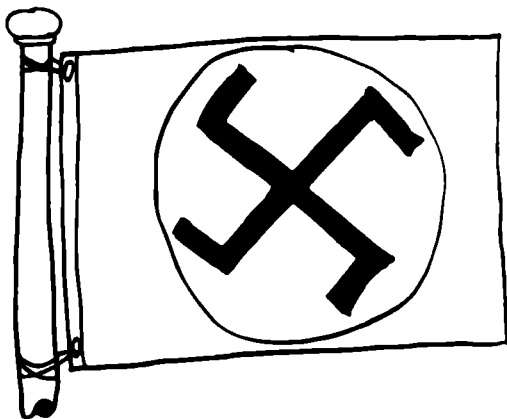
* * *

تناول دواين همبرجر وبطاطس مُحَمَّرَة ومشروبًا غازيًا، في أَجْدَدِ فروعِه لبرجر تشيف، والذي كان في جادَّة كريستفيو، عَبَر الشارِع من حيث تُبنى مدرسة چون إف. كينيدي الثانوية الجديدة. لم يذهب چون إف. كينيدي إلى ميدلاند قَطُّ، لكنَّه كان رئيسًا للولايات المتحدة، مات بالرصاص. كثيرًا ما يموت رؤساء هذا البلد بالرصاص. تتشوّش أذهان القتلِ عادةً بنفس الكيمياء السيئة التي تُؤثّر على دواين.

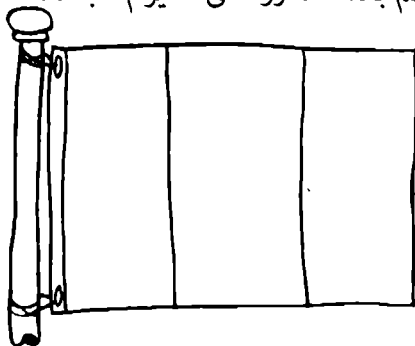
* * *

فيما يخصُّ موضوعَ أن يكون في دماغ المرء كيمياء سيئة، لم يكن دواين وحيدًا بالتأكيد. كانت لديه صحبة واسعة على طول التاريخ. عاصرَ في حياته -مثلًا- أهلَ بَلَدٍ تُدعى ألمانيا، امتلأت رؤوسهم بالكيمياء السيئة لفترةٍ، إلى حدِّ أنهم بنوا مصانعَ هدَفُها الوحيد قتلُ الناس بالملايين. كانوا يرسلون الناس إليها بالقطارات.

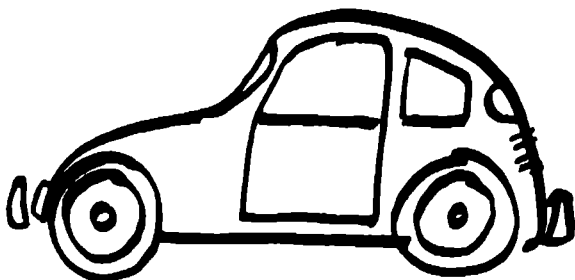
عندما كان الألمان مُمْتَلئين بالكيمياء السيئة، كان عَلمُهُم يبدو كالتالي:



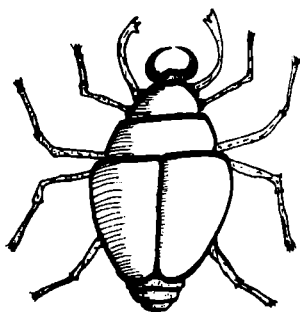
وهذا شَكْلُ عِلْمِهِمْ بَعْدَمَا صَارُوا عَلَى مَا يُرَامُ مُجَدِّدًا:



بَعْدَمَا صَارُوا عَلَى مَا يُرَامُ مُجَدِّدًا، صَنَعُوا سَيَّارَاتٍ رَخِيصَةً قَوِيَّةً، صَارَتْ رَائِجَةً فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ، خَاصَّةً بَيْنَ الشَّبَابِ. كَانَتْ تَبْدُو كَتَلِك:



أَطْلَقَ عَلَيْهَا النَّاسُ "الْخُنْفُسَاءَ". الْخُنْفُسَاءُ الْحَقِيقِيَّةُ تَبْدُو كَالتَّالِي:



الخنفساء الميكانيكيَّةُ كانت من صُنْعِ الألمان. الخنفساء الحقيقية كانت من صُنْعِ خَالِقِ الكون.

* * *

نادِلَةُ دواين في برجر تشيف كانت فتاةً في السابعة عشرة، اسمها باقي كين. شَعْرُهَا كان أصفر. عيناها كانتا زرقاويْن. كان سنُّها كبيراً جداً بالنسبة لتُدِيَّة. أغلب التُدِيَّات في السابعة عشرة إمَّا في الشيخوخة، أو ميَّتَيْن. لكن باقي كانت من نوع التُدِيَّات الذي ينضج ببطءٍ شديد؛ لذا كان الجسد الذي تمتطيه باقي الآن ناضجًا بالكاد.

كانت جديدةً في عالم الناضجين، تعمل حتى تدفع فواتير الأطبَّاء والمستشفى- الهائلة، التي تراكمت على أبيها، بينما يموت أبوها من سرطان القولون في البدء، ثُمَّ سَرطَانِ كُلِّ شيء الآن.

كان ذلك في بلدٍ يُتَوَقَّع فيها من الجميع دَفْعُ فواتيرهم مُقَابِلَ كُلِّ شيء. وأحد أكثر الأشياء التي يمكن أن يفعلها المرءُ تكلفَةً، هو المرض. تكلفة مرض أبي باقي كين كانت عشرة أضعاف مجموع رحلات هاواي التي كان دواين سيُوَزَّعها في نهاية أسبوع هاواي.

* * *

قَدَّرَ دواين طزاجةَ باقي كين، رغم أنه لم يَكُنْ ينجذبُ جنسيًّا للنساء الصغيرات لهذه الدرجة. كانت أقربَ إلى سيَّارةٍ جديدة لم يشتغل فيها حتَّى الرَّاديو بَعْدُ. ودكَّرت دواين بغنوةٍ اعتاد أبوه ترديدها عندما يَثْمَلُ، كانت كالتالي:

الوَرْدُ أَحْمَرُ

وقَطْفُهُ وَشِيكُ

وأنتِ في السادسة عشرة

وجاهزة للــــ... مدرسة الثانوية!

كانت باقى كين غبيّة عمداً، وذلك كان حال أغلب النساء فى ميدلاند. كان لكل النساء أدمغة كبيرة لأنهن كن حيوانات كبيرة، لكنهن لم يستخدمن أدمغتهن كثيراً للسبب التالى: الأفكار غير المعتادة قد تصنع أعداء، والنساء، إن أردن تحقيق أي نوع من الراحة والأمان، كن بحاجة إلى أكبر عدد ممكن من الأصدقاء.

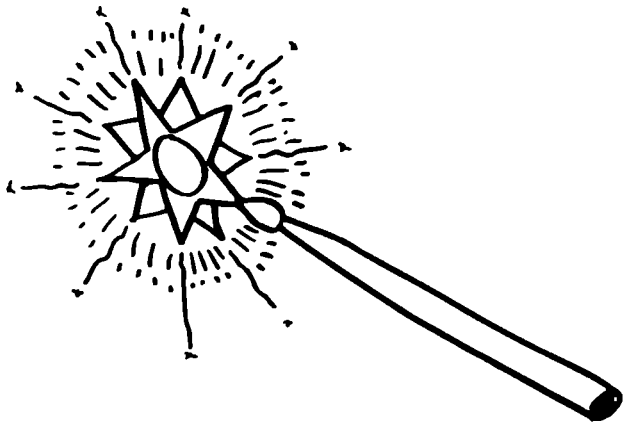
لذلك، حتى يضمن النجاة؛ دربن أنفسهن على أن يصبحن آلات موافقة بدلاً من آلات تفكير. كل ما كان على عقولهن أن تفعله، هو اكتشاف ما الذى يفكر فيه الآخرون، ومن ثم التفكير فيه أيضاً.

* * *

باتى عرفت من هو دواين. دواين لم يعرف من هي باقى. حفق قلب باقى أسرع عندما خدمته؛ لأن دواين يستطيع حل الكثير من مشاكلها بما يملك من مال وقوة. يستطيع منحها منزلاً رائعاً وسيارات جديدة وملابس جميلة وحياءً فاخراً، ويستطيع دفع فواتير العلاج بنفس سهولة تقديمها الهمبرجر والبطاطس المحمّرة والمشروب الغازي له.

بوسع دواين أن يفعل لها ما فعلته الأم الجنيّة لسندريلا إن أراد، وباتى لم تكن من قبل بذلك القرب من مثل ذلك الكائن السحري. كانت بحضرة كيان فوق طبيعى. وكانت تعرف عن نفسها وعن ميدلاند ما يكفي لتفهم أنها على الأرجح لن تكون بذلك القرب ممّا فوق الطبيعة مرةً أخرى.

تخيَّلتِ باتي دواين يُلُوْحُ بعضًا سِحْرِيَّةً فتختفي مشاكِلُها وتتحقِّق
أحلامها. تبدو العصا كتلك:



تحدَّثتِ بشجاعةٍ؛ لترى إن كانت المُساعدة فوق الطبيعية مُمكنة في
حالتها. كانت مُستعدةً للمُضي قُدُماً بدونها، مُتوقِّعةً أن تفعل بدونها،
أن تعمل كادِحَةً طوال حياتها، ألا تنال الكثير في المقابل، أن تربط
نفسها برجالٍ ونساءٍ فقراء مديونين بلا حَوْلٍ ولا قُوَّة. قالت ذلك
لدواين:

"سامِحني مُخاطَبَتِكَ باسمِكَ يا سيد هوفر، لكني لم أستطع مَنَعَ
نفسي من معرفة مَن حَضَرْتُكَ، فصورْتُكَ في الإعلانات في كل مكان.
بالإضافة إلى أن كُلَّ مَن يعمل هنا أخبروني بِمَن أنت. وعندما دخلتُ
المكان، هَسَّ الجميعُ وبَشُّوا".

قال دواين: "بَشُّوا". تلك كانت الإيكوليليا مُجدِّداً.

* * *

قالت: "ربما هذه ليست أنسب كلمة". اعتادت الاعتذار على استخدامها لِلُّغَةِ. شَجَّعُوهَا عَلَى فِعْلِ ذَلِكَ كَثِيرًا فِي الْمَدْرَسَةِ. أَغْلِبَ سُكَّانُ مِيدْلَانْدِ الْبَيْضِ كَانُوا غَيْرِ وَاثِقِينَ فِي كَلَامِهِمْ؛ لِذَا كَانَتْ جُمْلُهُمْ قَصِيرَةً، وَكَلِمَاتُهُمْ بَسِيطَةً، حَتَّى يَحَافِظُوا عَلَى الْأَخْطَاءِ الْمُحْرِجَةِ عِنْدَ حَدِّهَا الْأَدْنَى. فَعَلَّ دَوَايِنَ ذَلِكَ بِلَا شَكِّ. فَعَلَّتْ بَاقِي ذَلِكَ بِلَا شَكِّ.

سَبَبُ ذَلِكَ هُوَ أَنَّ مُعَلِّمِيهِمْ لِلُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ كَانُوا يَجْفَلُونَ وَيُغْطُونَ آذَانَهُمْ وَيُعْطُونَ أَقْلَ الدَّرَجَاتِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ، عِنْدَمَا لَا يَتِمَكَّنُ أَحَدُهُمْ مِنَ الْحَدِيثِ مِثْلِ أَرِسْتَقْرَاطِيٍّ إِنْجِلِيزِيٍّ مِنْ أَيَّامِ مَا قَبْلَ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى. وَقِيلَ لَهُمْ أَيْضًا إِنَّهُمْ غَيْرُ جَدِيرِينَ بِالتَّحَدُّثِ أَوْ بِكِتَابَةِ لُغَتِهِمْ، إِنْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا حُبًّا أَوْ فَهَمًّا الرِّوَايَاتِ وَالْقَصَائِدَ وَالْمَسْرَحِيَّاتِ الْمُبْهَمَةَ، عَنِ نَاسٍ مِنْ أَرْمِنَةِ وَأَمَاكِنَ بَعِيدَةٍ، مِثْلَ إِيقَانَهُو.

لَمْ يَتَحَمَّلِ السُّودُ أَيًّا مِنْ هَذَا. اسْتَمَرُّوا فِي التَّحَدُّثِ بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ بِكُلِّ الطَّرِيقِ الَّتِي تَرُوقُ لَهُمْ. رَفَضُوا قِرَاءَةَ الْكُتُبِ الَّتِي لَا يَفْهَمُونَهَا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَهَا. كَانُوا يَسْأَلُونَ أَسْئَلَةً وَقِحَةً مِثْلَ: "مَبْحِثُشْ أَنَا أَقْرَأُ قِصَّةَ مَدِينَتَيْنِ، إِلَيْهِ يَخْلِينِي أَقْرَأُ أَنَا قِصَّةَ مَدِينَتَيْنِ؟".

رَسَبَتْ بَاقِي كَيْنِ فِي اللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ فِي الْعَامِ الَّذِي كَانَتْ مُضْطَّرَّةً فِيهِ لِقِرَاءَةِ إِيقَانَهُو وَالْإِعْجَابِ بِهَا، وَالَّتِي كَانَتْ رِوَايَةً عَنِ رِجَالٍ يَرْتَدُونَ بِذَلَالٍ حَدِيدِيَّةً وَنِسَاءٍ يُحِبِّبْنَهُمْ. وَوُضِعَتْ فِي فِصْلِ لِتَحْسِينِ قُدْرَتِهَا عَلَى الْقِرَاءَةِ، حَيْثُ جَعَلُوهَا تَقْرَأُ الْأَرْضَ الطَّيِّبَةَ، وَالَّتِي كَانَتْ عَنِ رِجَالِ صِينِيِّينَ.

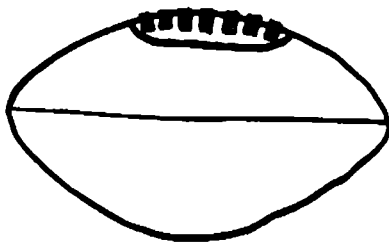
وَكَانَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ الْعَامِ أَنْ فَقَدَتْ عُدْرِيَّتَهَا. اغْتَصَبَهَا عَامِلٌ تَرْكِيْبِ وَحَدَاتٍ غَازٍ يُدْعَى دُونِ بَرِيدْلُوفِ فِي سَاحَةِ الْإِنْتِظَارِ خَارِجِ

استاد بانستر التذكاري في مُقاطعة فيرجراوندز، بعد تصفيات دوري كرة السلة للمدارس الثانوية المحليّة. لم تُبلِّغ الشرطة قط، لم تبلغ أيّ شخص؛ لأن والدها كان يموت في تلك الأثناء.

كان لديها ما يكفيها من المشاكل بالفعل.

سُمِّي استاد بانستر التذكاري تكريمًا لـجورج هيكرمان بانستر، فتى في السابعة عشرة قُتلَ بينما يلعب كرة القدم في المدرسة الثانوية عام 1924. لـجورج هيكرمان بانستر أكبرُ شاهدٍ قَبْرٍ في مقابر كالفاري، مسلةٌ طولها 62 قدمًا، على قِمَّتِها كرةٌ قَدَمٍ رُخاميّة.

كرة القدم الرُخاميّة تبدو مثل تلك:



كرة القدم هي لعبة حربيّة. يتقاتل فيها فريقان متنافسان على الكرة، بينما يرتدون دروعًا مصنوعةً من الجلد والقماش والبلاستيك. قُتلَ جورج هيكرمان بانستر بينما يحاول الحصول على الكرة يوم عيد الشكر. عيد الشكر هو يوم عطلة يُتَوَقَّع فيه مِن كُلِّ مَنْ في البلاد أن يُعبِّروا عن امتنانهم لخالق الكون، على الطعام بالأخص.

تكلفة مسألة جورج هيكمان بانستر تَحَمَّلَتَهَا الْمُسَاهِمَةُ الْعَامَّةُ،
وشاركت الغرفة التجارية بوضع دولار من عندها مقابل كل دولارين
من التَّبرُّعات. ظَلَّتْ لِأَعْوَامٍ عَدِيدَةٍ أَطْوَلَ بِنَاءٍ فِي مِيدَلَانْد. وَصَدَرَ
مَرَسُومٌ مِنَ الْبَلَدِيَّةِ يَجْعَلُ بِنَاءَ أَيِّ مَبْنَى أَطْوَلَ مِنْهَا غَيْرَ قَانُونِيٍّ، صَارَ
اسْمُهُ قَانُونِ جُورْجِ هِيكْمَانِ بَانِسْتِر.

لاحقًا، أُلْقُوا الْمَرَسُومَ فِي الزُّبَالَةِ؛ لِلسَّمَّاحِ لِأَبْرَاجِ الرَّادِيُو بِالِانْتِصَابِ.

أكبر بِنَاءٍ يُنْ فِي الْمَدِينَةِ -إِلَى أَنْ بُنِيَ مَرْكَزُ مِيلْدْرِيدِ بَارِي التَّذْكَارِي
لِلْفَنُونِ فِي شُوجِرْ كْرِيك- كَانَا قَدْ شُيِّدَا حَتَّى لَا يَذْهَبُ جُورْجِ هِيكْمَانِ
بَانِسْتِرِ فِي طَيِّ النِّسْيَانِ أَبَدًا. غَيْرَ أَنْ أَحَدًا لَمْ يَعْذُ يُفَكِّرْ فِيهِ بِحُلُولِ
وَقْتِ مَقَابَلَةِ دَوَايِنِ هُوَقْرٍ وَكِيلْجُورِ تِرَاوْتِ. فِي الْوَاقِعِ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ
الكَثِيرُ لِلتَّفَكِيرِ فِيهِ، حَتَّى فِي زَمَنِ مَوْتِهِ، بِاسْتِثْنَاءِ أَنَّهُ كَانَ صَغِيرًا.

وَلَمْ يَعْذُ لَهُ أَيُّ أَقْرَابٍ فِي الْمَدِينَةِ. لَمْ يَكُنْ فِي دَلِيلِ الْهَاتِفِ أَيُّ بَانِسْتِرِ،
عَدَا (زَا بَانِسْتِرِ)، الَّتِي كَانَتْ صَالَةً عَرِضِ سِينِمَائِيَّةٍ. فِي الْوَاقِعِ حَتَّى
صَالَةُ زَا بَانِسْتِرِ لَنْ تَكُونَ مَوْجُودَةً عِنْدَمَا يَصْدُرُ الدَّلِيلُ الْجَدِيدُ.
تَحَوَّلَتْ زَا بَانِسْتِرِ إِلَى مَتَجَرِّ أَثَاثٍ رَخِيصٍ.

وَالدَّ جُورْجِ هِيكْمَانِ بَانِسْتِرِ وَأُمُّهُ وَشَقِيقَتُهُ لُوسِي، انْتَقَلُوا مِنَ
الْمَدِينَةِ قَبْلَ الْانْتِهَاءِ مِنْ بِنَاءِ شَاهِدِ الْقَبْرِ وَالِاسْتَادِ، وَلَمْ يَتِمَّ كُنْ أَحَدٌ
مِنْ تَحْدِيدِ مَوْقِعِهِمْ خِلَالَ مَرَاثِمِ التَّكْرِيسِ.

ذَلِكَ كَانَ بَلَدًا مُتَمَلِّمًا، يَجْرِي أَنَاثُهُ حَوْلَ أَنْفُسِهِمْ طَوَالَ الْوَقْتِ.
وَمِنْ حِينٍ لِحِينٍ، يَتَوَقَّفُ أَحَدُهُمْ وَيَشِيدُ نُصْبًا.

كان هناك العديد من الأنصبَة التذكاريَّة في البلاد، لكن لم يكن من الشائع أن يحصل شخصٌ عاديٌّ ليس على نُصبٍ واحدٍ فقط، بل اثنين؛ تكريماً له، مثلما حدث في حالة جورج هيكرمان بانستر.

غير أن فعلياً، شُيِّدَ شاهد القبر فقط خصيصاً من أجله. الاستاد كان سيُبنى في جميع الأحوال. خُصِّصَت للاستاد ميزانية من قَبْل وفاة جورج هيكرمان بانستر في عَزِّ شبابه بعامين. لم يُكلِّفهم شيئاً تسميته على اسمه.

* * *

مقابر كالفاري، حيث يرتاح جورج هيكرمان بانستر، سُمِّيت كذلك على شرف اسم جبل كالفاري في القُدس [جبل الجُلجُثَة]، على بُعد آلاف الأميال. يؤمن كثيرٌ من الناس أن ابنَ خالِقِ الكَوْنِ قُتِلَ على ذلك الجبل قبل آلاف السنين.

لم يُقرَّر دواين إن كان يُؤمنُ بذلك أو لا، ولا باقى كين أيضاً.

* * *

ولم يكن ذلك بالتأكيد ما يقلقهما الآن؛ فكلُّ منهما كان مُنشِغاً بأمرٍ آخر. كان دواين يتساءل إلى متى ستدوم هجمة الإيكوليليا تلك، وباتى كين كانت تحاول أن تكتشف إن كانت طزاجتها وجمالها وشخصيتها المنفتحة، مُغرين كفايةً لتاجر بونتياك في منتصف العمر لطيف وجذاب نوعاً مثل دواين.

قالت: "عموماً، إنه لشرفٌ كبيرٌ أن تزورنا، وهذه أيضاً ليست الكلماتِ المناسِبة، لكني أتمنى أن تدرك ماذا أعني".

قال دواين: "أعني".

قالت: "هل الطعام جيّد؟".

قال دواين: "جيد".

قالت: "إنه نفس ما يحصل عليه الجميع، لم نحضر شيء مَخصوصًا لك".

قال دواين: "لك".

لم يهتم ما قاله دواين كثيرًا. لم يهتم ذلك لسنواتٍ عديدة. لا يهتم ما يقوله أكثرُ النَّاسِ في ميدلاند بصوتٍ عالٍ، إلا عندما يتحدثون عن المال أو البناء أو السفر أو الآلات، أو أي شيء يُمكنُ قياسه. كان لكلِّ شخصٍ دور واضح يلعبه. دور شخصٍ أسودٍ أو أنثى لم تُكْمَلِ دراستها أو بائع بونتياك أو دكتور أمراض نساء أو عامل تركيب وحدات غاز. إن توقَّف شخصٌ عن تحقيق التَّوقُّعات المُنتظَّرة من دَوْرِهِ، بسبب كيمياء سيئة أو شيء أو آخر، يظنُّ الجميعُ يتخيَّلون أنه يفعل على أي حال.

ذلك كان السبب الرئيسي لبُطء أهل ميدلاند في اكتشاف الجنون في مَنْ حولهم. أصرتْ مُخيَّلاتهم على أن أحدًا لم يتغيَّر كثيرًا بين اليوم والتالي. مُخيَّلاتهم كانت تروِّسًا في ماكينه الحقيقة المُرَّة المُتداعية.

عندما ترك دواين باقي كين وبرجر تشيف، عندما ولج سيَّارته التوضيحية وقادها مُبتعدًا، كانت باقي كين مُقتنعة أنها قادرةٌ على إسعاده بجسدها الشابِّ وشجاعتهَا ومَرَحِهَا. أرادت أن تصيح بكل هذا في وجهه، وبحقيقة أن زوجته أكلت الدرانو، وأن كلبه مُضطرٌّ للقتال طوال الوقت لأنه لا يستطيع هَزَّ ذيله، وبحقيقة أن ابنه مثليُّ الجنس. عرفت كل ذلك عن دواين. عرف الجميع كل ذلك عن دواين.

حدّقت في برج محطة راديو دابليو. إم. سي. واي. التي امتلكها
دواين هوقر. كان أطول بناء في ميدلاند. كان أطول بثماني مرّات من
شاهد قبر جورج هيكرمان بانستر. على قمّته كان ضوء أحمر لتراه
الطائرات وتجنّبّه.

فكّرت في كلّ السيارات الجديدة والمستعملة التي امتلكها دواين.

اكتشف علماء الأرض لتوّهم شيئاً مذهلاً عن القارة التي تقف
باتي كين عليها. كانت القارة بالصدفة تركب على شريحة سُمكها
حوالي أربعين ميلاً، وكانت الشريحة تنجرف من مكانٍ لآخر على
قشرة مائيّة. وكان لكلّ قارةٍ أخرى شريحة خاصّة بها. عندما ترتطم
شريحة بأخرى، تتكوّن الجبال.

جبال فرچينيا الغربيّة على سبيل المثال، ارتفعت عندما اصطدمت
قطعة ضخمة من إفريقيا بأمريكا الشمالية. وتكوّن فحم الولاية من
الغابات التي دفنها الاصطدام.

لم تسمع باتي كين بالخبر العظيم بعد. ولا دواين. ولا كيلجور
تراوت. أنا لم أعرف به قبل يوم الأمس. كنتُ أقرأ مجلّة، وكان
التلفزيون مفتوحاً. عليه كان مجموعة من العلماء يقولون إنّ نظريّة
الشرائح الطافية المتخبّطة المتطاحنة، باتت أكثر من مجرد نظرية.
صار بوسعهم إثبات صحتها الآن، وأن اليابان وسان فرانسيسكو -على
سبيل المثال- كانتا في خطرٍ محدّق؛ لأنهما حيث يحدث معظم الخبّط
والطحن.

قالوا كذلك إن العصور الجليديَّة ستستمرُّ في الحدوث. والأنهار الجليدية -بحسب وجهة النَّظر الجيولوجية- ستستمرُّ في الارتفاع والهبوط مثل ستائر النوافذ.

* * *

كان لدواين هوفر -بالصدفة- عَضُو ذَكَرِيٌّ ضَخْمٌ لِدَرَجَةٍ غَيْرِ عَادِيَّةٍ، ولم يَكُن يَعْرِفُ ذَلِكَ. النَّسَاءُ الْقَلِيلَاتُ اللِّوَاتِي عَرَفَنَهُ لَمْ يَكُنَّ خَبِيرَاتٍ بِمَا يَكْفِي لِيَعْرِفْنَ إِنْ كَانَ مُتَوَسِّطاً أَوْ لَا. اَلْمُتَوَسِّطُ الْعَالَمِيُّ لِلطُّوْلِ كَانَ خَمْسَ بُوَصَاتٍ وَسَبْعَ أَثْمَانَ الْبُوَصَةِ، وَلِلْقَطْرِ بُوَصَةٌ وَنِصْفٌ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا يَحْتَقِنُ الْعَضُوُّ بِالدَّمَاءِ. طُولُ عَضُو دَوَايْنِ كَانَ سَبْعَ بُوَصَاتٍ، وَقُطْرُهُ بُوَصَتَيْنِ وَثَمَنَ الْبُوَصَةِ، عِنْدَمَا يَحْتَقِنُ بِالدَّمَاءِ.

بَانِي ابْنِ دَوَايْنِ، كَانَ لَهُ عَضُوٌّ مِثْلُ الْمَتَوَسِّطِ بِالضَّبْطِ.

طُولُ عَضُو كِيلْجُورِ تَرَاوَتْ كَانَ سَبْعَ بُوَصَاتٍ، لَكِنْ عَرَضُهُ كَانَ بُوَصَةً وَرُبْعَ الْبُوَصَةِ فَقَطْ.

تلك كانت البوصة:



هَارِي لِيْسَابَرِ، مُدِيرُ مَبِيعَاتِ دَوَايْنِ، طُولُ عَضُوهِ كَانَ خَمْسَ بُوَصَاتٍ، وَقُطْرُهُ كَانَ بُوَصَتَيْنِ وَثَمَنَ الْبُوَصَةِ.

سَيْبِرِيَانِ أَوْكُوِينْدِي، الطَّبِيبُ الْأَسْوَدُ النِّيچِيرِي، كَانَ طُولُ عَضُوهِ سِتِّ بُوَصَاتٍ وَسَبْعَ أَثْمَانَ الْبُوَصَةِ، وَقُطْرُهُ بُوَصَةٌ وَثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْبُوَصَةِ.

دون بريدلوف، عامل تركيب وحدات الغاز الذي اغتصب باقي كين، كان طول عضوه خمس بوصات وسبع أثمان البوصة، وعرضه بوصةً وسبع أثمان البوصة.

* * *

كان فخذًا باقي كين أربعًا وثلاثين بوصة، وخصرها ستًا وعشرين بوصة، وصدرها أربعًا وثلاثين بوصةً.

فخذًا زوجة دواين الراحلة كانا ستًا وثلاثين بوصة، وخصرها ثمانية وعشرين بوصةً، وصدرها ثمانية وثلاثين بوصة عندما تزوجها. وكان فخذها تسعًا وثلاثين بوصة، وخصرها إحدى وثلاثين بوصة، وصدرها ثمانية وثلاثين بوصة عندما أكلت الدرانو.

عشيقته وسكرتيرته فرانسيس بيفكو، كان فخذها سبعًا وثلاثين بوصة، وخصرها ثلاثين بوصة، وصدرها تسعًا وثلاثين بوصة.

أمه بالتبني ساعة موتها كان فخذها أربعًا وثلاثين بوصة، وخصرها أربعًا وعشرين بوصة، وصدرها ثلاثًا وثلاثين بوصة.

* * *

هكذا ذهب دواين من برجر تشيف إلى موقع بناء المدرسة الثانوية الجديدة. لم يكن متعجلًا العودة إلى وكالة السيارات، خاصةً بعد إصابته بالإيكوليليا. فرانسيس كانت قادرةً كفاية على إدارة المكان بنفسها دون مساعدة دواين. لقد درّبها جيدًا.

هكذا ركل بعض الرّملي في حفرة القبو، بصق فيه، خطأ في الطين، امتصّ منه الطين فردةً جذائه اليمنى، حفر لإخراج الحذاء بيديه، ثم مسح، ثم استند إلى شجرة تفاح قديمة بينما يلبسه مُجددًا. تلك كانت أراضي زراعيةً عندما كان دواين طفلًا. وكان هنا بُستانُ تفاح.

* * *

نسي دواين كل ما يتعلّق بباتي كين، لكنها بكل تأكيد لم تنسهُ. ستستجمع شجاعةً كافيةً في الليل لتتصلّ به على الهاتف، لكنه لن يكون في البيت ليجيب. سيكون حينها في ززانةٍ مُبطنَةٍ بمسشفى المقاطعة.

وهام دواين في المكان مُتأملاً بإعجاب الآلة الضخمة القادرة على تشكيل الأرض، التي نظّفت الموقعَ وحفّرت حُفرةَ القبو. الآلة ساكنة الآن، يكسوها الطين. سأل دواين عاملاً أبيض عن قُوّة محرّكها بالأحصنة. كلُّ العَمال كانوا بيضاً.

قال العامل التالي: "لا أعرف كم حصان، لكنني أعرف اسمها فيما بيننا".

قال دواين، سعيداً بانحسار الإيكوليليا: "بماذا تُسمونها بينكم؟".

قال العامل: "آلة الألف زنجي". وكان في ذلك إحالةً للوقت الذي كان فيه الزنوج يقومون بأغلب أعمال الحفر الضخمة في ميدلاند.

* * *

أضخم عُضوٍ ذكريّ في الولايات المتحدة كان طوله أربع عشرة بوصة، وقطرُه بوصتَين ونصف البوصة.

أضخم عُضوٍ ذكريّ في العالم كان طوله ستّ عشرة بوصة وسبع أثمان البوصة، وقطرُه بوصتَين ورُبُع البوصة.

الحيوت الأزرق، وهو ثدييٌّ بحريٌّ، عُضوُه الذكريُّ طوله ستّاً وتسعين بوصة، وقطرُه أربع عشرة بوصة.

* * *

ذات مرة وصل لدواين هوفر إعلانٌ عبر البريد عن مُلحقٍ للقضيب مصنوع من المطاط. يُمكنه تركيبُه في نهاية عُضوِه الحقيقيّ، بحسب

الإعلان، وإمتاع زَوْجَتِهِ أو معشوقته بالبوصات الإضافية. أرادوا أيضًا أن يبيعوا له مِهْبَلًا مَطَّاطِيًّا يُشْبِه الحقيقِيَّ إذا كان وحيدًا.

عاد دواين لِعَمَلِهِ في حوالي الثانية بعد الظهر، وتَجَنَّب الجميع بسبب الإيكوليليا. ذهب إلى مكتبه الداخلي، وَقَلَّبَ أدراج مكتبه بحثًا عن شيء يقرؤه أو يشغل دماغه. وجد الكُتَيْبَ الذي عرض عليه من قبل ملحق القضيبي والمهبل المطاطي رفيق الوحدة.

عرض عليه الكُتَيْبُ أيضًا أفلامًا مثل تلك التي شاهدها كيلجور تراوت في نيويورك. وكانت فيه صور ثابتة مأخوذة من الأفلام، أدَّى ذلك لجعل مركز التحفيز الجنسي في عقل دواين يُرسل نبضة عصبية إلى مركز الانتصاب في منتصف عموده الفقري.

مركز الانتصاب جعل الوريدَ الظَّهْرانيَّ في عضوه يَشْتَدُّ، هكذا يستطيع الدم أن يَدْخُلَه بسهولة، لكنه لا يستطيع الخروجَ مَرَّةً أخرى. وجعل أيضًا الشرايين الصغيرة في القضيب ترتاح، فتمتلئ بأنسجة إسفنجية من التي يتكوَّن منها أغلب قضيب دواين، هكذا صار القضيب صلبًا متوترًا، مثل خرطوم حديقة مسدود.

هكذا اتَّصل دواين بفرانسين بيفكو على الهاتف، رغم أنها على بُعدِ إحدى عشرة قدمًا منه فقط. قال: "فرانسين...؟".

قالت: "نعم؟".

قاوم دواين الإيكوليليا. "سأطلب منك شيئًا لم أطلبه منك من قبل. عِدْني أنكَ ستوافقين".

قالت: "أَعِدْكَ".

مكتبة

t.me/t_pdf

قال: "أريدك أن تخرجي معي من هنا فوراً، وتذهبي معي إلى موتيل كواليتي في شيبردزتاون".

* * *

فرانسين بيفكو كانت مُستعدَّةً للذهاب إلى موتيل كواليتي مع دواين. أمنت أن ذلك واجبها، خاصَّةً وأن دواين بدا شديدَ الاكتئاب والتَّخَبُّط. لكنها لم تستطع أن تترك المكتب بهذه البساطة في فترة بعد الظهر، خاصَّةً وأن مكتبها هو المركز العَصْبِيُّ لقرية بونتياك دواين هوَقر عند المَخْرَج 11.

قالت فرانسين لدواين: "عليك أن تجد لك مُراهقَةً صغيرةً مَجنونة، تستطيع أن تجري إليك وقتما أَرَدْتَهَا أن تفعل".

قال دواين: "أنا لا أريد مُراهقَةً مَجنونة، أريدك أنتِ".

قالت فرانسين: "إذن عليك أن تكون صبوراً". ثم ذهبَت إلى قسم الخدمات في الخلف، وتَرَجَّت جلوريا براوننج، الكاشيرة البيضاء هناك، أن تتولَّى مكتبها لبعض الوقت.

لم تُرد جلوريا أن تفعل ذلك؛ فقد مرَّت بعملية استئصال رحم قبل شهر فقط، في سن الخامسة والعشرين، بعد إجهاضٍ فاشل في فندق رامادا بمُقاطعة جرين، في شارع 53، عبر الشارع من مدخل متنزه بايونير فيلدج العام.

وهنا تكمن مُصادفَةٌ مُذهِلةٌ إلى حَدِّ ما: والد الجنين الذي لم يُعد كذلك كان دون بريدلوف، عامل تركيب وحدات الغاز الذي اغتصب باقي كين في ساحة انتظار استاد بانستر التذكاري.

كان رَجُلًا ذا زَوْجَةٍ وثلاثة أبناء.

* * *

على الحائط خلف مكتب فرانسين كانت هناك لافتة، تَلَقَّتْهَا
كَمْزَحَةً في احتفال وكالة السيارات بالكريسماس في الهوليداي إنَّ
الجديد في العام السابق.

أفصحت اللافتة عن حقيقةٍ وَضَعَهَا. هكذا كانت:



قالت جلوريا إنها لا تريد تَوَلِّيَ المركز العَصَبِيَّ. قالت: "لا أريد
تَوَلِّيَ أي شيء".

لكنَّ جلوريا تَوَلَّتْ مكتب فرانسين على أي حال. قالت: "ليس
لديَّ الشجاعة الكافية للانتحار؛ لذا سأفعل أي شيء يقوله أي شخص،
كخدمة للبشرية".

اتَّجِه دواين وفرانسين إلى شيبردزتاون في سيارَاتٍ مُنْفَصِلَة، حتى لا يلفتوا الأنظارَ إلى غرامِهِم الخَفِيّ. دواين كان في السيارة التوضيحيَّة مَرَّةً أُخْرَى، فرانسين كانت في سيارَتها الجِبي. تي. أو. الحمراء. جي. تي. أو. تعني جران توريسمو أوملوجاتو. كان على مُؤخَّرَة سيارَتها مُلصَقٌ يقول:

تعال إلى كهف العجزة المقدسة

كان في وَضْعِهَا ذلك المُلصَقِ على سيارَتها كثيرٌ من الوفاء. كانت هكذا على الدوام. داعِمَةً دوماً لِرَجُلِهَا، داعِمَةً دوماً لدواين.

وكان دواين يحاول ردَّ الجميل بتفاصيل بسيطة. صار مثلاً يقرأ مُؤخَّرًا مقالاتٍ وكُتُبًا عن الممارَسَة الجِنسيَّة. كانت هناك ثورة جنسيَّة تحدث في البلد، وباتت النِّساءُ تطالب الرِّجال بالاهتمام أكثر بِمُتَعَةِ المرأة في أثناء الممارَسَة الجِنسيَّة، بدَلًا من التفكير فقط في أنفسهم. قالت الكتب والمقالاتُ -ودَعَمَ قولُها العلماءُ- إن مفتاح سَعادَتِهِنَّ هو البَظُرُ، وهو أسطوانةٌ دَقِيقَةٌ من اللحم تقع مباشرةً فوق الحفرة عند النساء التي يُفْتَرَضُ أن يضع فيها الرِّجالُ اسطواناتِهِنَّ الأكبرَ بكثير.

كان يفترض بالرجال أن يهتمُّوا أكثر بالبَظُرِ، ودواين كان يفعل ذلك بكثرة لبَظُرِ فرانسين، لِدرجة قولِها له إنَّه يفعل أكثر من اللازم. لم يُفاجِئَه ذلك؛ فالأشياء التي كان يقرؤها عن البظر قالت إن اهتمام الرجل أكثر من اللازم بالبَظُرِ خَطَرٌ.

هكذا، وبينما كان يسوق في طريقه إلى موتيل كواليتي ذلك اليوم، كان يأمل أن يهتّم ببظر فرانسين بالقدر الملائم بالضبط.

كتب كيلجور تراوت ذات مرة رواية قصيرة عن أهمية البظر في ممارسة الحبّ. ذلك كان استجابةً لاقتراح زوجته الثانية، دارلين، التي قالت إنّه قد يحصد ثروةً من كتاب بذيء. قالت له إنّ على البطل أن يفهم النساء جيّدًا لدرجة أنه يستطيع إغواء أيّ واحدة يريدّها. هكذا كتب تراوت (ابن جيمي فالنتين).

جيمي فالنتين كان شخصيّةً خياليّةً شهيرة في كتاب مؤلّفٍ آخر، بالضبط مثلما تراوت شخصيّةً خيالية شهيرة في كتبي. جيمي فالنتين في كتب المؤلّف الآخر كان قد صقل أنامله بالصنفرة، حتى صارت شديدة الحساسية. كان لصّ خزائن، حاسّة لمسه كانت فائقةً لدرجة أنّه كان بوسعه فتح أيّ خزنةٍ فقط بمجرد تحسّس وقوع ريشة قفليها.

اخترع كيلجور تراوت ابنًا لجيمي فالنتين، أطلق عليه رالستون فالنتين. صقل رالستون فالنتين أيضًا أطراف أنامله. لكنه لم يكن لصّ خزائن. كان رالستون ماهرًا في لمس النساء بالطريقة التي يرغبن أن يلمسنّ بها، لدرجة أن عشرات الآلاف منهنّ صرنّ له جارياتٍ مطيعات، هجرن أزواجهنّ وعشاقهنّ من أجله في قصة تراوت، وصار رالستون فالنتين رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية بفضل أصوات النساء.

مارس دواين وفرانسين الحبّ في موتيل كواليتي. ثم ظلّ في السرير لوهلة. كان سريرًا مائيًا. جسد فرانسين كان جميلًا، وكذا كان جسد دواين. قالت فرانسين: "لم نمارس الحبّ في فترة بعد الظهيرة من قبل".

قال دواين: "كان ذلك جامحًا".

قالت فرانسين: "أعلم ذلك. هل أنت أفضل الآن؟".

"نعم". كان مُتَمَدِّدًا على ظهره، كاحلاه مَعْقُودَانِ، يدها مَثَبَتَانِ خلف رأسه. تَمَدَّدَ بجوار فُخْذِهِ أَيْرُهُ الْعَظِيمُ مثل السُّجُوقِ، بات مسترخيًا.

قالت فرانسين: "أحبُّكَ كثيرًا"، ثم استطرَدَت مُصَحَّحَةً: "أعلم أنني وَعَدْتُكَ أَلَّا أَقُولَ ذلك، لكن ذلك وَعَدٌ لَا يَسَعُنِي إِلَّا مُخَالَفَتُهُ طَوَالَ الوَقْتِ". الفِكرَةُ كانت أن دواين عَاهَدَهَا من قبل أَلَّا يَذْكَرَ أَحَدُهُمَا الحُبَّ. منذ أَكَلت زوجة دواين الدرانو، لم يُرِدِ دواين السَّمَاعَ عن الحب مَرَّةً أُخْرَى أَبَدًا. صار ذلك موضوعًا مؤلمًا.

شخر دواين. كان اعتاد التَّوَأَصَلَ بالشَّخْرِ بعد الممارسة الجنسية. كان لكل شَخْرَةٍ معنى دَمِثٍ، "حسنًا... انس الأمر... مَنْ يَلُومُكَ؟"، وما إلى ذلك.

قالت فرانسين: "في يوم الحساب، عندما يسألونني عن الأشياء السَّيِّئَةِ التي فَعَلْتُهَا على الأرض، سأضطرُّ لأن أقول لهم "حسنًا، وَعَدْتُ رَجُلًا أَحِبُّهُ وَعَدًا، وَخَلَفْتُهُ طَوَالَ الوَقْتِ. وَعَدْتُهُ أَلَّا أَقُولَ له أَبَدًا إني أُحِبُّهُ"".

هذه المرأة السَّخِيَّةُ، الشَّبِيقَةُ، التي لم يتجاوز دخلها الأسبوعي بعد خصم الضرائب 96 دولارًا و11 سنتًا، فَقَدَتِ زوجها روبرت بيفكو في حرب فيتنام. كان ضابطًا في الجيش. وكان له عضو ذكري طوله ست بوصات ونصف البوصة، وقطره بوصة وسبع أمثان البوصة.

كان قد تخرَّج في ويست بوينت، وهي أكاديمية عسكرية تعمل على تحويل الشباب إلى انتحاريين مخابيل لاستخدامهم في الحرب.

مضت فرانسين خلف روبرت من ويست بوينت إلى مدرسة المظلات في فورت براج، ثم إلى كوريا الجنوبية، حيث أدار متجر تجزئة

خاصًا بالجنود، ثم إلى جامعة بنسلفانيا، حيث درس روبرت ماجستير في الأنثروبولوجيا على نفقة الجيش، ثم عاد مرةً أخرى إلى ويست بوينت، حيث صار مُدرِّسًا مساعدًا للعلوم الاجتماعية لثلاثة أعوام.

بعد ذلك، تَبِعْتَه فرانسيس إلى ميدلاند، حيث أشرف روبرت على تصنيع نوع جديد من الألغام. الألغام هي أدوات مُتفجِّرة يَسْهُل إخفاؤها، تنفجر عندما يخطو أحدهم بالصدفة على بعضها. من مُمَيِّزات ذلك النوع الجديد من الألغام أنه لا يمكن أن تَشُمَّه الكلاب. جيوشٌ كثيرة في ذلك الوقت كانت تُدرب الكلاب على تَشُمَّ الألغام.

* * *

عندما أصبح روبرت وفرانسيس في ميدلاند، لم يكن هناك الكثير من العسكريين في الأنحاء؛ لذا كَوَّنَا أولى صداقاتهم المَدَنِيَّة. وَحَصَلَتْ فرانسيس على وظيفة عند دواين هوغر؛ لتعزيز راتب زوجها، ومَلءِ فراغ أيامها.

لكنهم أرسلوا روبرت بعدها إلى فيتنام.

بعد ذلك بقليل، أكلت زوجة دواين الدرانو، وَشَحِنَ روبرت إلى الوطن في كيسٍ جُنَّثٍ بلاستيكي.

* * *

قالت فرانسيس في موتيل كواليتي: "أشْفِقُ على الرجال"، وكانت مُخْلِصَةً في قَوْلِهَا. "لم أكن لأودُّ أن أكون رجلًا، كم هم يُخاطِرون، وكم يعملون بجدًّا". كانا في الطابق الثاني من الموتيل. الأبواب الزجاجية المنزَّلقة مَنَحَتْهُم إطلالةً على الشرفة الإسمنتية وحاجزها المعدني بالخارج، ثم على الطريق 103، ثم على جدار وسقف الهيئة الإصلاحية للبالغين بعد ذلك.

تابعت فرانسين: "لا عجب أنك مُرَهَقٌ مُنْفَعِلٌ طوال الوقت، لو كنتَ رَجُلًا كنتُ سأكون مُرَهَقَةً مُنْفَعِلَةً أيضًا. أعتقد أن الربَّ خلق النساء حتى يدلُّعوا الرجال كما الأطفال، ويريحوهم من وقت لآخر". كانت راضيةً تمامًا الرضا عن ذلك النظام.

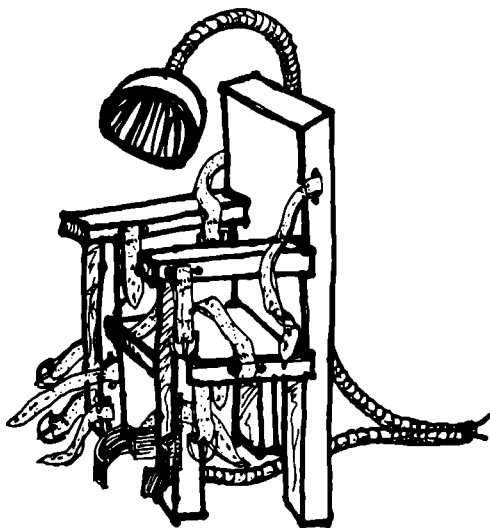
شخر دواين. كان الهواءُ مُفَعَمًا برائحة التوت، التي كانت رائحة المُطَهَّر وقاتل الصراصير الذي يستخدمه الموتيل.

تأمّلت فرانسين السُّجن، حيث الحُرَّاس كلهم بيضٌ، وأغلب المساجين سود. قالت: "هل ما يقولون إن أحدًا لم يهرب من هناك قطُّ حقيقيٌّ؟".

قال دواين: "حقيقيٌّ".

* * *

قالت فرانسين: "متى كانت آخر مرة استخدموا فيها الكرسيَّ الكهربائي؟". كانت تسأل عن جهاز في قبو السجن، يبدو كذلك:



هدف الجهاز كان قتل الناس عبر ضحّ كمّ كبير من الكهرباء فيهم بأكثر من قُدرة أجسادهم على التّحمل. رآه دواين مرّتين، مرّة خلال جولة في السجن مع أعضاء العُرقة التجارية قبل أعوام، ومُجددًا عندما استُخدِمَ بالفعل على إنسانٍ أسودَ يعرفه.

* * *

حاول دواين أن يتذكّر متى حدث آخرُ إعدامٍ في شيردزتاون. بات الإعدامُ بلا شعبيّة. توجد علاماتٌ أنه سيعود رائجًا مرّةً أخرى. حاول دواين وفرانسين تذكّر أحدث إعدامٍ بالكهرباء وقع في أيّ مكانٍ بالبلاد وعلّق في ذاكرتهم.

تذكّرا الإعدامَ المُزدوجَ لرجلٍ وزوجتهِ بتهمةِ الخيانة. يُفترضُ أنّ الزّوجين قد سرّبا أسرارًا عن كيف تُصنعُ قنبلةٌ هيدروجينية لبلدٍ آخر.

تذكّرا الإعدامَ المُزدوجَ لرجلٍ وامرأةٍ عاشقين. كان الرجل وسيماً وجذاباً، واعتاد إغواء النساء الكبار الشّمطاوات اللواتي يملكن المال، ثم يشرع هو والمرأة التي يُحبُّ في قتل النساء لأجل أموالهنّ. المرأة التي أحبّها فعلاً كانت صغيرةً، لكنها بلا شكّ لم تكن جميلةً بالمعنى التقليدي. كان وزنها 240 رطلاً [109 كيلو جرام].

تعبّبت فرانسين بصوتٍ عالٍ: لماذا قد يُحبُّ شابٌ وسيمٌ نحيفٌ امرأةً ثقيلة إلى هذه الدّرجة.

قال دواين: "إلي يعيش ياما يشوف".

* * *

قالت فرانسين: "أتعلم بما أفكّر دومًا؟".

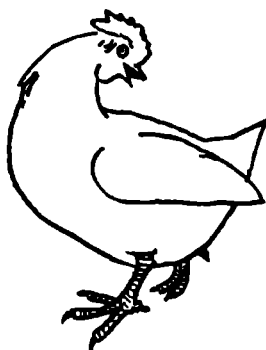
شخر دواين.

"أن ذلك سيكون موقعاً مثاليًا لفرع دجاج كنتاكي جديد".

تَشْنُجُ جَسَدِ دَوَايِنِ الْمُسْتَرْخِيِّ، كَمَا لَوْ أَنَّ كُلَّ عَظْلَةٍ فِيهِ لَسَعَتْهَا قَطْرَةٌ مِنْ عَصَارَةِ اللَّيْمُونِ.

كانت المشكلة في الآتي: أراد دواين أن تُجِبَّه فرانسيس لجسده وروحه، وليس لما تستطيع أمواله شراءه. اعتقد أن فرانسيس كانت تُلَمِّحُ أن عليه أن يشتري لها فرعَ دَجَاجٍ كَنْتَاكِي، والذي كان برنامجًا لبيع الدجاج المقلّي.

الدجاجُ هم طيورٌ لا تطيرُ، تبدو كتلك:



الفِكرَةُ كانت في قَتْلِهَا وَقَطْفِ ريشها كُلِّه، ثم فصل رؤوسها وأرجلها، وانتزاع أحشائها الداخلية، ثم تقطيعها إلى قِطْعٍ، وَقَلْبِي تِلْكَ القِطْعِ، ووضع القِطْعِ المَقْلِيَّةِ في دَلْوٍ مِنَ الْوَرَقِ الْمُشْمَعِ؛ فتبدو كتلك:

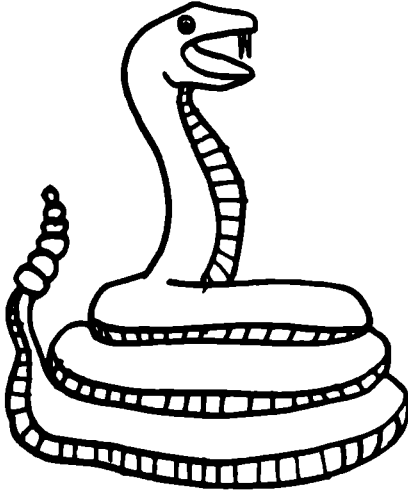


فرانسين، التي كانت شديدة الفخر بِقُدْرَتِها على تَهْدِيَةِ دواين،
أَمَسَتْ الآن خَجَلانَةً من جَعْلِها إِيَّاه يَتَشَنَّجُ مُجَدِّدًا. صار صُلبًا مثل
لَوْح الحديد. قالت: "يا رَبِّي. ماذا صار الآن؟".

قال دواين: "إن كنتِ سَتَطْلُبِينَ مني الهدايا، اعملي فيَّ معروفًا
ولا تُلْمَّحي بذلك بعدما مارَسنا الحُبَّ. لتفِصِلُ بين ممارسة الحب
والهدايا، حسنًا؟".

قالت فرانسين: "أنا لا أعلم حتى ماذا تَحَسْبُنِي طَلَبْتُ".

بقسوة قَلَّدَها دواين بصوتٍ حادٍّ ساخر: "لا أعلم حتى ماذا
تَحَسْبُنِي طَلَبْتُ". بدا الآن هادئًا مُبْتَهَجًا بقدر ما تبدو أفعى ذاتُ
جَرَسٍ كذلك. كانت الكيمياء السَّيِّئَةُ بالطبع هي ما تُجِره على أن
يبدو كذلك. الأفعى ذات الجرس الحقيقية تبدو كتلك:



وضع خالِقُ الكون في ذيلها جَرَسًا. مَنَحَها خالِقُ الكونِ أسنانًا
كانت أيضًا مَحاقِنَ مَلِيئَةً بِسُمِّ قاتل.

أَتَعَجَّبُ أحياناً من خالق الكون.

* * *

من الحيوانات الأخرى التي اخترعها خالق الكون: حُنْفُساءٌ مَكْسِيكِيَّةٌ بوسعِها تحوِيلُ مُؤَخَّرَتِها إلى مُسَدِّسٍ طَلقاتٍ فارغة. بوسعِها تفجير ضَرَطَتِها وطرح الحشرات الأخرى أرضاً بالموجاتِ الصَّادمةِ الناتجة. أُقَسِّمُ بشرفي.

قرأتُ عنها في مقالٍ عن الحيوانات الغريبة في مجلة داينرز كلوب.

* * *

هكذا خرَّجتِ فرانسيس من السرير حتى لا تُشارِكه مع ما صار يبدو مثل أفعى ذات جرس. كانت مَصعوقَةً. كل ما استطاعت قوله مراراً وتكراراً كان: "أنتَ رَجُلِي، أنتَ رَجُلِي". كان ذلك يعني أنها مُستَعِدَّةٌ لموافقة دواين على أيِّ شيء، لِفِعْلِ أيِّ شيء من أجله، مهما كان صعباً أو مُنْفِراً، للتفكير في أشياء لَطِيفَةٍ تفعلها له دون حتى أن يُدرك أنها تفعل، أن تموت من أجله إن كان ذلك ضرورياً، وما إلى ذلك.

حاولتِ بصدقٍ أن تعيش بهذه الطريقة. لم تَسْتَطِعْ تَخِيْلَ أيِّ شيء أفضل لتفعله؛ لذا انهارت عندما استمرَّ دواين في وَقاحتِهِ. قال لها إن كُلَّ النساءِ عاهراتٌ، وَلِكُلِّ عاهِرَةٍ مَنَّها، وأن مَن فرانسيس هو تكلفة فرع دجاجٍ كنتاكي، والذي كان أكثرَ من مائة ألف دولار بكثيرٍ، بعد أخذ مساحة رُكنِ السيارات والإضاءة الخارجية وغيرها في الاعتبار، وما إلى ذلك.

أجابت فرانسيس بين دموعها بكلامٍ غير مفهوم، مُفادُهُ أنها لم تُردِ الفَرعَ لنفسها، بل أرادته لدواين، وأن كُلَّ شيء تريده هو لدواين. وجد

بَعْضُ كَلَامِهَا طَرِيقَهُ لِه. قَالَتْ: "فَكَّرْتُ فَيَمَنْ يَأْتُونَ لَزِيَارَةِ أَقَارِبِهِمْ فِي السَّجْنِ، وَأَدْرَكْتُ أَنْ أَعْلَبَهُمْ مِنَ السُّودِ، وَفَكَّرْتُ كَيْفَ أَنْ السُّودَ يُحِبُّونَ الدَّجَاجَ الْمَقْلِيَّ".

قال دواين: "إذن تريدني أن أفتح مَطْعَمًا للزواج؟"، وما إلى ذلك. هكذا نالت فرانسيس شرفاً أن تكون ثاني أقرب شخص لدواين يكتشف مدى الدناءة الذي يستطيع أن يبلغه.

قالت فرانسيس: "هاري ليسابر كان مُحِقًّا". كانت الآن قد تراجعت حتى التصق ظهرها بحائط غرفة الموتيل الإسمَنتي، وأصابها مفرودة فوق فمها. كان هاري ليسابر بالطبع مُدير مبيعات دواين الترانسفيستيت. قالت: "قال إنَّكَ تَغَيَّرْتَ". صَنَعَتْ بِأَصَابِعِهَا قَفْصًا حَوْلَ فَمِهَا. قَالَتْ: "يا ربي. لقد تَغَيَّرْتَ، لقد تَغَيَّرْتَ".

قال دواين: "رُبَّمَا حَانَ الْوَقْتُ لِذَلِكَ. لَمْ أَشْعُرْ أَنِّي بِحَالَةٍ جَيِّدَةٍ لِهَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنْ قَبْلِ فِي حَيَاتِي"، وما إلى ذلك.

* * *

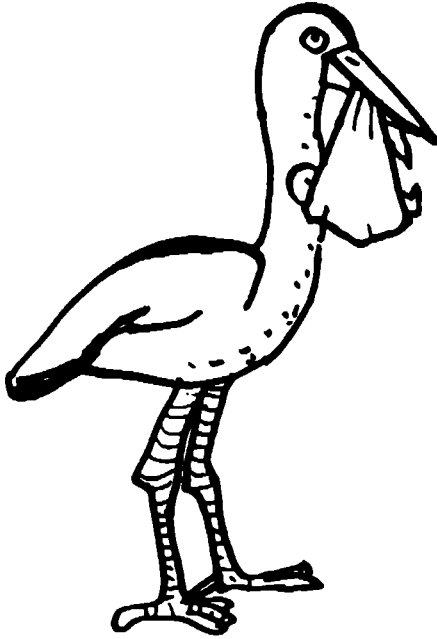
كان هاري ليسابر في تلك اللحظة يبكي أيضًا. كان في بيته، في سريه. كان قد وضع مِلاَةً بَنَفْسَجِيَّةً مِنَ الْقَطِيفَةِ فَوْقَ رَأْسِهِ. كَانَ ثَرِيًّا؛ فَقَدْ اسْتَثْمَرَ فِي الْبُورْصَةِ بِذِكَاةٍ وَحَظٍّ سَعِيدٍ عَلَى مَرِّ السَّنِينَ. كَانَ -عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ- قَدْ اشْتَرَى مِائَةَ سَهْمٍ مِنْ شَرِكَةِ زِيْرُوكْسِ بِسَعْرِ ثَمَانِي دُولَارَاتٍ لِلْسَّهْمِ. بِمَرُورِ الْوَقْتِ تَضَاعَفَتْ قِيَمَةُ أَسْهُمِهِ مِائَةَ مَرَّةً، دُونَ أَنْ تَفْعَلَ شَيْءً عَدَا الْاسْتِقْلَاقَ فِي ظِلْمَةِ وَصْمَتِ صُنْدُوقِ وَدَائِعِهِ.

كان هناك كثيرٌ من السحر المالي المُشَابِه. يبدو الأمر وكأن هناك جِنِّيَّةً زَرْقَاءَ مَا تُرْفِرُ فِي أَنْحَاءِ ذَاكَ الْكُوكَبِ الْمُحْتَضِرِ، وَتَلْوُحُ بِعِصَاهَا السَّحْرِيَّةَ عَلَى صُكُوكِ وَسَنْدَاتٍ وَأَسْهُمٍ بِعَيْنِهَا.

* * *

جريس، زوجة هاري، كانت مُمدَّدةً على شيزلونج يَبْعُدُ مَسَافَةً
عن السرير، تُدَخِّنُ سيجارًا صغيرًا في حَامِلٍ طويلٍ مصنوعٍ من عَظْمَةِ
قَدَمٍ لَقَلْقٍ. اللَقَلْقُ كان طَائِرًا أوروپيًّا ضَخْمًا، حَجْمُهُ نِصْفُ حَجْمِ نَسْرِ
برمودا. كان يُقال للأطفال الذين يريدون معرفة من أين تأتي المواليد،
إنَّ اللَقَلْقَ يُحْضِرُهُمْ. الناس الذين يقولون مثل هذه الأشياء لأبنائهم
يفعلون ذلك لأنهم يَحْسَبُونَ الأطفالَ أصغرَ من أن يُفَكِّرُوا بِذَكَاءٍ في
القنادس المفتوحة على مِصْرَاعَيْهَا ومثل ذلك.

وكان هناك بالفعل صُورٌ لِلْقَالِقِ تَحْمِلُ مواليدَ في إعلاناتِ الولادة،
وفي الرسوم المُتحرِّكة، وما إلى ذلك؛ حتى يراها الأطفال. يبدو الواحد
منهم مثل ذلك:



رأى دواين هوفر وهاري ليسابر صُورًا مثل تلك عندما كانا صبيَّين صغيرَيْن للغاية. وصدَّقاها أيضًا.

عَبَّرت جريس ليسابر عن احتقارها لرأي دواين هوفر الطيب، الذي شعر زوجها أنه خَسِرَها. قالت: "تبًّا لدواين هوفر وتبًّا لميدلاند. دعنا نبيع أسهم زيروكس اللعينة ونشتري شَقَّةً في ماوي". ماوي كانت من جُزُرِ هاواي، يُشاعُ عنها أنَّها جَنَّة.

قالت جريس: "اسمع، نحن البيضُ الوحيدون في ميدلاند الذين يحظون بحياةٍ جنسيَّةٍ من أيِّ نوعٍ على حَدِّ علمي. أنت لست مَسْخًا، دواين هوفر هو المسخ. تُرى كم عدَدُ النشوات الجنسية التي حصل عليها هذا الشهر؟".

قال هاري من خِيَمَتِهِ المُبتَلَّة: "لا أعرف".

كان مُتوسِّطُ نشوات دواين الجنسية في الشهر على مدى الأعوام العشر السابقة، ما يتضمَّن آخر سنوات زواجه، هو اثنتان ورُبُع. تخمين جريس كان قريبًا. قالت: "نشوة ونصف". متوسِّطها الشهري على مدى نفس الفترة كان سبعةً وثمانين. متوسِّطُ زوجها كان ستًّا وثلاثين. تباطأ مُعدِّله في السَّنوات الأخيرة، وذلك أيضًا كان من أسباب شعوره بالهلع.

صارت جريس تتحدَّثُ بازدراءٍ جهرًا عن زواج دواين. قالت: "كان يخاف الجنسَ لدرجة أنه تزوَّج من امرأةٍ لم تسمع عن هذا الموضوع من قبل، والتي كان لا مناص من تدميرها لنفسها إذا سمِعَت عنه يومًا"، وما إلى ذلك. "وهو ما فعلته في النهاية".

قال هاري: "هل تستطيع الغزاة سَمَاعِكِ؟".

قالت جريس: "طُزَ في الغزاة... لا، لا تستطيع الغزاة سماعي".
الغزاة كانت شفرتهم للإشارة إلى الخادمة السوداء، والتي كانت في المطبخ بعيدة عنهم في ذلك الوقت. كانت الغزلانُ شَفَرَتَهُم للإشارة إلى السود عمومًا. سَمَحَتْ لهم بالحديث عن المُشكِلةِ السوداء في المدينة، التي كانت مُشكِلةً كبيرة، دون إهانةٍ أيِّ شخصٍ أسودٍ قد يسمعونهم بالصدفة. قالت: "الغزاة نائمة، أو تقرأ بلاك بانثر دايجست".

* * *

مُشكِلةُ الغزلان كانت في الأساس كالتالي: لم يُعَد البيضُ بحاجَةٍ للسود الآن، عدا رجال العصابات الذين كانوا يبيعون للسود السيَّارات المُستعملة والمُخدَّرات والأثاث. برغم ذلك لا يزال الغزلان يتكاثرون. صِرَتْ تَجَدُّ في كل مكان تلك الحيوانات السوداء الضخمة عديمة الفائدة، التي يتَّصِفُ كثيرٌ منها بالسلوكيات السيئة. كانوا يتلقون أقلَّ قَدْرٍ من المال كُلِّ شهرٍ؛ حتى لا يُضطرُّوا للسرقة. وكان هناك حديث عن إعطائهم مُخدَّراتٍ رخيصةً جدًّا أيضًا؛ للحفاظ عليهم خاملين مُبتَهجين، وغير مُهتمِّين بالتكاثر.

كان قِسْمُ شرطة مدينة ميدلاند وقسم شرطة مقاطعة ميدلاند، يتكوَّنان عادةً من رجال بيض. ولديهم رفوفٌ عديدة مُمتلئة عن آخرها بالبنادق الآلية الصغيرة وبنادق الخرطوش الآلية عيار 12، المُجهَّزة لموسم صيد الغزلان المفتوح، الذي سيأتي حتمًا.

قالت جريس لهاري: "اسمع، أنا أتكلَّمُ بجدِّ. هذه فتحة مؤخَّرة الكون. دعنا نذهب إلى شَقَّةٍ في ماوي ونعيش على سبيل التغيير".

وهذا ما فعلاه.

* * *

جَعَلَت الكيمياءُ السَّيِّئَةَ دواين يُغَيِّرُ سُلُوكَهُ تَجاهِ فرانسِين، من الوِقاحةِ إلى الاعتمادِ المثيرِ للشُّفقةِ. اعتذَرَ لها عن مجردِ تفكيره أنها أرادت فرع دجاج كنتاكي. أشاد بأن إثارتها كاملٌ، لا تشوبه شائبة. ترجَّأها أن تَحْضِنَهُ لبعضِ الوقتِ، فَفَعَلَت.

قال لها: "أنا مرتبك".

قالت: "كلُّنا كذلك". أراحت رأسه بين ثدييها.

قال دواين: "أنا بحاجةٌ للحديث مع أحدهم".

قالت فرانسِين: "تستطيع التحدُّثُ مع ماما إن أردت". كانت تعني أنها ماما.

سأل دواين صدرها العَطرَ: "أخبريني ما معنى الحياة".

قالت فرانسِين: "الرَّبُّ وحده يعلم".

* * *

ظَلَّ دواين صامتًا لبعضِ الوقتِ. ثم أخبرها مُتَرَدِّدًا عن رحلته إلى المقرِّ الرئيسيِّ لقسم بونتياك في شركة جنرال موتورز بمدينة بونتياك في ميشيجان، بعد ثلاثة أشهر فقط من أكل زوجته للدرانو.

قال: "أخذونا في جولةٍ عَبَرَ كُلِّ مُنْشآتِ البحثِ". أكثر ما أثار فيه بحسب ما قال، كان سلسلةٌ من المعامِلِ والمناطقِ المفتوحة، حيث تتعرَّضُ أجزاءٌ مُخْتَلِفَةٌ من السيارة، وسيارات كاملة في بعض الأحيان، للتدمير. أشعل علماء بونتياك النارَ في المقاعد، ورموا الحصى على النوافذ، وكسروا أعمدةَ الكَرْنِكِ وأعمدةَ الدَّورانِ، ونظَّموا حوادث تصادمٍ مُباشِرٍ، وانتزعوا مقابضَ نَقْلِ السُّرعاتِ من جذورها، وشغَّلوا المُحرِّكاتِ بأقصى السرعاتِ دون تشحيمٍ تقريبيًا، وفتحوا صندوق

التابلوه وأغلقوه بسرعةٍ مئاةِ المرّاتِ في الدقيقةِ لأيامٍ كاملة، وبَرَدُوا
مُؤشّراتِ لوحاتِ القيادةِ لدرجاتِ أدنى من الصفر، وما إلى ذلك.

قال دواين لفرانسين: "كل ما لا يجب أن تفعله في سيارة، فعلوه
في السيارات. لن أنسى أبداً المكتوبَ على باب البناية حيث يحدث
كلُّ ذلك التعذيب". هذا كان المكتوب بحسب وصف دواين لفرانسين:



قال دواين: "رأيتُ المكتوبَ، ولم يَسعني إلاّ التساؤل إن كان ذلك
سببَ وَضعِ الرّبِّ لي على الأرض، ليختبر كم يتحمّل الإنسانُ قبل أن
ينكسر".

قال دواين: "لقد ضَلَلْتُ الطَّرِيقَ. أحتاج مَنْ يأخذ بيدي ويقودني إلى خارج الغابة".

قالت: "أنت مُرَهَقٌ. وكيف لا تكون مُرَهَقًا؟ أنتَ تعمل جَاهِدًا. كم أَشْفِقُ على الرِّجَالِ، يعملون بجهدٍ شديد. أَتُرِيدُ النَّوْمَ لبعض الوقت؟".

قال دواين: "لن أقدر على النوم إلا بعدما أَصِلُ لبعض الإجابات".
قالت: "أتريد الذهاب إلى طيبب؟".

قال دواين: "لا أريد سَمَاعَ أَيِّ مِنْ كَلَامِ الأَطِبَّاءِ، أريد أن أتحدَّثَ مع شخصٍ جديد تمامًا يا فرانسين"، وغرس أصابعه في ذراعها الطري.
"أريد سَمَاعَ أشياء جديدة من أشخاص جديدة. سَمِعْتُ كُلَّ مَا لَدَى أَيِّ شخص في ميدلاند في أي وقت. يجب أن يكون شخصًا جديدًا".
قالت فرانسين: "مثل مَنْ؟".

قال دواين: "لا أعرف، شخصٌ من المرَّيخ ربَّما". قالت فرانسين:
"يمكننا أن نذهب لمدينة أخرى".

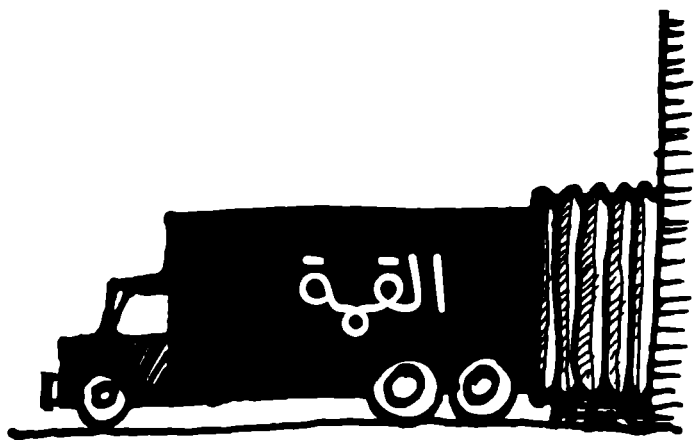
قال دواين: "كلهم مثل هنا، كلهم نفس الشيء".

خَطَرَتَ لفرانسين فِكْرَةَ. قالت: "ماذا عن كل الرِّسَّامين والمؤلِّفين والمُلْحَنِينَ القادمين إلى المدينة؟ أنتَ لم تتحدَّثَ مع مثل أولئك من قبل. ربَّما عليك أن تفعل؛ فَهْمٌ لا يُفْكَرُونَ مثل باقي الناس".

قال دواين: "لقد جَرَّبْتُ كُلَّ مَا عدا ذلك". أشرق وَجْهُهُ، ثم أومأ.
قال: "أنتِ على حَقِّ، قد يمنحني المهرجانُ وَجْهَةً نَظَرٍ جديدة للحياة".
قالت فرانسين: "لهذا أقاموه، استَخِلَّ ذلك". قال دواين: "سأفعل".
وكان ذلك خطأ جسيمًا.

* * *

في الآن ذاته، كان كيلجور تراوت، المسافر المتطفّل على سيارات الآخرين، يتّجه إلى الغرب، دومًا إلى الغرب. صار الآن راكبًا في سيارة فورد جالاكسي. الرجل المتحكّم في الجالاكسي كان مندوب مبيعات جَوَالٍ لأداة تَبْتَلِغُ مُؤَخَّرَاتِ الشاحنات في أرصفة التّحميل. كانت عبارةً عن نَفَقٍ مُتَدَاخِلٍ من النسيج المُغْلَفِ بِالْمَطَّاطِ. كانت تبدو كذلك عندما تُستخدم:



الفكرة وراء الأداة هي السّماح للناس في المباني بتحميل وإفراغ الشاحنات دون خسارة الهواء البارد في المبنى وقت الصيف، أو الهواء الدافئ وقت الشّتاء، بفتح الأبواب إلى الخارج.

الرجل المتحكّم في الجالاكسي كان يبيع أيضًا بَكَرَاتٍ ضَخَمَةً للأسلاك والكابلات والجبال، وطفّيات الحريق. أوضح أنه مُمَثِّلُ مَصَانِعَ. كان مُدِيرَ نَفْسِهِ، هكذا كان يُمَثِّلُ المنتجات التي لا يستطيع مُصنَعُوهَا تَحْمُلُ تعيين مندوب مبيعاتٍ خاصٍّ بهم.

قال: "أختار ساعات عملي بنفسي، وأنتقي المُنتَجَاتِ التي أبيعها والمُنتَجَاتِ التي لا أبيعها". اسمه كان أندي لير، وكان أبيض، في الثانية

والثلاثين من عمره. كان سميناً إلى حدٍ كبير، مثل الكثيرين في هذا البلد. كان من الواضح أنه رَجُلٌ سعيد، وكان يَسوقُ مثل المجانين. سرعة الجالاكسي الآن اثنان وتسعون ميلاً في الساعة. قال: "أنا من القِلَّةِ المتبقيَّةِ من رجال أمريكا الأحرار".

عُضُوهُ الذَّكْرِيُّ كان قُطْرُهُ بوصةً، وطولُه سَبَعُ بوصاتٍ ونصفًا. على مدار العام السابق، مُتَوَسِّطُ نشواته الجنسية كان 22 نشوةً في الشهر. وهو ما يفوق المُتَوَسِّطَ الوَطْنِيَّ بكثير. دَخَلَهُ وقيَمَةَ بَوَالِصِ التَّامِينِ على حياته عند الاستحقاق كانوا أيضًا أعلى من المُتَوَسِّطِ بكثير.

* * *

ذات مرَّةٍ كتب تراوت قصَّةً اسمها (انت عامل إيه؟)، كانت عن المتوسط القومي لهذا وذاك. فيها قامت وكالَّةُ إعلانيَّةً على كوكبٍ آخر بحَمَلَةٍ ناجحةٍ لمنتجهم المحلي الذي يُقَابِلُ زُبْدَةَ الفول السوداني عند الأرضيَّين. الجزء المُملَفِت للانتباه من كُلِّ إعلان كان تصريحًا عن مُتَوَسِّطٍ من نوعٍ ما: متوسط عدد الأبناء، مُتَوَسِّطُ حجم عضو الذَّكْرِ الجنسيِّ على ذلك الكوكب، والذي كان بوضعيَّين طولًا، بِقُطْرٍ داخليِّ ثلاث بوصات، وقُطْرٍ خارجيِّ أربَعِ بوصاتٍ ورُبْعِ البوصة، وما إلى ذلك. حَثَّتْ الإعلاناتُ القُرَاءَ على اكتشاف إن كانوا أُسَمَى أم أدنى من الأغلبِيَّةِ في ذاك الموضوع أو ذلك، بِغَضِّ النظر عن موضوع الإعلان ذاته.

ثم يتابع الإعلانُ ليقولَ إن الأسمَى والأدنى على حدِّ سواء يأكلون ذلك النَّوعَ من زبدة الفول السوداني. عدا أنها لم تَكُنْ في الواقع زُبْدَةَ فولٍ سوداني على ذلك الكوكب. كانت زبدةً بطاطس.

وما إلى ذلك.

16 مكتبة

t.me/t_pdf

وكان أَكَلَهُ زُبْدَةَ الفول السوداني على الأرض يستعدُّون لغزو أَكَلَهُ زُبْدَةَ البطاطس على الكوكب المذكورِ في كتاب كيلجور تراوت. في ذلك الوقت، لم يكن الأَرْضِيُّونَ قد دَمَّرُوا فِرْجِينِيَا الغرْبِيَّةَ وجنوب شرق آسيا فقط، بل دَمَّرُوا كُلَّ شَيْءٍ. هكذا باتوا مُسْتَعِدِّينَ للاستكشاف مُجَدِّدًا.

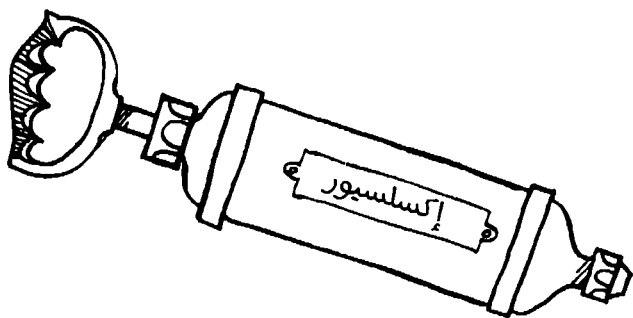
بوسائل تَجَسُّسٍ إلكترونية درسوا أَكَلَهُ زُبْدَةَ البطاطس، فوجدوا أَنَّهُمْ كَثِيرُونَ، ولديهم من المهارة وَعِزَّةِ النفس ما يحول دون سماحهم للآخرين باكتشافهم.

فاخترق الأَرْضِيُّونَ الوكالةَ الإعلانية التي تدير حساب زبدة البطاطس، وتلاعبوا بإحصائيات الإعلانات. جعلوا مُتَوَسِّطَ كُلِّ شَيْءٍ عَالِيًا لدرجة أَنَّهُ كُلُّ مَنْ على الكوكب بات يَشْعُرُ أَنَّهُ أدنى من الأغلبية في كُلِّ شَيْءٍ.

وجاء عندها الأرضيون بسُفْنِهِم الفضاية المصْفحة واكتشفوا الكوكب. لم تواجههم إلا مُقاومة محدودة هنا وهناك؛ لأن سُكَّانَه الأصليين شعروا أنهم تحت المتوسط بكثير. وبدأ الاستعمار.

سأل تراوت مُمثِّل المصانع السعيد عمًّا يشعر به وهو يسوق سيارة اسمها جالاكسي [Galaxy = مجرة]. لم يسمعه السائق، فتجاوزَ تراوت الأمر. كانت لعبةً سخيْفَةً بالكلمات، أي كان يسأله في الوقت ذاته عن كيف يشعر إزاء قيادة سيارته وكيف يُمكن توجيه شيءٍ مثلَ دَرَب التَّبانة، والتي كان قُطْرُها مائة ألف سنة ضوئية، وسُمُّها عَشْرَةَ آلاف سنة ضوئية، وتُتَمُّ دَوْرَةَ كَامِلَةً مَرَّةً كُلَّ مائتي مليون عام، وتحتوي على مائة مليار نجم.

ثم رأى تراوت مطفأة حريق صغيرة في الجالاكسي تحمل ذلك الاسم التجاري:



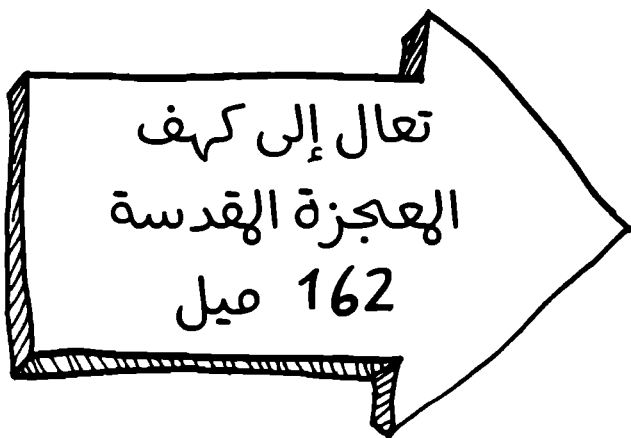
بحسب معرفة تراوت، تعني تلك الكلمة (أعلى) بلُغَةٍ مَيِّتَةٍ. وكانت أيضًا شيئًا ظلَّ مُتَسَلِّقُ جبالٍ مُتَخَيِّلٌ يصيح به في قصيدة شهيرة، بينما يختفي في عاصفة ثلجية في الأعلى. وكانت اسمًا تجاريًّا لنشارة خشب تُستخدَم لحماية الأشياء الهشة في الطرود.

سأل تراوت السائق: "لِمَ قَدْ يُسَمِّي أَيُّ شَخِصٍ طَفَّايَةَ حَرِيقِ
إِكْسَلْسِيور؟".

هزَّ السَّائِقُ كَتْفَيْهِ، قَالَ: "لَا بُدَّ أَنْ وَقَعَهَا أَعْجَبَ أَحَدَهُمْ".

* * *

نظر تراوت إلى الريف، الذي بدأ مُشَوَّشًا من سرعة السيارة
العالية. رأى تلك اللافتة:



هكذا كان يقترب من دواين هوفر. شعر تراوت حينها بحاجة إلى
التقليب في كتابه الآن، بوسعي أن أقول، وكأنَّ خَالِقَ الكَوْنِ -أو قُوَّةَ
خَارِقَةَ من نوعٍ ما- تُجَهِّزُهُ لِلْقَاءِ المُرْتَقِبِ. كان ذلك الكتاب الذي
سيُحوَّلُ دواين عَمَّا قَرِيبَ إلى قَاتِلٍ مَجْنُونِ.

كانت فَرَضِيَّةُ الكتاب كالتالي: الحياة ليست إلا تجربةً من خَالِقِ
الكَوْنِ، الذي أراد اختبارَ نَوْعٍ جديدٍ من الكائنات يُفَكِّرُ في تقديمه
للكون. كائن قَادِرٌ على التفكير بنفسه. كل الكائنات عَدَاهُ لم تَكُنْ إلا
روبوتات مُبَرَّمَجَّةٌ بِالكَامِلِ.

كان الكتاب على شكل خطابٍ طویلٍ من خالق الكون للكائن التجريبي. هنأ الخالق مخلوقه، واعتذر له عن المتاعب التي تعرّض لها، ودعاه إلى وليمةٍ على شرفه في الجناح المملّكي بفندق والدورف أستوريا في نيويورك، حيث سيُغني هناك ويرقص روبوت أسودٌ يُدعى سامي ديفيس جونيور.

* * *

ولم يُقتل الكائن التجريبي بعد الوليمة، بل نُقل إلى كوكبٍ بكرٍ بدلاً من ذلك. من راحة يده أخذت خلايا حيّةً بينما كان فاقد الوعي. لم تكن تلك عمليةً مؤلّمةً على الإطلاق.

ثم مُزجت تلك الخلايا ببحر الكوكب البكر الذي كان يُشبهه الجساء. ستتطوّر لاحقاً إلى أشكال حياة ذات تعقيدٍ يتزايدُ بمرور العصور. أيّاً كان الشكل الذي ستصير إليه، ستظلُّ إرادتها حُرّةً.

لم يمنح تراوت ذلك الكائن اسماً مناسباً، بل سمّاه ببساطةٍ (الرجل).

على ذلك الكوكب البكر، كان الرجل آدم، والبحر كان حواء.

* * *

كثيراً ما تمشّى الرجل بجوار البحر، وكان يخوض أحياناً في حواء. لكنها عندما كان يعوم فيها، كانت تُرغي وتُزبدُ بأكثر من قدرته على الاحتمال؛ ما يجعل آدم يشعُرُ بالنعاس والتلذيق بعدها، فكان يغطّس في مجرى باردٍ هبّطَ لتوّه من أعلى جبل.

صرخ عندما عطّس في الماء المثلج، وصرخ مُجدّداً عندما خرج للهواء. وجرح ساقه عندما تسلّق الصخور ليخرج من الماء، وضحك على ذلك.

أخذ يضحك ويلهث، فكَّر في شيء ما رائع ليصيح به. لم يعرف خالق الكون قَطُّ ما الذي سيقوله، بما أن لا تحكَّم لخالقِ الكونِ فيه. الرَّجُلُ هو مَنْ يُقرِّر لنفسه ما الذي سيفعله الآن، ولماذا. ذاتَ يَوْمٍ مثلاً، بعد غَطَسَةٍ، صاح الرجل: "جبنه!".

وفي مرَّةٍ أخرى صاح: "ألن يكون من الرائع أن تركب سيارة بويك؟".

لم يكن على الكوكب البكر حيوانٌ كبيرٌ آخرٌ إلا مَلاك كان يزور الرجل أحياناً. كان رسولاً من خالق الكون ومُحقِّقاً. اتَّخَذَ شَكْلَ دُبِّ بُنِّي ذَكْرٍ، وَزَنَهُ ثَمَانِمِائَةَ رَطْلٍ. وكان "روبوتاً" أيضاً، وكذا كان الخالق بحسب كيلجور تراوت.

حاول الدُّبُّ أن يستخرج من الرَّجُلِ أسبابَ فِعْلِهِ ما يفعل، فكان يسأل مثلاً: "لماذا صَحَّتْ: "جبنه؟"."

وكان الرَّجُلُ يَرُدُّ باستهزاء: "لأنني شعرتُ أيُّ أريد ذلك، يا روبوت يا عبيط".

هذا ما كان شاهدُ قَبْرِ الرَّجُلِ يبدو عليه على الكوكب البكر في نهاية كتاب كيلجور تراوت:



17

كان باني هوقر، ابن دواين مثلي الجنس، يرتدي ملبسه ليخرج إلى العمل. كان لاعب بيانو في بار فندق الهوليداي إن الجديد. كان فقيراً، عاش وحيداً في غرفة بلا حمام في فندق فيرتشايلد القديم، الذي كان ذات يوم رائجاً. بات الآن نزلًا رخيصاً في أخطر مناطق مدينة ميدلاند. سيتعرض ابن دواين هوقر قريباً جداً لإصابات وخيمة على يد دواين، وسيتشارك سيارة إسعاف مع كيلجور تراوت.

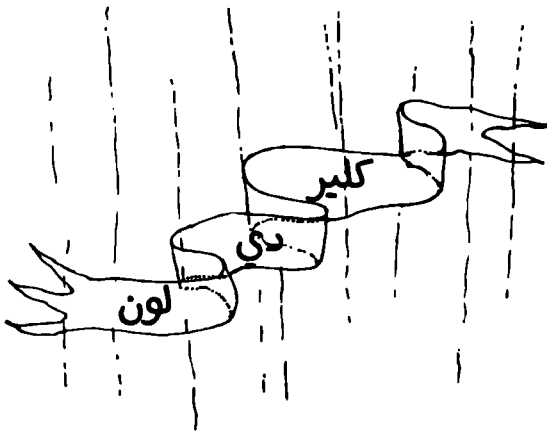
* * *

كان باني شاحباً، بنفس اللون المعتدل للأسماك العمياء التي عاشت في أحشاء كهف المعجزة المقدسة. انقرضت تلك الأسماك كلها منذ سنوات، حملتها التيارات، مقلوبة، من الكهف إلى نهر أوهايو، حيث تكفلت شمس الظهيرة بالقضاء على ما تبقى منها.

شَفَافَةً تَبْدُو كَالوِشَاحِ. تِلْكَ كَانَتْ الْكَلِمَةُ: "أَزْرَق". ذَلِكَ مَا بَدَتْ عَلَيْهِ
لِبَانِي هَوْقَر:



ثُمَّ حِينَهَا أَخَذَ وَشَاحٌ جَمِيلٌ آخَرَ يَعْومُ فِي الْجَوَارِ. بَدَأَ كَذَلِكَ:



بعد خمس عشرة دقيقةً، عاد وَعِيُّ باني إلى السطح من تلقاء نفسه. صار مُتَعَشِّيًا. نهض من السرير، وَمَشَّطَ شَعْرَهُ بِفُرْشَاةٍ عَسْكَرِيَّةٍ أَهْدَتْهُ أُمُّهُ إِيَّاهَا عندما انتخبوه كولونيلَ كاديت قبل زَمَنٍ بعيد.

عندما كان لا يزال في العاشرة من عمره، أُرسِلَ باني إلى الأكاديمية العسكرية، وهي مؤسَّسةٌ مُكرَّسةٌ بالكامل للقتل والطاعة العمياء ثَقِيلَةَ الظِّلِّ. ذلك كان السبب: قال لدواين إنه يَتَمَنَّى لو كان امرأةً بدلاً من رجل؛ لأن ما يفعله الرِّجَالُ غالبًا في غاية القسوة والبشاعة.

اسمَع: قضى باني هوفر في أكاديمية برايري العسكرية ثماني سنواتٍ من الرياضة واللواط والفاشية بلا انقطاع. اللواطُ يتضمَّن أن يُغَرِّزَ المرءُ قضيبيَّه في شرجِ شخصٍ آخرٍ أو في فَمِه، أو أن يُغَرِّزَ في المرءِ قضيْبُ شَخِصٍ آخر. الفاشية هي فلسفةٌ سياسيَّةٌ شائِعةٌ، تجعل من الجِنسيَّةِ أو العِرقِ الذي ينتمي إليه الفيلسوفُ -أيًّا كان- شيئًا مقدَّسًا. تدعو إلى إقامةِ حُكومةٍ مركزيَّةٍ أوتوقراطية، يرأسها ديكتاتور. ويجب طاعةُ الديكتاتور، مَهْمَا قال للآخرين أن يَفْعَلُوا.

وكان باني يعود للبيت في العطلات بميداليات جديدة كلِّ مَرَّة. صار يعرف المَبَارَزَةَ والملاكمة والمصارعة والسباحة، يستطيع إطلاقَ النَّارِ من البنادق والمُسَدَّسات، والقتال بالجرابِ، وركوب الأَحْصَنَةِ، والتَّسْلُسُلِ على أَرَبَع، أو على بَطْنِه عبر الأَجْمَةِ، والتَّلصُّص من الأركان دون أن يراه أحد.

كان يَتَفَاخَرُ بميداليَّاته، وكانت أُمُّهُ تُخْبِرُه -عندما يكون أبوه خارجَ نطاقِ السَّمْعِ- أنها تصير أتعسَ بِمرورِ كلِّ يوم. وتشير إلى أن دواين يتحوَّل إلى وحشٍ. لم يكن ذلك صحيحًا، ذلك كان في رأسها فَقط.

كانت تَشْرَعُ في إخبار باني عن مدى خِصَّةِ دواين، لكن سرعان ما تقطع حديثها، وتقول: "أنت أصغرُ من أن تسمعَ مثل تلك الأشياء"، حتى عندما كان باني في السادسة عشرة، "هناك أشياء ليس بوسعك أو بوسع أيِّ شخصٍ فعَلُ شيءٍ إزاءها على أيِّ حال"، كانت تتظاهر بِغَلْقِ شَفَتَيْهَا بِمِفْتَاحٍ، ثم تهمس لباني: "هناك أسرارٌ سأخذُها معي إلى القبر".

أكبرُ أسرارها، بالطبع، كان سرًّا لم يستطع باني اكتشافه بِنَفْسِهِ إلا بعدما أهلكَت نَفْسَهَا بالدرانو. سيليا هوغر كانت مجنونةً مثلَ فَرَاشَةِ النَّارِ. وكانت أمي مثلها أيضًا.

اسمَعُ: أم باني وأمي كانتا من نوعين مُخْتَلَفَيْنِ من البشر، لكن كُلاً منهما كانت جميلةً بطريقة غريبة، وكُلُّ منهما كانت تفور بالأحاديث المضطربة عن الحُبِّ والسلام والحرب والشرِّ واليأس، عن أيام أفضل آتية، وأيام أسوأ آتية، وكُلُّ منهما قتلت نفسها: انتحرت أم باني بأكل الدرانو، وأمي بأكل الحبوب المُنومة، وهو شيء أقلُّ شناعةً بكثير من أكل الدرانو.

وكان بين أعراض مرض أم باني وأمي عَرَضٌ عجيبٌ مَشْرَكٌ: لم تحتمل أيُّ منهما أن تُلْتَقَطَ لها صورة. كانتا عادةً بخيرٍ في النهار، عرفتا كيف تُخْفِيان جنونَهُما لحين حلول الليل. لكن إن صُوِّبَت كاميرا إلى إحداهنَّ خلال اليوم، تنهار تلك الأمُّ وتَقْعُ على رُكْبَتَيْهَا، وتحمي رأسها بذراعيها، وكأنَّ هناك مَنْ يحاول ضربها بالهراوات حتى الموت. كان أمرًا يثير خوفًا وشفقةً كُلَّ مَنْ يَشْهَدُهُ.

على الأقل عَلِّمَتْ أمُّ باني ابنها كيف يعزف البيانو، والذي كان آلهَ موسيقيَّةً. على الأقل عَلِّمَتْ أمُّ باني هوَفر ابنها حِرْفَةً. بوسع عازف البيانو الماهر العَمَلُ كعازف بارات في أيِّ مكانٍ بالعالم تقريبًا، وكان باني عازفًا ماهِرًا. تدريبه العسكري لم يكن ذا فائدة، حتى مع كل الميداليات التي فاز بها. عَرَفَتِ القُوَّاتُ المُسلَّحةُ أَنَّهُ مثليُّ الجنس، وأنه بلا شَكِّ سيقع في حُبِّ رجالٍ مُقاتِلين آخرين، ولم ترغب القُوَّاتُ المُسلَّحةُ في التَّعامُل مع مثل تلك العلاقات العاطفية.

هكذا صار باني هوَفر مُستَعِدًّا لمُزاوَلَةِ مِهْنَتِهِ. وضع چاكت بذلة سَهْرَةٍ مِخْمَلِيًّا أسودَ فوق كَنزَةٍ ذات عُنُقٍ طويل سوداء. نظر باني من نافذته الوحيدة المُطلَّة على الحارة الجانبية. كانت العُرْفُ الأفضَل تُطلُّ على حديقة فيرتشايلد، حيث وَقَعَت سِتُّ وخمسون جريمة قَتْلِ في العامَيْن السابقين. غرفة باني كانت في الطَّابق الثاني؛ لذا كان بوسع مَنْ ينظر منها رؤيةً جُزئيةً من الحائط الجانبى الحجري لما كان ذات يوم دارَ أوبرا كيدسلر.

في مُقدِّمة دار الأوبرا كانت هناك لافتةٌ تاريخيَّة. ليس بوسع الكثيرين فَهْمُها، لكن هذا ما قالته على أي حال:



كانت دار الأوبرا بيتًا لأوركسترا سيمفونية مدينة ميدلاند، والتي كانت مجموعةً من مُحبِّي الموسيقى الهواة. لكن بات هؤلاء مُتشرِّدين في 1927، عندما صارت دار الأوبرا صالةً عَرَضِ سينمائية، صالة بانستر. ظلَّ أفراد الأوركسترا مُشرِّدين إلى أن قام ميلدريد باري التذكاري للفنون.

ظَلَّت صالَهُ بانستر أكبرَ صالَةٍ عَرَضِ أفلامٍ في المدينة، حتى اجتاحتها مَدَدُ منطقةِ الجَرائمِ المُرتَفَعَةِ، التي لا تَنفَكُ تَتَمَدَّدُ إلى الشمال طوال الوقت. هكذا لم تُعد مَسرحًا بعد الآن، حتى مع التماثيل النصفية لشكسبير وموتسارت وما إلى ذلك، التي لا تزال تُحدِّقُ إلى أسفل من مواضعها العالية بالحوائط.

لا تزال منصَّةُ المَسرحِ هناك أيضًا، لكنها مُكتظَّةُ الآن بِغُرفِ السُّفرة؛ فقد صار المَكانُ ملكًا لشركة إيمباير للأثاث. وتلك كانت شَرِكَةٌ عصابات.

* * *

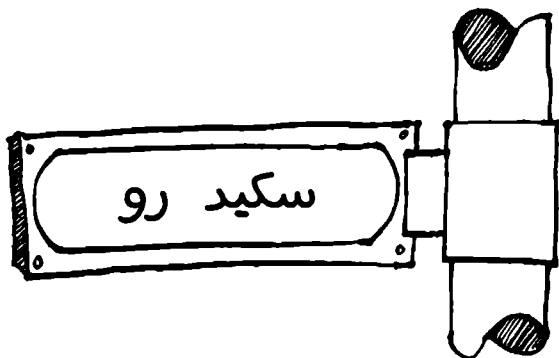
كُنِيَّةُ الحَيِّ الذي عاش فيه باني هي سكيذ-رو. كلُّ مدينة أمريكية مَهَمًا كان حجمها فيها حَيٌّ بنفس الكُنِيَّة: سكيذ-رو. إنه المكان الذي على أيِّ شَخِصٍ بلا أقارب أو أصدقاء أو ممتلكاتٍ أو فائدة أو طُمُوحٍ- الذَّهابُ إليه.

يتلقَى ذاك النُّوعُ من الناس مُعامَلَةً مُقرِّفةً في الأحياء الأخرى، وعادةً ما يُحرِّكُهم أفرادُ الشُّرطة طوال الوقت. كان يَسهُلُ تحريكُهم في العادة، كما لو أنهم بالوناتٍ لُعبَةٍ.

هكذا ينجرِّفون هنا وهناك، مثل بالوناتٍ مُلئتِ بغازٍ ما أثقلَ بقليل من الهواء، حتى يستقرُّوا أخيرًا في سكيذ-رو، بجوار قاعدة فندق فيرتشايلد القديم.

بوسعهم النَّوم والثَّرَثَةُ مع بعضهم البعض طوال اليوم. بوسعهم التَّسْوُل. بوسعهم الشُّرْبُ حَتَّى الثُّمَالَةِ. المُخَطَّطُ الأساسيُّ كان كالتالي: بوسعهم البَقَاءُ هناك دون إزعاجِ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ، إلى أن يقتلهم شَخْصٌ ما مُتَعَتِّه الشخصية، أو يقتلهم الشتاءُ بِصَقِيْعِهِ.

كتب كيلجور تراوت ذاتَ مَرَّةٍ قِصَّةً عن مدينةٍ قَرَّرَتْ أن تُخْبِرَ مَنبُوذِهَا أين هم، وماذا سيحدث لهم، عن طريق وَضْعِ لَافِتَاتٍ شَوَارِعَ حَقِيقِيَّةٍ مثل تلك:



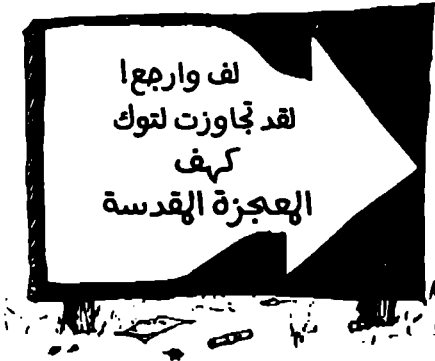
ابتسم باني لنفسه الآن في المرأة، في المَسَلِّكَ.

أَمَرَ نَفْسَهُ بالانتباه لِلْحِظَّةِ، صار من جديدِ الجُنْدِيِّ القاسي مَعْدومِ القَلْبِ والمُخِّ والمَرِحِ الذي تَعَلَّمَ أن يكونه في المدرسة العسكرية. تَمَّتَمَ لنفسه بالشُّعار الذي اعتاد الصِّياحُ به مائةَ مَرَّةٍ في اليوم: عند الفجر، وعند الأكل، ومع بداية كُلِّ دَرَسٍ ومَهرينِ رياضيٍّ وِقْتالٍ بالحَرَبَةِ، وعند الغروب، وساعة النوم:

"أنا أستطيع... أنا أستطيع."

18

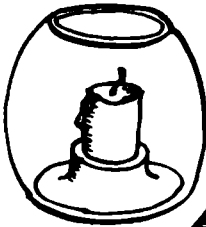
أصبحت الجالاكسي التي تُقَلُّ كيلجور تراوت على الطريق السريع بالقرب من مدينة ميدلاند. صارت الآن تزحف، فقد عُلِّقَتْ في زحمة ساعة الذُّرُوة المروريَّة بين باريترون وويسترن إليكتريك وبراييري ميوتوال. نظر تراوت من فوق ما يقرأ، فرأى لوحةً إعلانيَّةً تقول التالي:



هكذا بات كهفُ المُعْجِزَةِ المُقَدَّسَةِ جزءًا من الماضي.

في أردل عمر تراوت، سيسأله الأمينُ العامُ للأمم المتحدة: د. ثور ليمبرج، إن كان يخاف من المستقبل، سيجيب:
"سيدي الأمين العام، إن الماضي هو ما يجعلني أرتجف هلعًا".

دواين هوفر كان على بُعدِ أربعة أميال فقط. يجلس وحيدًا على دِكَّةٍ يكسوها جلدُ الحمارِ الوَحْشِيِّ في بار الهوليداي إنَّ الجديد. ساد المكانَ الظلمةُ والسُّكون. حَجَبَتْ وَهَجَ وَضجيجَ زحامِ الطَّرِيقِ السريعِ سَتائرُ قُرْمِزِيَّةٍ مَخْمَلِيَّةٍ سَمِيكَةٍ. على كُلِّ مَائِدَةٍ كان يوجد مصباحُ أعاصيرَ [فانوس]، داخلَه شَمْعَةٌ مُشْتَعِلَةٌ، رغم أن الهواء كان ساكِنًا. وعلى كُلِّ مَائِدَةٍ أيضًا كان يوجد وعاءٌ من السوداني الجافِ المُحَمَّصِ، ولافتة تسمَح للعاملين برفض خدمة أيِّ شخص لا يُناسِبُ الجَوَّ العام للبار. هذا ما كانت تقول:



هذه الائدة
مُحْجَوزَةٌ

كان باني هوفر يعزف البيانو. لم يرفع رأسه عندما دخل أبوه، وبالمثل لم يُلْقِ أبوه النَّظَرَ نَاحِيَتَهُ. لم يتبادلا التَّحِيَّةَ منذ سنوات عديدة. تابع باني عزفَ بلوز الرَّجُلِ الأَبْيَضِ، وتلك كانت موسيقى بطيئةً ذاتَ رنينٍ، تَتَخَلَّلُهَا لِحْظَاتٌ صَمِتٍ مُتَقَلِّبَةٌ هُنَا وَهُنَاكَ. بلوز باني كانت تُشَابِهُ فِي بَعْضِ سِمَاتِهَا صُنْدُوقَ مُوسِيقَى، صُنْدُوقَ مُوسِيقَى مُنْهَكٍ. كانت تَرِنُ، ثُمَّ تَسْكُتُ، ثُمَّ عَلَى مَضْضٍ تَتَمَكَّنُ مِنَ التَّفَوُّهِ بِبَعْضِ الرَّنَّاتِ الأُخْرَى.

اعتادت أم باني على تجميع صناديق الموسيقى الرنَّانة، وأشياء أخرى.

* * *

اسمَعُ: فرانسيس بيفكو كانت في وكالة دواين للسيارات المجاورة، تحاول اللحاق بِكُلِّ مَا كَانَ عَلَيْهَا الْقِيَامُ بِهِ مِنْ عَمَلٍ بَعْدَ الظَّهيرة. سيضربها دواين عمَّا قَرِيبَ.

وكان الشخص الوحيد الآخر في الوكالة ذلك الوقت، بينما هي غارقة في المَلَفَّاتِ، هو السجين السابق واين هوبلر، الذي لا يزال يتلصَّأً بين السيارات المُسْتَعْمَلَةَ. سيحاول دواين ضَرْبَهُ أَيْضًا، لكن واين كان عبقريًّا في تفادي الضربات.

كانت فرانسيس آليَّةً تَمَامًا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، آلة مصنوعة من اللحم، آلة كتابة وترتيب ملفات.

في المقابل لم يجد واين هوبلر أيَّ شيءٍ آليٍّ ليفعله. تاق ليُصْبِحَ آلَةً مُفِيدَةً. السَّيَّاراتُ المُسْتَعْمَلَةُ كُلُّهَا تُغْلَقُ بِأَحْكَامٍ خِلالَ اللَّيْلِ. مِنْ حِينِ لِحِينِ كَانَتْ المَرَاوِجُ الأَلُومِينِيُومُ المُعَلَّقَةُ بِالأَعْلَى بِالأَسْلَاكِ تَدُورُ بِفَعْلِ النِّسِيمِ العَلِيلِ، وَكَانَ وَائِنُ يَسْتَجِيبُ لِدُورَانِهِمْ بِأَفْضَلِ مَا يَسْتَطِيعُ، قَائِلًا لَهَا: "هَيَّا، دُورِي، دُورِي".

* * *

نشأت علاقةً من نوع ما بينه وبين المرور على الطريق السريع؛ إذ صار يتأمل مزاجه المتقلب. قال خلال ساعة ذُرْوَةِ الرَّحَامِ: "الكلُّ في طريقه للبيت الآن". قال لاحقًا عندما خَفَّ الزحام: "الكلُّ في البيت الآن". وأخذت الشمس تنحدر في الأفق الآن.

قال واين هوبلر: "حتى الشمس تنزل". لم يملك أدنى فكرة أين يذهب بعد ذلك. افترض، دون اهتمام كبير، أنه قد يموت من البقاء في العراء هذه الليلة. لم يرَ من قبل كيف يموت الناس من البقاء في العراء، لم يهدده ذلك من قبل، بما أنه لم يكن في الخارج إلا نادرًا. عرف عن ذلك النوع من الموت لأنَّ الصوت الرقيق القادم من الراديو الصغير في زنزانته، أخبره عن كيف يموت الناس من البقاء في العراء أحيانًا.

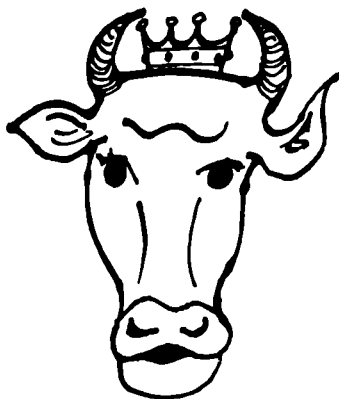
افتقد ذلك الصَّوتَ الرقيق، افتقد صليلَ إغلاق الأبواب الفولاذية، افتقد الخُبزَ والحساءَ وأباريق الحليب والقهوة، افتقد مُضاجَعَةَ الرِّجَالِ الآخرين في مُؤخَّراتهم وأفواههم، ومُضاجَعَتَهُمْ له في مُؤخَّرته وقَمِهِ، والاستمنا، ومُضاجَعَةَ البَقَرِ في مزرعة السجن، وهي كلُّ الأفعال الجنسيَّة العاديَّة في حياة البشر بهذا الكوكب، بقدرِ عِلْمِهِ.

قد يكون ذلك شاهدَ قَبْرِ مُناسِبٍ لواين هوبلر عندما يموت:



أنتجت مزرعة السجن اللبن والزبد والقشدة والجبن والمثلجات،
ليس فقط للسجن ومستشفى المقاطعة، بل باعت منتجاتها في العالم
الخارجي أيضاً. لم تُذكر علامتها التجارية في السجن، التي كانت كذلك:

ملكة



البراري

قُدرة واين على القراءة كانت مَحْدودَةً. كلمة هاواي، التي ظهرت
بَرُفْقَةٍ غَيْرِهَا من الكلمات والرموز المألوفة على اللافتات والملصقات
على النوافذ وعلى الزجاج الأمامي لبعض السيارات المُستعمَلَة، حاول
دواين فَكَّ شَفْرَتِهَا الغامضة بصوتٍ مَسْموعٍ دون نَتِيجَةٍ مُرْصِيَةٍ. قال:
"واهيي...يو" و"هوو... هي... وووو...هي"، وما إلى ذلك.

ابتسم واين هوبلر، ليس لأنه سعيدٌ، بل لأنه لم يَكُنْ لديه ما يفعله؛ ففكّر أنه قد يتسلّى بإظهار أسنانه. كانت له أسنانٌ رائعة. لطالما تفاعرت الهيئةُ الإصلاحيةُ للبالغين في شيردزتاون ببرامجها لطبّ الأسنان.

في الواقع كان برنامجهم لطب الأسنان شهيراً، إلى حدّ أنه كُتب عنه في الصُحف الطّبيّة وفي الريدرز دايجست، والتي كانت أكثرَ المَجَلّات شعبيّةً على الكوكب المُحتَضِر. النظرية وراء البرنامج هي أن كثير من المدانين السّابقين لا يستطيعون الحصول على وظيفة بسبب مَظَهَرِهِم، والمظهر الحَسَنُ يبدأ من الأسنان الجيِّدة.

كان البرنامج شهيراً، إلى حدّ أنّ الشرطة في الولايات القريبة، عندما يعتقلون شخصاً فقيراً في أسنانه حَشَوَاتٌ وتركيباتٌ فاخِرة، كانوا على الأرجح يسألونه: "حسناً يا فتى، كم سَنَةٌ قَضَيْتَهَا في شيردزتاون؟".

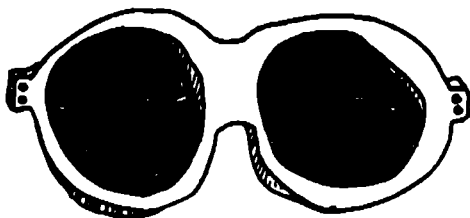
سمع واين هوبلر بعضاً من الطّلبات التي نادت بها النّادِلَةُ على السّاقى في البار. سَمِعَهَا تقول: "هات جيلبي وكويني، مع شريحة ليمون". لم يملك أدنى فِكْرَةٍ عن كُنْهِ ذلك، أو عن ماهيّة المانهاتن أو البراندي أليكساندر أو السلو جين فيتز. نادت النّادِلَةُ: "أعطني چوني ووكر روب روي، وساوزرن كومفورت، وبلودي ماري مع قُودكا".

خبرة واين مع الكحول لم تتجاوز شُرْبَ سوائِلِ التَّنْظِيفِ وأكلِ لَمَعَةِ الأحذية وما إلى ذلك. لم يكن مولعاً بالكحول.

سمع واين النّادِلَةَ تقول: "هات بلاك أند وايت ومياها"، وكان يجب أن تَنصِبُ أذناه جرّاءَ هذا. ذلك المشروب بعينه لم يَكُنْ لأيِّ شخصٍ عاديٍّ، كان للشخص الذي خَلَقَ واين، وخَلَقَ كُلَّ بُوْسِهِ حتّى

تلك اللحظة، الشخص الذي يستطيع قتله أو جعله مليونيراً أو إرساله إلى السجن مُجدِّداً أو فعل أي شيء يَربُّه فيه. كان ذلك المشروب لي.

جئتُ إلى مهرجان الفنون مُتخفياً. كنتُ هناك لأشهد مُواجهَةً شخصين خَلَقْتُهُم: دواين هوفر وكيلجور تراوت. لم أكن مُتحمساً ليتعرَّفني أحدُهم. أشعلتُ النادِلةُ مصباح الأعاير على مائدتي، أطفأتُ اللهبَ بقِرْصَةٍ من أصابعي. كنتُ قد اشتريتُ نظارةَ شمسٍ من الهوليداي إنَّ خارجَ مقاطعةِ أشتابولا في أوهايو، حيثُ قضيتُ الليلةَ الماضية. ارتديتها في الظلام. شكَّلتها كان كذلك:



كانت عدساتها مَطلِيئةً بِالْفِضَّةِ، كانت مِرآةً لِأَيِّ شَخْصٍ يَنْظُرُ ناحيتي. أي شخصٍ يَربُّه في معرفة كيف تبدو عيناى، يجد أمامه عينيَّه تنظران إليه بدلاً من ذلك. بينما كان لِبقِيَّةِ الناسِ في البار عيونٌ، كان لديَّ فَتَحْتانِ إلى كَوْنٍ آخِرٍ، مَسْلُكانِ.

على المائدة كان هناك مشطٌ كبريت بجوار علبة سجائري البول مول. تلك كانت الرسالة على مشط الكبريت، والتي قرأتها بعد ساعة ونصف، حينما كان دواين ينهال على فرانسيس بيفكو ضرباً:

"يُمْكِنُكَ كَسْبَ 100 دُولَارٍ كُلَّ أُسْبُوعٍ فِي وَاقْتِ فِرَاعِكِ، فَفَقَطِ بَعْرِضِ
آخِرِ مَوْدِيَلَاتِ أَحْذِيَةِ مَاسُونِ المَرِيحَةِ عَلَي أَصْدِقَائِكَ. الكَلِّ يَخْتَارُ
أَحْذِيَةَ مَاسُونِ لَخِصَائِصِهَا المَرِيحَةَ. سَنُرْسِلُ لَكَ أَدَوَاتِ كَسْبِ النُّقُودِ
مَجَانًّا حَتَّى تَسْتَطِيعَ إِدَارَةَ عَمَلِكَ مِنَ البَيْتِ. سَنُخَبِّرُكَ حَتَّى كَيْفَ
تَرْبِحُ حِذَاءً مَجَانًّا عِنْدَمَا تَجْلِبُ طَلِبَاتِ مُرَبِحَةٍ كَثِيرَةٍ".
وما إلى ذلك.

* * *

قَلْتُ لِنَفْسِي مَن خَلْفَ مَسَالِكِي: "الكَتَابُ الَّذِي تَكْتَبُهُ شَدِيدُ
السُّوءِ".
قَلْتُ: "أَعْلَمُ".
قَلْتُ: "أَنْتَ خَائِفٌ مَن قَتَلَ نَفْسِكَ مِثْلَمَا فَعَلْتَ أُمَّكَ".
قَلْتُ: "أَعْلَمُ".

* * *

فِي البَارِ، وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَحْدَقُ فِي عَالَمِ اخْتِرَعَتِهِ مَن خَلْفَ مَسَالِكِي،
تَفَوَّهْتُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ: شِيزُوفَرِينِيَا.
لِسِنَوَاتٍ عَدِيدَةٍ، ظَلَّ صَوْتُ تِلْكَ الكَلِمَةِ وَشَكْلُهَا يُبْهَرَانِنِي. كَانَتْ لَهَا
وَقْعٌ وَهَيْئَةٌ شَخِصٍ يَعْطَسُ فِي عَاصِفَةٍ مَن رِقَائِقِ الصَّابُونِ.
لَمْ أَعْلَمْ وَلَا أَعْلَمُ يَقِينًا إِنْ كُنْتُ مُصَابًا بِذَلِكَ المَرَضِ. مَا أَعْلَمُهُ هُوَ
ذَلِكَ: لَطَالَمَا أَنهَكَتُ نَفْسِي بِعَدَمِ حَصْرِ انْتِبَاهِي عَلَي تَفَاصِيلِ الحَيَاةِ
وَشِيكَةِ الأَهْمِيَةِ، وَبِرَفْضِ الإِيمَانِ بِمَا يُؤْمَنُ بِهِ جِيرَانِي.

* * *

أنا أَفْضَلُ حَالًا الْآنَ.

مكتبة

t.me/t_pdf

أَقْسِمُ بِشَرَفِي: أنا أَفْضَلُ حَالًا الْآنَ.

لكنني كنتُ مريضًا فعلًا لبعض الوقت. جلستُ هناك، في بارٍ من اختراعي، وحدقتُ خلالَ مسالكي في نادِلةِ المشروبات البيضاء التي اخترعتها. سميتها بوني مكماهون. جعلتها تجلب لدواين هوفر مشروبَه المعتاد، والذي كان مارتيني هاوس أوف لوردز مع شريحة ليمون. كانت على معرفة قديمة بدواين. زوجها كان حارسًا في جناح الانحراف الجنسي في الهيئة الإصلاحية للبالغين في شيردزتاون. كان على بوني أن تعمل نادِلةً لأن زوجها خسرَ كلَّ أموالهم باستثمارها في مغسلة سيارات بشيردزتاون.

نصحهم دواين ألا يفعلوا ذلك. تلك كانت الطريقة التي عرف دواين بها بوني وزوجها رالف: كانا قد اشتريا منه تسعَ سيَّارات بونتياك خلال السنوات الست عشرة الماضية.

اعتادا قول: "نحن أسرة بونتياك".

رددت بوني مزحةً بينما قدّمت له المارتيني. كانت تُكرّر نفسَ المزحة كُلمًا قدّمت لأحدهم مارتيني. قالت: "إفطار الأبطال".

تعبير "إفطار الأبطال" هو علامة تجاريّة مسجّلة لشركة جنرال ميلز، تستخدمه لمنتج حبوب إفطار. استخدامُ تعبير مُطابق كعنوان لهذا الكتاب أو خلال صفحاته، لا يُقصد به أيُّ ارتباطٍ أو رعاية من شركة جنرال ميلز، ولا يُقصدُ به أيضًا الاستهانة بمنتجهم الممتاز.

كان دواين يأمل في مجيء بعض الزوّار المُميّزين لمهرجان الفنون، الذين كانوا جميعًا يقيمون في الهوليداي إن، إلى البار. أراد أن يتحدث معهم، وأن يكتشف -إن استطاع- إذا كان لديهم أيُّ حقائق عن الحياة لم يسمع بها من قبل. هذا ما كان يتمنى أن تفعله له تلك الحقائق الجديدة: أن تسمح له بالضحك على متاعبه، ومتابعة حياته، وإبقائه بعيدًا عن الجناح الشمالي من مستشفى مقاطعة ميدلاند العام، والذي كان مُخصّصًا للمجانين.

فيما كان ينتظر ظهور فنّان، واسب نفسه بالمنتج الفنّي الوحيد الذي يحفظه في رأسه، وينطوي على شيء من العمق والغموض. قصيدة اضطرّ لحفظها صمًا خلال سنّته الثانية في مدرسة شوجر كريك الثانوية، مدرسة للصفوة من البيض وقتها. باتت شوجر كريك الثانوية الآن مدرسةً زنوج.

تلك كانت القصيدة:

إِنَّ إصْبَعَ الدَّهْرِ الْمُتَحَرِّكَ كَتَبَتْ وَلَا تَزَالُ تَكْتُبُ

وَحُكْمُهَا نَافِذٌ حَازِمٌ صَارِمٌ

لَيْسَ فِي مَقْدُورٍ أَحَدٍ أَنْ يَشْطُبَ مِنْهُ شَيْئًا

وَلَا تُمْحَى مِنْهُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَوْ هَطَلَتْ دَمُوعُ الْعَالَمِ بِأَسْرِهَا

شَاعِرٌ مَا⁽¹⁾!

كان دواين مُنْفَتِحًا للاقتراحات الجديدة بخصوص معنى الحياة، لدرجة أنه صار قابلاً للتنويم المغناطيسي بسهولة؛ لذا، حينما نظر

(1) مِنْ رُبَاعِيَّاتِ عَمْرِ الْخِيَامِ. الرُّبَاعِيَّةُ الْمَذْكُورَةُ مِنْ تَعْرِيبِ الْأَدِيبِ الْفِلَسْطِينِيِّ: نُوَيْلِ عَبْدِ الْأَحَدِ. [المترجم]

إلى المارتيني، وقع فيما يُشبهُ الغيبوبةَ عندما غَمَزَتْ له عرائسُ البحر الرّاقصة على سطح مشروبه. وتاهت العيون في قطرات زيت الليمون. لم يلاحظ دواين دخول اثنين من زوّار مهرجان الفنون المُميّزين، وجلسهم على كراسي المَشْرَب عند بيانو باني. كانا أبيضين. كانا بياتريس كيدسلر، الروائية القوطيّة، ورابو كارابكيان، الرّسام المينيمالي. البيانو الذي يلعب عليه باني كان من نوع شتينواي بيبي جراند، كان مُصَفَّحًا بفورميكا بلون قَرع العسل، ومُحاطًا بالكراسي عدّمة الظّهر. بوسع الناس الأكل على البيانو. في عيد الشُّكر السابق، أكلت أسرة من 11 فردًا عشاءها المُقدّم لهم على البيانو، بينما ظلّ باني يعزف.

* * *

قال الرسام المينيمالي رابو كارابكيان: "لا بُدَّ أن هذه فتحةٌ مؤخّرة الكون".

الروائيّة القوطية بياتريس كيدسلر كانت قد قَضت طفولتها في مدينة ميدلاند. قالت لكارابكيان: "كنتُ مرعوبةً من العودة بعد كل تلك السنوات".

قال كارابكيان: "يخاف الأمريكيون دومًا من العودة إلى البيت؛ لسببٍ وجيه إن سمحت لي بقول ذلك".

قالت بياتريس: "كان السبب وجيهًا، لكنه لم يَعد كذلك. لم يَعد الماضي مؤلِمًا. أقول لأيّ أمريكيٍّ هائم الآن "بالطبع تستطيع العودة إلى البيت، بقدر ما تريد؛ فالبيت مُجرّدُ فُنْدُقِ الآن".

* * *

توقّف المرور تمامًا في الحارات المتّجهَة غربًا على الطريق السريع، على بُعد ميل من الهوليداي إنّ الجديد؛ بسبب حادثٍ مُميتٍ عند المخرَج 10-أ. تَرَجَّل السائقون والراكبون من سيَّاراتهم، لِفردِ أرجلهم، ولمحاولة معرفة ما الذي يُعيقُ الطَّرِيقَ في الأمام.

كان كيلجور تراوت بين مَنْ تَرَجَّلوا. عرف من البعض أن الهوليداي إنّ الجديد يَبْعُدُ مسافةً يُمكن مَشِيها بسهولة؛ فجمع أشياءه من مقعد الجالاكسي الأمامي وشكَّرَ السائق، الذي نَسِيَ اسمَه، ومشى مُتثاقلاً.

وشرع داخل رأسه في تجميع إطار القناعات الملائم لمَهْمَّتِه المحدودة في ميدلاند، وهي أن يُري مَحْدودي الفِكرِ، أولئك الذين يُصْرُون على تمجيد الإبداع، مُبدعًا مُفْتَرَضًا، فَشَلَ حتى أتقن الفِشَل. توقّف ليفحص نفسه في المرآة الخلفيَّة، المسلك الخلفي، لشاحنةٍ عالِقَةٍ في الزحام. جرَّار الشاحنة كان يسحب مقطورتين لا واحدة. تلك كانت الرسالة التي رأى مالِكُوها أنها مُناسِبَةٌ للصياح بها على الناس أينما حلَّت شاحنتهم:



صورة تراوت في المسلك كانت مُفْرِغَةً مثلما أرادها أن تكون. لم يكن قد اغتسل منذ تَهَجُّم عصابة بلوتو عليه، كان على شَحْمَةٍ إحدى أُذُنَيْهِ دَمٌ مُتَكْتَلٌ، وعند فتحة أنفه اليسرى كذلك. وعلى كتف معطفه كان هناك بُرازُ كلب. كان قد وقع بين غائِطِ الكلاب في ملعب كُرَةِ اليَدِ تحت جسر كوينزبورو بعد السرقة.

ذلك الغائط، بصدقٍ لا يمكن تصديقها، جاء من كلبٍ سلوقيٍّ
تَعيسَ ممتلكه فتاةٌ أعرفها.

الفتاة صاحبة الكلب السلوقي كانت مُسَاعِدَةً مُخْرَجِ إِضَاءَةٍ فِي
مَسْرُوحِيَّةِ مُوسِيقِيَّةِ كُومِيدِيَّةِ عَنِ التَّارِيخِ الْأَمْرِيكِيِّ، وَكَانَتْ تَحْتَفِظُ
بِكَلْبِهَا الْبَائِسِ، الَّذِي كَانَ اسْمُهُ لَانْسِرُ، فِي شَقَّةٍ مِنْ غُرْفَةٍ وَاحِدَةٍ،
عَرَضُهَا أَرْبَعُ عَشْرَةَ قَدَمًا، وَطُولُهَا سِتُّ وَعَشْرُونَ قَدَمًا، وَتَرْتَفِعُ عَنِ
مَسْتَوَى الشَّارِعِ سِتُّ رِحَالَاتٍ عَلَى السُّلْمِ. حَيَاتِهِ كُلُّهَا كَانَتْ مُكْرَسَةً
لِتَفْرِيفِ فَضْلَاتِهِ فِي الْمَكَانِ وَالْوَقْتِ الْمُنَاسِبِينَ. كَانَ هُنَاكَ مَكَانَانِ مُنَاسِبَانِ
لِتَفْرِيفِهَا: الْبَالُوعَةُ خَارِجَ الْبَابِ عَلَى مَسَافَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ خَطْوَةً إِلَى
أَسْفَلَ، بَيْنَمَا تَمْرُقُ السَّيَّارَاتُ الْمَارَّةُ بِجَوَارِهِ، أَوْ فِي الصَّيْنِيَّةِ الَّتِي تَضَعُهَا
سَيِّدَتُهُ أَمَامَ الثَّلَاجَةِ الْوَسْتَنْجِهَاوَسِ.

كَانَ مَخُ لَانْسِرٍ صَغِيرًا جَدًّا، لَكِنْ لَا شَكَّ أَنَّهُ اشْتَبَهَ مِنْ وَقْتٍ لِآخَرٍ،
مِثْلَمَا فَعَلَ وَايْنُ هُوبَلِرِ، أَنْ خَطَأَ شَنِيعًا مَا قَدْ حَدَثَ.

تَهَادَى تَرَاوَتْ مُتَقَدِّمًا إِلَى الْأَمَامِ، غَرِيبًا فِي بَلَدٍ غَرِيبٍ. عَادَتْ عَلَيْهِ
رِحْلَةُ الْحَجِّ هَذِهِ بِحِكْمَةٍ جَدِيدَةٍ، لَمْ يَكُنْ بِالْعَهَا إِنْ كَانَ قَدْ ظَلَّ فِي
قَبْوِهِ بَكُوهُوسِ. عَرَفَ الْإِجَابَةَ عَلَى سَوَائِلِ يَسْأَلُهُ بَشَرٌ كَثِيرُونَ لِأَنْفُسِهِمْ
بِمَنْتَهَى الْقَلْقِ: "مَا الَّذِي يُعِيقُ الْمُرُورَ فِي الْحَارَاتِ الْمُتَّجِهَةِ غَرْبًا عَلَى
أَمْتَادِ الطَّرِيقِ السَّرِيعِ فِي مَدِينَةِ مِيدَلَانْدِ؟".

أَدْرَكَ تَرَاوَتْ كُلَّ شَيْءٍ عِنْدَمَا رَأَى السَّبَبَ: شَاحِنَةٌ لَبَنٍ تَابِعَةٌ لِمَلِكَةِ
الْبَرَارِيِّ، مَطْرُوحَةٌ عَلَى جَانِبِهَا، وَتُعِيقُ سَرِيَانَ الطَّرِيقِ. تَلَقَّتْ ضَرْبَةً
عَنِيفَةً مِنْ شِيْفِرُولِيهِ كَابَرِيْسِ 1971 مُتَهَوِّرَةً. كَانَتْ شِيْفِرُولِيهِ قَدْ قَفَزَتْ
مِنْ فَوْقِ الْحَاجِزِ الْفَاصِلِ لِلطَّرِيقِ. لَمْ يَضَعْ رَاكِبُهَا الْأَمَامِي حَزَامَ الْأَمَانِ؛

فطار عبر الزُّجاج الأمامي غير القابل للكسر، وتمدّد الآن مَيِّتًا على الحوض الخرساني الذي يحوي شوجر كريك. كان سائِقُهَا مَيِّتًا أيضًا، حَوَزَقَهُ عَمودُ عَجَلَةِ القيادة.

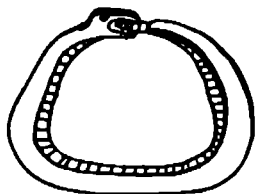
كان رَاكِبُ الشيفروليه يَنْزِفُ الدَّماءَ فيما هو مَيِّتٌ على الأرض في شوجر كريك. وشاحِنَةُ الحليب تنزف اللبن. اللبن والدم على وشك أن يُصْبِحَا جزءًا من كرات البنج-بونج التَّنِنَةُ التي كانت تتولّد في أحشاء كهف المُعْجِزَةِ المُقَدَّسَةِ.

19

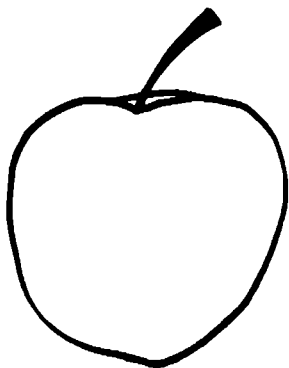
في ظلمةِ البار، كنتُ على قَدَمِ المساواة مع خالق الكون. صَغَرْتُ
الكَوْنَ حتَّى صار كُرَةً قُطْرُهَا سَنَةٌ ضَوْئِيَّةٌ واحدة بالضبط. جَعَلْتُهُ
يَنْفَجِر. جَعَلْتُهُ يَتَنَاقِر مُجَدِّدًا.

اسألني سؤالاً، أيُّ سُؤالٍ. كم عُمر الكون؟ نِصْفُ ثَانِيَةِ، لكنَّ نِصْفَ
الثانية تلك استمرَّت كوينتليون سَنَةٍ حتَّى الآن. مَنْ خَلَقَهُ؟ لا أحد.
الكون سَرَمَدِيٌّ.

ما الزَّمَن؟ إنه أفعى تلتهم ذيلها، مثل تلك:



تلك هي الأفعى التي توقفت عن التهامها لذاتها فترةً طويلة
كفاية لتعرض تَفَاحَةً على حَوَاءٍ، تفاحة كتلك:



ماذا كانت التُّفَاحَة التي أكلها آدَمُ وحواءُ؟ كانت خالقِ الكون.
وما إلى ذلك.

بوسع الرموز أن تكون جميلةً أحيانًا.

* * *

اسمَعُ:

جَلَبَت لي النَّادِلَةُ مشروبًا آخر. أرادت إشعالَ مصباحِ الأعاصيرِ
مُجدِّدًا، لم أسمح لها. سألتني: "هل تستطيع رؤية أي شيء في الظلام،
بنظارةِ الشمسِ تلك؟".

قلتُ: "العرضُ كُلُّهُ يدور في رأسي".

قالت: "أوه".

قلتُ: "أستطيع قراءة الطالع، أتريدين قراءة طالعكِ؟".

قالت: "ليس الآن". عادت إلى البار، وتبادلت مع الساقية مُحادثةً
ما عني. ألقى الساقية عِدَّةَ نظراتٍ مُرتابةٍ تجاهي. كل ما استطاع

رؤيته كانت المسالك التي تُغطي عيني. لم أقلق من احتمال أن يطلب مني مُغادرة المكان؛ فأنا من خلقه في النهاية. منحه اسمًا: هارولد نيوكومب ويلبر. كافأته بنجمة فضية، ونجمة برونزية، وميدالية جُندي، وميدالية حُسن سير وسلوك، ووسام قلب أرجواني مع أوراق البُلوط؛ ما جعله ثاني أكثر المحاربين القدامى امتلاكًا للأوسمة في ميدلاند. وَصَعْتُ كُلَّ ميدالياته في دُرج الأكواب تحت مناشفه.

فاز بكل تلك الميداليات في الحرب العالمية الثانية، والتي كانت عَرَضًا أقامته الروبوتات لتحفيز دواين هوفر على الاستجابة بإرادته الحُرَّة لأشياء مثل الهولوكوست. كانت الحرب مهرجانًا هائلًا لدرجة أنه لم يَكُن هناك روبوت في أيِّ مكانٍ في العالم لم يلعب فيه دورًا إلا بالكاد. حصل هارولد نيوكومب ويلبر على تلك الميداليات لقتله اليابانيين، الذين كانوا روبوتاتٍ صفراءٍ وقودها الأرز.

تابَعَ التَّحْدِيقَ فِيّ، برغم أني أَرَدْتُهُ أن يتوقَّف عن ذلك. تلك كانت سِمَةً في تحكُّمي بالشخصيات التي خَلَقْتُ: بوسعي فقط إرشاد تحركاتهم بالتقريب؛ فهم كانوا حيواناتٍ كَبِيرَةً. كان هناك قُصُورٌ ذاتِيٌّ يجب التَّغْلُبُ عليه. ليس الأمر وكأني مُتَّصِلٌ بِهِم بِأَسلاكٍ حديدية، بل هو أقرب إلى أني مُتَّصِلٌ بِهِم بِأَرِبْطَةٍ مَطَّاطِيَّةٍ بِالْيَةِ.

لذا، جعلتُ الهاتِفَ الأَخْضَرَ في آخر البار يَرِنُ. أجاب هارولد نيوكومب ويلبر عليه، لكن ظَلَّتْ عِيُونُهُ تَرْمُقُنِي. كان عليَّ أن أفكِّرَ بسرعةٍ من الذي على الجانب الآخر من الهاتف. جعلته أكثر المحاربين القدامى امتلاكًا للأوسمة على الجانب الآخر. كان له عُضُوٌ دَكْرِيٌّ طُولُهُ مائة ميل، وقَطْرُهُ مائتان وعشرة أميال، لكنه العُضُوُّ كله فعليًا كان في البُعدِ الرَّابِعِ. حصل على ميدالياته في الحرب مع فيتنام. حارب هو أيضًا روبوتاتٍ صفراءٍ وقودها الأرز.

قال هارولد نيوكومب ويلبر: "بار فندق الهوليداي إن".

"هال؟".

"مَن معي؟".

"أنا نيد لينجامون".

"أنا مشغول".

"لا تقفل المكالمة. وضعتني الشرطة في سجن المدينة. لا يسمحون لي إلا بمكالمة واحدة، فاتصلت بك".

"لماذا أنا؟".

"أنت صديقي الوحيد المتبقي".

"لِمَ قبضوا عليك؟".

"يقولون إني قتلت ابنتي".

وما إلى ذلك.

ذاك الرجل، الذي كان أبيض، حصل على كل الميداليات التي حصل عليها هارولد نيوكومب ويلبر، بالإضافة إلى أعلى أوسمة البطولة التي يُمكن أن يحصل عليها جندي أمريكي، والتي تبدو كتلك:



وارتكب أيضًا أسوأ الجرائم التي يمكن أن يرتكبها أمريكي: قَتَلَ
طِفْلَتَهُ. اسمُها كان سينثيا آن، لم تَعِشْ سينثيا طويلًا قبل أن تعود
للموتِ مُجددًا. قُتِلَتْ لأنها كانت تبكي، تبكي وتبكي وتبكي، لا تريد
أن تخرس.

في البداية، دفعت أمها ذات الأعوام السبعة عشر للرحيل بطلباتها
التي لا تنقطع، والآن قتلها أبوها.
وما إلى ذلك.

* * *

أما بالنسبة للطالع الذي كنت لأقوله للنادلة، فكان كذلك:
"سيخدعك العاملون بشركة إبادة الحشرات، ولن تُدرِكي حتى أنهم
يفعلون. ستشترين إطاراتٍ شعاعيةً ذات أحزمة فولاذية للعجلات
الأمامية لسيارتك. ستقتل قطتك تحت عجلات دراجة نارية، سائقها
اسمه هيدلي توماس، وستحصلين على قِطعةٍ أخرى. أخوك أرثر في
أتلانتا، سيجد 11 دولارًا في سيارة أجرة".

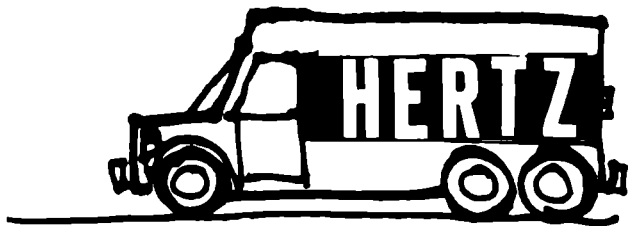
* * *

ربما كنت لأخبر باني هوفر بطالعه أيضًا: "سيمرض أبوك إلى درجة
بالغة، رد فعلك سيكون شاذًا لدرجة أنهم سيفكروا في وضعك في
مستشفى المجانين أيضًا. ستنهار في مشهدٍ مسرحيٍّ بغرفة الانتظار في
المستشفى، وستخبر الأطباء والممرضين أنك سبب مرض أبيك. ستلوم
نفسك على محاولتك قتله بقرط الكراهية طيلة سنوات عديدة.
ستعيد توجيه كراهيتك إلى أمك".
وما إلى ذلك.

وَجَعَلْتُ وَايْن هوبلر، المُدَانِ الْأَسْوَدَ السَّابِقِ، يَقِفُ مَغْمُومًا بَيْنَ صِنَادِيْقِ الْقِمَامَةِ خَارِجِ الْبَابِ الْخَلْفِيِّ لِلْهَوْلِيْدَايِ إِنْ، وَيَتَأَمَّلُ أَوْرَاقَ الْعُمْلَةِ الَّتِي أُعْطَوْهَا لَهُ عِنْدَ بَوَابَةِ السَّجْنِ هَذَا الصَّبَاحِ. لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَيْءٌ آخَرَ لِيَفْعَلَهُ.

فَحَصَّ الْهَرَمَ وَالْعَيْنَ الْمَتَوَهَّجَةَ عَلَى قِمَّتِهِ. تَمَنَّى لَوْ كَانَتْ لَدَيْهِ مَعْلُومَاتٌ أَكْثَرَ عَنِ الْهَرَمِ وَالْعَيْنِ. لَا يَزَالُ هُنَاكَ الْكَثِيرَ لِتَعَلُّمِهِ!
لَمْ يَعْرِفْ وَايْنُ حَتَّى أَنْ الْأَرْضَ تَدُورُ حَوْلَ الشَّمْسِ. حَسِبَ الشَّمْسَ تَدُورُ حَوْلَ الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ هَذَا مَا كَانَتْ تَبْدُو عَلَيْهِ.

أَزَّتْ شَاحِنَةٌ مَارِقَةٌ عَلَى الطَّرِيقِ السَّرِيعِ، بَدَأَ الصَّوْتُ لَوَايْنِ كَأَنَّيْنِ مِتَأَلِّمٍ؛ لِأَنَّهُ قَرَأَ الرِّسَالَةَ الْمَكْتُوبَةَ عَلَى جَانِبِ الشَّاحِنَةِ صَوْتِيًّا. هَكَذَا قَالَتْ الرِّسَالَةُ لَوَايْنِ: إِنْ الشَّاحِنَةُ تَتَوَجَّعُ، بَيْنَمَا تَنْقُلُ الْأَشْيَاءَ مِنْ مَكَانٍ لِآخَرَ. تِلْكَ كَانَتْ الرِّسَالَةُ، وَقَرَأَهَا وَايْنُ بِصَوْتِ مَسْمُوعٍ:



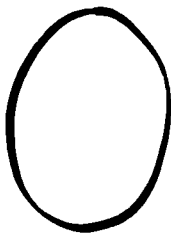
* * *

هَذَا مَا سَيَحْدُثُ لَوَايْنِ بَعْدَ حَوَالِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ؛ لِأَنِّي أَرَدْتُ أَنْ يَحْدُثَ لَهُ ذَلِكَ: سَتَأْخُذُهُ الشَّرْطَةُ لِاسْتِجْوَابِهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَصَرَّفُ بِشَكْلِ مُرِيبٍ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَدْخَلِ الْخَلْفِيِّ لِبَارِيْتَرُونِ الْمَحْدُودَةِ، وَالَّتِي كَانَتْ مُنْخَرِطَةً فِي أُبْحَاثِ أَسْلِحَةٍ سَرِيَّةٍ لِلْغَايَةِ. حَسِبُوهُ فِي الْبَدَايَةِ يَدَّعِي الْغِبَاءَ وَالْجَهْلَ، وَأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِي الْوَاقِعِ جَاسُوسًا حَادِقًا يَعْمَلُ لِصَالِحِ الشَّيُوعِيِّيْنَ.

الكشف على بصمات أصابعه وأسنانه الرائعة أثبت أنه الشَّخصُ الذي يدَّعيه. لكن لا يزال هناك شيءٌ عليه توضيحه: ماذا كان يفعل ببطاقة عضويَّةِ نادي بلاي بوي الأمريكي تحمل اسم باولو دي كايسترانو؟ كان قد وجدها في حاويَّةِ قُمَامَةٍ وراء الهوليداي إنَّ. وما إلى ذلك.

ثم حان وقتُ أَنْ أَجْعَلَ رابو كارابكيان الرَّسَّامَ المينيمالي وبياتريس كيدسلر الرُّوائِيَّةَ، يفعلان ويقولان أشياءَ أكثرَ لأجل هذا الكتاب. لم أرغب في إفزاعهم بالتَّحديق فيهم بينما أُحرِّكُ خيوطهم؛ فتظاهرتُ بالانشغال في رَسْمِ صُورٍ على سطح مائِدَتِي بأناملي الرُّطبة.

رَسَمْتُ الرَّمَزَ الأَرْضِيَّ لِلأشْيَاءِ، كان كذلك:



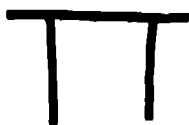
ثم رَسَمْتُ الرَّمَزَ الأَرْضِيَّ لِكُلِّ شَيْءٍ، كان كذلك:



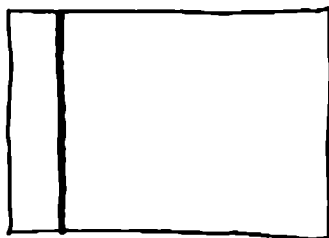
عرف كل من دواين هوفر وواين هوبلر الرَّمزَ الأوَّلَ، لكن لم يَعْرِفَا الثاني. ثم رسمتُ رمزًا في الضباب المتلاشي، يألفه دواين ويثير فيه المرارة، لكن لا يعني شيء لواين. كان كذلك:

درانو

ثم رَسَمْتُ رمزًا عرف دواين معناه لبضع سنواتٍ في المدرسة، ثم بات المعنى يُراوِغُه بعدها. رَمَزُ قد يبدو مثل نهاية مائِدَةٍ في قاعة الطعام بالسجن لواين. كان يُمَثِّلُ النسبة بين مُحيطِ الدَّائِرَةِ لِقُطْرِها. يمكن تمثيلُ تلك النسبة برقم، وبينما دواين وواين وكارابكيان وبياتريس كيدسلر والجميع يتابعون حياتهم بشكل عادي، يبتُّ علماء الأرض ذلك الرِّقْمَ إلى الفضاء الخارجي بإشارةٍ رَتِيبَةٍ. الفكرة هنا هي لو كان على الكواكب الأخرى سُكَّانٌ، فَرُبَّمَا يُدْرِكُونَ إذا كانوا يستمعون، إلى أيِّ مَدَى نحن أذكياء. فقد عَدَّبْنَا الدوائر حتى اعترَفَتْ بذلك الرَّمزِ الذي يُفصِحُ عن أسرار حياتهم:



ثم رسمتُ نُسخَةً غيرَ مَرثِيَّةٍ على سطح المائدة الفورميكا من لوحةٍ لرابو كارابكيان، عنوانها (إغواءُ القديس أنطونيوس). نُسخَتِي كانتَ تَصْغِيرًا لِلوَحَةِ الحَقِيقِيَّةِ، وبلا ألوان، لكنِّي تَمَكَّنْتُ من القبض على شكل اللوحة، وروحها أيضًا. هذا ما رسمت:



اللوحة الأصلية كان عرضها عشرين قدمًا، وارتفاعها ست عشرة قدمًا. المساحة الخاوية طُلِيَتْ بأفوكادو هاواي، وهو طلاءٌ حَائِطٍ أَخْضَرُ تُنتِجُهُ شركة أوهار للطلاء والورنيش في هيليرتاون بولاية بنسلفانيا. الخطُّ الرَّأْسِي كان شريطًا عاكسًا برتقاليًا يَلَوِّنُ الجَزْر. تلك كانت أعلى قطعة فنية، باستثناء المباني وشواهد القبور، وباستثناء مَمثال إبراهيم لينكولن أمام مدرسة الزنوج الثانوية القديمة.

مَنْ تلك اللوحة كان فضيحةً. كانت أوَّلَ عَمَلٍ يَشْتَرِيهِ مركز ميلدريد باري التذكاريُّ للفنون لمجموعته الدائمة. فريد تي. باري، رئيس مجلس إدارة باريترون المحدودة، دفع من ماله الخاصَّ خمسين ألفَ دولارٍ مُقَابِلَ هذه الصورة.

احتدمَ غَضَبُ أَهْلِ ميدلاند، وأنا كذلك.

وكذا كانت بياتريس كيدسلر، لكنها أَبَقَتْ سَخَطَهَا لِنَفْسِهَا فيما جلست على مَشْرَبِ البيانو مع كارابكيان. كارابكيان، الذي كان يرتدي

سويت-شيرت مطبوعٌ عليه ما يُشبه بيتهوثن، عرف أنه مُحاطٌ بأناسٍ يكرهونه لحصوله على مالٍ كثيرٍ مُقابلٍ عَمَلٍ قليلٍ. كان مُسْتَمْتِعًا.

مثل كلِّ مَنْ في البار، كان يُطْرِي على مُخِّه بالكحول. تلك كانت مادةٌ تُنتجها كائناتٌ دَقِيقَةٌ تُسَمَّى الخميرة. تأكل كائناتُ الخميرة السُّكَّرَ وتُتَبَرِّزُ الكحول. كانوا يقتلون أنفُسَهُم بتدميرِ نظامِهِم الحيويِّ بِخِراءِ الخميرة.

* * *

كتب كيلجور تراوت ذات مرَّةٍ قِصَّةً قصيرةً عبارة عن حوارٍ بين قِطْعَتَيْ خميرة. كانتا تتناقشان عن معاني الحياة المُحْتَمَلَةِ بينما تأكلان السُّكَّرَ وتختنقان وسط فضلاتهما. وبسبب ذكائهما المحدود، لم تَقْتَرِبَا قَطُّ من تخمين أنهما كانتا تصنعان الشامبانيا.

* * *

هكذا جَعَلَتِ بياتريس كيدسلر تقول لرابو كارابكيان عند مشرب البيانو: "أودُّ الاعترافَ بِشَيْءٍ مُؤَسِّفٍ، أنا لا أملك أدنى فِكْرَةٍ عَمَّنْ هو القِدِّيسُ أنطونيوس. مَنْ كان؟ ولماذا قد يَوَدُّ أي شخصٍ إغواءه؟".

قال كارابكيان: "لا أعرف، ولا أُحِبُّ أن أعرف".

قالت بياتريس: "ألا تهْمُكُ الحقيقة؟".

قال كارابكيان: "أتعلمين ما الحقيقة؟ إنها شيءٌ أَحْمَقُ يُؤْمِنُ به جاري. إن أردتُ أن أُصَادِقَهُ فسأذهب وأسأله عَمَّا يُؤْمِنُ به، سيقول لي، فأجيبه "طبعًا طبعًا، تلك هي الحقيقة".

* * *

لم أملك أدنى قَدْرِ من الاحترام لأعمالهما الإبداعية، لا الرِّسَامِ ولا الروائية. أعتقد أن كارابكيان، بلوحاته عَدِيمَةِ المعنى، قد اشترك

في مؤامرةٍ من نوعٍ ما مع أصحاب الملايين، تهدف لِجَعْلِ الفقراء يشعرون بالغباء. أعتقد أن بياتريس كيدسler قد اتَّحدت مع الحكَّائين القدامى؛ لجعل الناس يعتقدون أن في الحياة شخصياتٍ رئيسيةً وشخصياتٍ فرعيةً وتفصيلَ هامةً وتفصيلَ غير هامةً، وأن بها دروسًا يجب تَعَلُّمُها، واختباراتٍ يجب تجاوزُها، وبدايةً ومُنْتَصَفًا ونهايةً.

وفيما اقترب عيدُ ميلادي الخمسين، ازداد سخطي سخطًا وحيرتي حيرةً من قرارات بني وطني الحمقاء. ثم صرْتُ فجأةً أَشْفِقُ عليهم؛ فقد فَهِمْتُ أن جُلَّ سلوكهم البغيض وعواقبه اللعينة، يَصْدُرُ منهم بشكلٍ عَفْوِيٍّ فطريٍّ: كانوا يفعلون ما بوسعهم ليعيشوا حياتهم مثل الشخصياتِ المُتَخَيَّلَةِ في الكتب. ذلك كان سببَ إطلاقِ الأمريكيين النَّارَ على بعضهم بهذا المُعدَّلِ المتزايد: فتلك وسيلةٌ أدبيةٌ مُناسِبةٌ لإنهاء القصص القصيرة والروايات.

لماذا تُعَامِلُ الحُكُومَةُ كثيرًا من الأمريكيين وكأنَّ حياتهم بنفس قيمة المناديل الورقية أحادية الاستخدام؟ لأن تلك هي الطريقة التي يعامل بها المؤلفون عادةً الشَّخصياتِ الهامِشيَّةِ في حكاياتهم المُتَخَيَّلَةِ. وما إلى ذلك.

ما أن أدركتُ ما الذي يجعل أمريكا وطنًا تَعْيَسًا خطيرًا، لا علاقةً لأهلِهِ بالحياة الواقعية؛ حتى عَزَمْتُ على وضع الحَكِي جانبًا. سأكتب عن الحياة. كُلُّ شَخْصِيَّةٍ ستكون بذاتِ أَهمِّيَّةِ أي شخصيَّةٍ أخرى. وكل الحقائق سيكون لها ذات الثَّقَل. لن أَهْمَلُ شيئًا. دَعُ الآخرين يجلبون النُّظَامَ إلى الفوضى، سأجلب أنا الفوضى إلى النظام بدلًا من ذلك، وهو ما أَظُنُّ أَنِّي فَعَلْتُ.

لو فعل ذلك الكُتَّابُ كُلُّهم، ربما حينها يفهم سُكَّانُ العالم الواقعي لا الأدبي أن في العالم حولنا لا يوجد نظام، أن علينا التَّكْيُفَ بأنفسنا على ما تَتَطَلَّبُهُ الفوضى عَوَضًا عن ذلك.

يَصْعَبُ التَّكْيُفُ مَعَ الْفَوْضَى، لَكِنَّهُ مُمَكِّنٌ. أَنَا دَلِيلٌ حَيٌّ عَلَى
ذَلِكَ: التَّكْيُفُ مَعَ الْفَوْضَى مُمَكِّنٌ.

مُتَكَيِّفًا مَعَ الْفَوْضَى فِي الْبَارِ، جَعَلْتُ بُونِي مَكْمَاهُونَ، الَّتِي كَانَتْ
بِذَاتِ أَهْمِيَّةٍ أَيْ فَرِدٍ آخَرَ فِي الْكُونِ، تَجَلِبُ مَزِيدًا مِنْ فَضَلَاتِ الْخَمِيرَةِ
إِلَى بِيَاتَرِيْس كِيدْسَلِرْ وَكَارَابِكِيَان. مَشْرُوبٌ كَارَابِكِيَان كَانَ مَارْتِينِي بِيْف-
إِيْتِرْ جَافًا، مَعَ شَرِيحَةِ لَيْمُونٍ، هَكَذَا قَالَتْ لَهُ بُونِي: "إِفْطَارِ الْأَبْطَالِ".

قَالَ كَارَابِكِيَان: "هَذَا مَا قُلْتَهُ عِنْدَمَا أَحْضَرْتِ لِي أَوَّلَ مَارْتِينِي".

قَالَتْ بُونِي: "أَقُولُ ذَلِكَ كُلَّمَا أَحْضَرْتِ لِأَيِّ شَخِصٍ مَارْتِينِي".

قَالَ كَارَابِكِيَان: "أَلَا تَتَعَبِينَ مِنْ ذَلِكَ؟ أَوْ رُبَّمَا لِهَذَا يَبْنِي النَّاسُ مُدُنًا
فِي مِثْلِ تِلْكَ الْأَمَاكِنِ النَّائِيَةِ، لِيَكُونَ بَوْسَعَهُمْ تَكَرَّرَ النَّكَاتِ نَفْسَهَا
مَرَّةً تَلَوَّ أُخْرَى، حَتَّى يَتَوَقَّفَ مَلَكَ الْمَوْتِ فِي النِّهَايَةِ لِيَمْلَأَ أَفْوَاهَهُمْ
بِالرَّمَادِ؟".

قَالَتْ بُونِي: "أَنَا فَقَطْ أَحَاوَلُ إِسْعَادَ النَّاسِ، إِنْ كَانَتْ تِلْكَ جَرِيْمَةً،
فَأَنَا لَمْ أَسْمَعْ بِهَا مِنْ قَبْلِ. سَأَتَوَقَّفُ عَنْ قَوْلِهَا بَدءًا مِنْ الْآنِ،
أَسْتَسْمِحُكَ الْعُذْرَ، لَمْ أَقْصِدِ الْإِهَانَةَ".

بُونِي كَرِهَتْ كَارَابِكِيَانِ، لَكِنَّهَا كَانَتْ لَطِيْفَةً مَعَهُ مِثْلَ قِطْعَةِ جَاتُوهِ.
سِيَّاسَتُهَا كَانَتْ عَدَمَ إِظْهَارِ غَضَبِهَا قَطُّ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ فِي الْبَارِ. اعْتَمَدَ
الْجَانِبُ الْأَكْبَرُ مِنْ دَخْلِهَا عَلَى الْبِقْشِيْشِ، وَالطَّرِيْقَةُ الَّتِي تَحْصُلُ بِهَا
عَلَيْهِ كَانَتْ الْإِبْتِسَامَ وَالْإِبْتِسَامَ وَالْإِبْتِسَامَ، مَهْمَا كَانَ الْحَالُ. كَانَ لِبُونِي
هَدْفَانٌ فَقَطْ فِي حَيَاتِهَا الْآنَ. سَعَتْ إِلَى اسْتِعَادَةِ الْأَمْوَالِ الَّتِي خَسَرَهَا
زَوْجُهَا فِي مَغْسَلَةِ السِّيَّارَاتِ فِي شِيْبِرْدِزْتَاوِنِ، وَتَاقَتْ لِلْحَصُولِ عَلَى
إِطَارَاتٍ شَعَاعِيَّةٍ ذَاتِ أَحْزَمَةِ فُولَازِيَّةٍ لِلْعَجَلَاتِ الْأَمَامِيَّةِ لِسِيَّارَتِهَا.

كان زوجها، في الآن ذاته، في البيت يُشاهدُ لاعبي الجولف المُحترفين على التلفزيون، ويحطم نفسه بفضلات الخميرة.

* * *

كان القديس أنطونيوس مصريًا، وبالصدفة كان هو من أنشأ أول ديرٍ في العالم. الدير هو مكان يستطيع الرجال فيه الحياة ببساطة، والصلاة أغلب الوقت لخالق الكون، دون أن يُشتتتهم الطُموحُ والجِنسُ وفضلات الخميرة. باع القديس أنطونيوس نفسه كُلَّ شيء عندما كان صغيرًا، واعتزل العالمَ في البرية وحيدًا لعشرين عامًا.

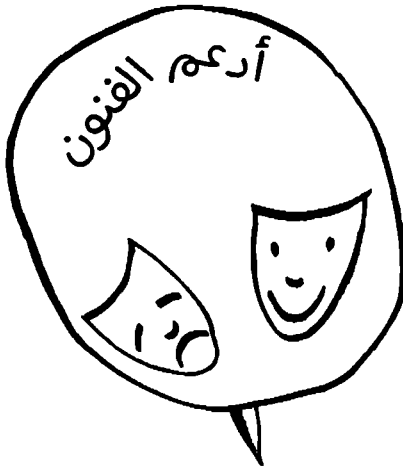
تعرّض القديس أنطونيو طوال سنوات العزلة التامة لإغراءاتٍ مُتعدّدة، إذ تراءت له كثيرًا الأوقات السعيدة التي كان ليحظى بها بصُحبة الطعام والرجال والنساء والأطفال والأسواق، وما إلى ذلك. مؤرّخه كان مصريًا آخر: القديس أثناسيوس، والذي كانت نظريّاته عن الثالوث والتّجسّد وألوهية الرُّوح القُدس، الموضوعة بعد ثلاثمائة عامٍ من مَقْتَلِ المسيح، لا تزال ساريّةً في نظر الكاثوليكين في زمن دواين هوفر.

في الواقع، سُمّيت المدرسة الكاثوليكية الثانوية بمدينة ميدلاند على شرف القديس أثناسيوس. كانت على اسم القديس كريستوفر أولًا، لكن البابا، الذي يعتبر رأس الكنائس الكاثوليكية في كلِّ مكانٍ بالعالم، أعلن أن لم يكن هناك على الأرجح أيُّ قديس كريستوفر؛ لذا لا يجدر بالناس تشريفه بعد الآن.

* * *

خطا غاسِلُ الأواني الأسود خارجًا من مطبخ الفندق، ليُدخُن سيجارة بول مول ويتنَفَّس بعض الهواء النقي. كان يرتدي "بادچًا" كبيرًا بدبُّوسٍ على تيشيرته الأبيض المنقوع في العَرَق، عليه التالي:

تَناءَرَت في سَتِّي أنحاء الفندق أوعِيَّةٌ مَلِيئَةٌ بدبابيسٍ مُمائيَّةٍ، ليستطيع أيُّ شخصٍ أخذَ واحدٍ منها، وهو ما فعله غاسِلُ الأواني بروح خَفِيْفَةٍ. لم يكن يعنِي كثيرًا بالأعمال الفنية، عدا الأشكال الرخِيصة والبسيطة منها التي لم يُقصد بها أن تدوم طويلًا. اسمه هو إيلدون روبينس، وكان له عُضْوٌ طَوْلُهُ تِسْعُ بوصاتٍ، وقَطْرُهُ بوصتان.



قضى إيلدون روبينس أيضًا وقتًا في الهيئة الإصلاحية للبالغين؛ لذا كان من السهل عليه التَعَرُّفُ على واين هوبلر بين حاويات القمامة، كخَرِيْجٍ إِصْلاحيَّةٍ حَدِيثٍ. قال له بِرِقَّةٍ وَمَحَبَّةٍ يَشوبُها سخرية: "أهلاً بك في العالم الحقيقي يا شقيق. متى أَكَلْتَ آخِرَ مَرَّةٍ؟ هذا الصباح؟".

بخَجَلٍ أَكَّدَ واين هذا التَّساوُلَ. فأخذه إيلدون عبر المطبخ إلى المائدة الطويلة حيث يأكل العاملون بالمكان. كان هناك جهاز

تليفزيون مُثَبَّت في المؤخِّرة، يعرض على واين لقطاتٍ لِقَطْعِ رأسِ ماري ملكة اسكتلندا. كان الجميع مُتَأَنِّقين، ووضعت الملكة ماري رأسها في المقصَلَةِ بِنَفْسِهَا.

رَتَّبَ إيلدون لِيَحْضَلَ واين على شريحة لَحْمٍ وبطاطس مهروسة وَمَرَقٍ وأي شيء آخر أَرَادَهُ مَجَانًّا، كل ذلك جَهَّزَهُ بَقِيَّةُ العاملِين في المطبخ، الذين كانوا جميعًا رجالًا سودًّا. وكان على المائدة وعاءٌ مَلِيءٌ بدبابيس مهرجان الفنون، إيلدون جعل واين يضع واحدًا قبل أن يأكل. قال له بخطورة: "البس ذلك طوال الوقت، ولن يصيبك أذى".

* * *

أفصح إيلدون لواين عن ثُقْبٍ في الحائط، حفره العاملون بالمطبخ ليتلصَّصوا على البار. قال: "عندما تتعب من مشاهدة التلفزيون، تستطيع الفرجة على حديقة الحيوانات".

نظر إيلدون بنفسه عبر الثُقْبِ، وقال لواين إنَّ هُنَاكَ رَجُلًا يجلس على مَشْرَبِ البيانو، حصل على خمسين ألف دولار مقابل لَصِقِ قِطْعَةٍ شَرِيْطٍ لاصقٍ أَصْفَرَ على قطعة قُمَاشٍ خضراء. أصرَّ على أن يُلقِي واين نظرةً جَيِّدَةً على كارابكيان؛ فأطاع واين.

أراد واين أن يُنْحِي بَصَرَهُ عن ثُقْبِ التلصُّص بعد خمس عشرة ثانية؛ لأنه لم يملك أيَّ خلفيَّةٍ من المعلومات التي قد تُمَكِّنُهُ من فَهْمِ أيِّ شيءٍ يحدث في البار. الشموع مثلًا حَيَّرَتْه. ظنَّ أن هناك عَطْلًا في الكهرباء، وأن أحدهم ذهب لتغيير الفيوز. وأيضًا، لم يعرف بالضبط كيف يُكوِّن رأيًا عن زِيِّ بوني مكماهون، والذي كان عبارةً عن حذاء رُعاةٍ بَقَرٍ أبيض طويل الرقبة، وجوارب شبكيَّة ذات أربطة حمراء تكشف بوضوح عن مساحات عديدة من الفَخِذِ العارية، وبذلةٍ سَبَاحَةٍ صَيِّقَةٍ من نوعٍ ما يُزَيِّنُهُ الترتير اللامع، ومُثَبَّت في مؤخِّرته قطعة من القطن الوردي.

واين كان يرى بوني من الخلف؛ فلم يستطع رؤية نظارتها السمكة ثمانية الأضلاع عديمة الإطار، وأنها امرأة في الثانية والأربعين، ذات وجه حصان. ولم يستطع أيضًا رؤية أنها كانت تبتسم وتبتسم وتبتسم مَهْمَا أَهَانَهَا كارابكيان. لكنه استطاع قراءة شِفَاهِ كارابكيان. كان ماهرًا في قراءة الشُّفاه، مثل أي شخص قضى وقتًا في شيردزتاون. الصَّمت في المَمَرَاتِ وخلال تناول الطعام كان مفروضًا بالقوة في شيردزتاون.

* * *

قال كارابكيان لبوني، مشيرًا لبياتريس كيدسلر بإيماءة من يده: "تلك السيدة البارزة هنا، هي رايوة حكايات شهيرة، وابنة أصيلة لهذه البلدة النائية. ربما بوسعك إخبارها ببعض القصص الحديثة عن محلِّ ميلادها".

قالت بوني: "لا أعرف أي قصص".

قال كارابكيان: "هيا، لا شك أن كلَّ شخص في هذه الغرفة يستحقُّ روايةً عظيمةً تحكي عنه"، أشار لدواين هوفر، "ما هي قصة حياة ذاك الرجل؟".

منعت بوني نفسها من ذكر أيِّ شيء عن دواين عدا كلبه سباركي، الذي لا يستطيع هزَّ ذيله، "لذا هو مضطربٌ للعراكِ طوال الوقت".

قال كارابكيان: "رائع"، واستدار لبياتريس، "أنا واثق أنك تستطيعين استخدام ذلك في مكان ما".

قالت بياتريس: "في الواقع أستطيع، تلك تفصيلا رائعة".

قال كارابكيان: "كلُّما زادت التفاصيل كان ذلك أفضل. حمدًا لله على وجود الروائيين، حمدًا لله على وجود أناسٍ مُستعدين لكتابة كل شيء، وإلا سيضيع الكثير في طي النسيان". ترجى بوني لتحكي المزيد من الحكايات الحقيقية.

حماس كارابكيان أغرى بوني، وفكرة أن بياتريس كيدسler تحتاج فعلاً لقصص حقيقية لِكُتِبَها مَلَأَها بالطاقة. قالت: "حسناً، هل تعتبران شيردزتاون جزءاً من مدينة ميدلاند؟".

قال كارابكيان، الذي لم يسمع قط عن شيردزتاون: "بالطبع، ماذا كانت مدينة ميدلاند لتصير دون شيردزتاون؟ وماذا كانت شيردزتاون لتصبح دون مدينة ميدلاند؟".

فكَّرت بوني أن رُبَّما لديها ما يمكن اعتباره قصَّةً جديرة بالحكي: "زوجي حارسٌ في الهيئة الإصلاحية للبالغين في شيردزتاون، اعتاد على البقاء بصحبة المنتظرين دورهم في الجلوس على المقعد الكهربائي، وذلك كان من قَبْلُ، عندما كان الناس يُعدَمون بالكهرباء طوال الوقت. كان يلعب معهم بالكروت، أو يقرأ لهم مقاطع من الإنجيل بصوتٍ مسموعٍ، أو أيًا كان ما يريدونه. وكان ذات مرَّةٍ في صُحبةِ رَجُلٍ أبيض اسمه ليروي چويس".

بينما تحدَّثت، صدرت عن زيِّ بوني لَمَعَةٌ باهتةٌ غريبة مُريبة؛ ذلك لأن رِداءها كان مُفَعَّمًا بكيمائيات فلورِسنتيَّة. وكذا كانت سُرَّةُ السَّاقِي، والأقنعة الإفريقية على الحوائط. تَبْرُقُ تلك الكيمائيات مثل لافِتةٍ كهربيَّةٍ عندما تنعكس عليها أضواءُ الأشعَّة فوق البنفسجية القادمة من السقف. لم تكن هذه الأضواء تعمل قبل قليل، يُشغِّلها الساقِي في أوقات عشوائية، على حسب مزاجه؛ لتعطي الزبائن إحساسًا مُفاجئًا بالبهجة والغموض.

الطاقة التي تُغذِّي تلك الأضواء وكل ما يعمل بالكهرباء في ميدلاند، كان مَصْدَرُها، بالصدفة، الفَحْمَ القادِمَ من المناجم السُّطحيَّة في غرب فرجينيا، التي عبرها كيلجور تراوت قبل ساعاتٍ ليست بالكثيرة.

* * *

تَبَاعَت بُونِي: "كَانَ لِيُرُوِي چُوِيَس شَدِيدَ الحِمَاقَةِ، إِلَى حَدِّ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعَ لَعِبَ الكُرُوتِ، وَلَمْ يَفْهَمِ الإِنجِيلَ، كَانَ حَتَّى يَتَحَدَّثُ بِصُعُوبَةٍ. تَنَاوَلَ عَشَاءَهُ الأَخِيرَ، ثُمَّ جَلَسَ سَاكِنًا. جُرِمَتُهُ كَانَتْ الاغْتِصَابَ. هَكَذَا جَلَسَ زَوْجِي فِي المَمَرِّ خَارِجَ الزَّنَانَةِ، وَأَخَذَ يَقْرَأُ لِنَفْسِهِ. سَمِعَ لِيُرُوِي يَتَحَرَّكَ فِي أَرْجَاءِ زَنَانَتِهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَقْلُقْ بِشَأْنِ ذَلِكَ. ثُمَّ خَبَطَ لِيُرُوِي عَلَى قَضْبَانِ زَنَانَتِهِ بِكُوبِهِ الصَفِيحِ. حَسَبَ زَوْجِي أَنَّ لِيُرُوِي أَرَادَ مَزِيدًا مِنَ القَهْوَةِ؛ فَهَضَّ وَأَخَذَ الكُوبَ. ابْتَسَمَ لِيُرُوِي وَكَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ، وَكَأَنَّهُ غَيْرُ مُضْطَرِّ لِلجُلُوسِ عَلَى الكُرْسِيِّ الكَهْرِبَائِيِّ فِي النَهَايَةِ. كَانَ لِيُرُوِي قَدْ قَطَعَ شَيْئَهُ وَوَضَعَهُ فِي الكُوبِ الصَفِيحِ".

* * *

هَذَا الكِتَابُ خَيَالِيٌّ بِالطَّبْعِ، لَكِنَّ القِصَّةَ الَّتِي حَكَتْهَا بُونِي حَدَّثَتْ فِي الوَاقِعِ، فِي عَنَبِ المَحْكُومِ عَلَيْهِمُ بِالإِعْدَامِ بِإِصْلَاحِيَّةٍ فِي أُرْكُنَسَاسِ. أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِسَبَارِكِي كَلْبِ دَوَايِنِ، الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ هَزُّ ذَيْلِهِ: يَعُودُ أَسْلَ سَبَارِكِي إِلَى كَلْبٍ يَمْتَلِكُهُ شَقِيقِي، مُضْطَرًِّ لِلعِرَاكِ طَوَالَ الوَقْتِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ هَزُّ ذَيْلِهِ. هُنَاكَ كَلْبٌ مِثْلُ هَذَا بِالفِعْلِ فِي الحَقِيقَةِ.

* * *

طَلَبَ رَابُو كَارَابِكِيَانِ مِنْ بُونِي مَكْمَاهُونَ أَنْ تُخْبِرَهُ عَنِ الفِتَاةِ المُرَاهِقَةِ المَوْجُودَةِ عَلَى غِلاَفِ بَرنامِجِ مَهْرَجَانِ الفَنُونِ. تَلَكُ كَانَتْ الإِنْسَانَةَ الوَحِيدَةَ فِي مِيدَلَانْدِ المَعْرُوفَةِ عَلَى مَسْتَوَى العَالَمِ: مَارِي أَلِيَسِ مِيلِرَ، بَطْلَةُ العَالَمِ فِي سَبَاحَةِ الصُّدْرِ لِمَا تَتِي مِتْرٍ. كَانَتْ فِي الخَامِسَةِ عَشْرَةَ بِحَسَبِ مَا قَالَتْ بُونِي.

مكتبة
t.me/t_pdf

كانت ماري أليس أيضًا مَلَكةَ مهرجانِ الفنون. ظهرت في غلاف البرنامج ترتدي بذلةً سِباحةً بيضاء، وحول عنقها تتدلَّى ميداليَّتها الأولمبية الذهبية. تبدو الميدالية كتلك:



ابتسمت ماري أليس في الصورة أمام لوحة القديس سيباستيان للرَّسام الإسباني إل جريكو. كان إليوت روزوتر، راعي كيلجور تراوت، قد أعارها للمهرجان. القديس سيباستيان كان جنديًا رومانيًا عاش قبل ماري أليس ميلر وواين ودواين وبقيةتنا بسبعمئة سنة. تحوّل سرًّا إلى المسيحية حينما كانت ممنوعة قانونًا.

ثم وشى أحدهم به. جعل الإمبراطور ديوكليانوس الرُّماة يُمطرونه بالأسهم. اللوحة التي ابتسمت لها ماري أليس بسعادة مُنقطعة النظر، أظهرت إنسانًا مليئًا بالأسهم إلى حدٍّ أنه بدا كالقنفذ.

الشيء الذي لا يعرفه أحدٌ عن القديس سيباستيان تقريبًا -هما أن الرِّسامين أحبُّوا رشقهً بأسهمٍ كثيرةٍ- أنه نجا من الحادثة. بل إنَّه في الواقع صار بخير.

صار يهيمُ على وجهه في روما، يمدحُ المسيحيَّةَ، ويشتمُّ الإمبراطور، حتى حُكِمَ عليه بالموت مرَّةً ثانية. ضربوه بالعِصِيّ حتى مات هذه المرَّة.

وما إلى ذلك.

وأخبرت بوني مكماهون بياتريس وكارابكيان أن والد ماري أليس، الذي كان عضوًا في لجنة إطلاق السراح المشروط في شيردزتاون، علّم ماري أليس العومَ منذ كان عمرها ثمانية أشهر، وأنه جعلها تسبح ما لا يقلُّ عن أربع ساعات في اليوم، كل يوم، منذ كانت في الثالثة. فكّر رابو كارابكيان في الأمر، ثم قال بصوتٍ مسموعٍ حتى يستطيع الكثيرون سماعه: "أي نوع من الرجال ذلك الذي يُحوّل ابنته إلى قارب بخاري؟".

* * *

والآن حانت الدُرُوهُ الرُوحِيَّةُ لذلك الكتاب. فجأة، عند تلك النقطة، أتبدّل، أنا المؤلّف، بفضلي ما فعلته حتى الآن. لهذا السبب جئتُ إلى ميدلاند: لأولد من جديد. بوضع تلك الكلمات على لسان رابو كارابكيان: "أي نوع من الرجال ذلك الذي يُحوّل ابنته إلى قاربٍ بخاري؟"، أعلنت الفوضى أن الوقت قد حان لولادة (أنا جديد).

ملحوظة صغيرة مثل تلك كان لها عواقبُ عاصفة؛ لأنّ المصفوفة الرُوحِيَّة للبار في ذلك الوقت كانت فيما أُجِبُ تسميته بحالة ما قبل الزلزال. كانت هناك قُوَى هائلةٌ تفور في أرواحنا، لكنها لم تكن قادرةً على التأثير؛ لأنّ كلاً منها وازنت الأخرى في تناغمٍ دقيقٍ.

لكنّ سقوطَ حَبَّةِ رَمَلٍ واحدة، أعطى لقُوَّةً أفضلِيَّةً هائلةً على غيرها، وشرّعت القارّاتُ الرُوحِيَّةُ في الخبطِ والطحن.

إحدى القوى بالطبع كانت شهوة المال، تلك التي كانت تُعشش في قلوب كثيرين في ذلك البار. عرفوا جميعًا بما تلقى رابو كاربكيان ثمنًا للوَحْتِه، وأراد كُلُّ منهم خمسين ألف دولار أيضًا. يمكن أن يحظى المرءُ بكثيرٍ من الوقت الطَّيِّب بخمسين ألف دولار، أو هكذا حسبوا. لكن كان عليهم كَسْبُ المال بالطريقة الصَّعبة، حفنة دولارات في كُلِّ مَرَّة. لم يكن ذلك من الإنصاف.

ومن القوى العامِلة الأخرى كانت خَوْفُ هؤلاء الناس أنفسهم من أن تصبح حياتهم مادةً للسُّخرية، من أن تُصبح كَامِلُ مَدِينَتِهِمْ مادةً للسُّخرية. والآن قد حدث الأسوأ: ماري أليس ميلر، الشيء الوحيد في المدينة الذي يُفترَضُ به أن يكون مُضادًا للسُّخرية، قد سَخِرَ منه غريبٌ عن المدينة بسهولة.

ويجب الأخذُ في الاعتبار أني أيضًا كنت في حالةٍ ما قبل الزَّلزال، بما أني مَن كُنْتُ أولدُ من جديد. لا أحدَ غيري في البار كان يولدُ من جديدٍ بحسب معرفتي. أمَّا البقية، فقد تَغَيَّرَ رأيُ بعضهم عن قيمة الفنِّ الحديث.

فيما يَخْضُنِي: فقد وَصَلْتُ للقناعة أن لا شيءَ بخصوصي أو بخصوص أيِّ إنسانٍ مُقدَّس، أننا جميعًا آلات، كُتِبَ علينا التَّصادمُ، والتَّصادمُ، والتَّصادمُ. وبِسَعِينَا الدَّائِم لإيجاد شيءٍ أفضلَ نَفَعْلُهُ، صرنا مُولَعين بالتَّصادمُ. أحيانًا، أكتب عن التَّصادمُ جيِّدًا، أي أني أصير آلةً كِتَابَةَ تَعْمَلُ جيِّدًا، وأحيانًا أكتب سيئًا، أي أني أصير آلةً كِتَابَةَ سيئة. لم أحوُ في داخلي أيَّ قداسةٍ أكثرَ ممَّا قد تحوي سيارَةُ بونتياك أو فَخُ فِئرانٍ أو خراطَةُ حَدِيد.

لم أتوقَّع من رابو كارابكيان أن يُنقِذَنِي. أنا مَن خَلَقْتُهُ، وكان رأيي فيه أنه تافِهٌ ضَعِيفٌ قَمِيءٌ، وليس فَنَّاًا على الإطلاق. لكن رابو كارابكيان هو مَن جعلني الكائنَ الأرضيَّ المُطْمَئِنِّ الذي أنا عليه اليوم.

قال لبوني مكماهون: "أي نوع من الرجال ذلك الذي يُحوّل ابنته إلى قاربٍ بُخاريّ؟".

انفَجَرَت بوني مكماهون. تلك كانت أوّل مرّة تنفجر فيها منذ جاءت لتعمل في البار. تحوّل صوتها إلى ضوضاء مُزعجةٍ وعالية مثل تلك التي يُصدِرُها منشأٌ صناعيٌّ يقطعُ القصدير المُجَلَّفَن. قالت: "فعلًا؟ فعلًا؟".

تجمّد الجميع. توقّف باني هوثر عن عزف البيانو. لم يرغب أيُّ شخص في أن تفتوه كلمة.

قالت: "لا تُعجِبُكَ ماري أليس ميلر؟ طيّب، نحن لا تعجبنا لَوْحَتُكَ. أنا رأيتُ لوحاتٍ أفضل بكثيرٍ رَسَمَهَا أطفالٌ في الخامسة من العمر".

انزلق كارابكيان عن مقعده على المَشْرَبِ حتى يستطيع مُواجهَةَ كُلِّ هؤلاء الأعداء المُصطَفِّين أمامه. فاجأني بِفِعْلِهِ دون شكٍّ. اعتقدتُ أنه سيتراجع إلى ملجأ الزيتون وكريز الماراشينو وحلقات الليمون. لكنّ وَقَفْتَهُ كانت مَهيبَةً. قال بهدوء شديد: "اسمعوا، لقد قرأتُ المقالة الافتتاحية في قَدْحِ لَوْحَتِي بجريدَتِكُم المُبجَّلَة، وقرأتُ كُلَّ كلمةٍ في رسائل الكراهية، التي كان بعضكم كريمًا كفايةً لإرسالها إليّ في نيويورك".

أخرج ذلك البَعْضَ.

تابع كارابكيان: "لم تَكُن اللّوْحَةُ مَوْجُودَةً حتى صَنَعْتُهَا. الآن، وقد صارت مَوْجُودَةً، لا شيء سَيُسْعِدُنِي أكثر من أن يُنتَجَهَا مُجددًا مرّةً تلوَ أخرى، ويُحَسِّنُهَا أكثر وأكثر، كُلُّ أبناء الأعوام الخمس في مدينتكم. كم سأحبُّ أن يَجِدَ أبناؤكم، بِيسرٍ ومُتَعَةٍ، ما استغرق مِنِّي أعوامًا من الغَضَبِ عِدَّة لأصل إليه".

تابع: "الآن، أُقسِمُ لكم بشرفي، أن اللوحة التي تَمَلِكُهَا مَدِينَتُكُمْ تَعْرِضُ كُلَّ ما له أَهْمِيَّةٌ في هذه الحياة، دون أن تُهْمَلَ شَيْئًا واحدًا. إنها لَوْحَةٌ عن وَعْيِ كُلِّ حيوان، إنها الجَوْهَرُ اللا-مادِّيُّ لكل حيوان، "الذات" المُرْسَلُ إليها كُلُّ الرسائل، إنها كُلُّ ما هو حَيٌّ في كُلِّ مَنَّا: في الفأر وفي الغزال وفي نادلة البار. إنها الثَّبَاتُ والنَّقَاءُ، في مُوَاجَهَةِ كُلِّ ما يصيبنا من عَبَثٍ ولا منطق. صورة مُقَدَّسَةٌ للقِدِّيس أنطونيوس وحده، هي شعاعُ نورٍ رأسيٍّ واحدٌ لا يَتَذَبَدَّبُ. لو كان ثَمَّةَ صُرُورٍ بالقرب منه، أو نادِلَةٌ بار؛ كانت اللَوْحَةُ سَتَعْرِضُ شُعَاعِي نُورٍ الواعي هو كل ما هو حَيٌّ وكُلُّ ما هو مُقَدَّسٌ في أيِّ مَنَّا. كُلُّ شيءٍ عداه فينا ليس إِلَّا آلاَتِ مَيِّتَةٍ".

"سَمِعْتُ لِتَوَيٍّ من نادلة البار هنا، تلك الشُّعاعِ الرَّأسيِّ من النور، قِصَّةٌ عن زوجها وأحمقٍ ما كان على شَفَا الإعدام في شيردزتاون. لا بأس، لِيَرْسَمَ طفلٌ في الخَامِسَةِ تَفْسِيرًا مُقَدَّسًا لذلك اللقاء. لِنَدْعُ طِفْلًا في الخَامِسَةِ يُجَرِّدُهُ من الحَمَاقَةِ والقَضبانِ وانتظارِ الكرسيِّ الكهربائيِّ وزِيِّ الحارسِ ومُسَدَّسِ الحارسِ ولحمٍ وعظامِ الحارس. ما هي اللوحةُ الكاملة التي يستطيعُ أيُّ طِفْلٍ في الخَامِسَةِ رَسَمَهَا هنا؟ شُعَاعًا نوريًّا لا يتذبذبان".

ازدهر الوجهُ البَربريُّ لرابو كارابكيان بالنَّشوة. قال: "يا أهلَ مدينة ميدلاند، أنا أُحْيِيكُمْ؛ فقد باتت مدينتُكم بيتًا لِتُحْفَةٍ فَنِيَّةٍ".

بالصُّدْفَةِ، لم يبلغ دواين هوغر أيًّا من ذلك؛ فقد كان لا يزال مُنَوِّمًا مغناطيسيًّا، تائهاً في أعماقه. كان يُفَكِّرُ في أصابع الدهر المُتحرِّكة التي تكتب ولا تزال تكتب، وما شابهة. كانت هناك خفافيشٌ في بُرْجِ أَجْرَاسِهِ، كان يَقَعُ من مقعده الهَرَّازِ، كانت أضواؤه مُضَاءَةً، لكن لا أَحَدًا بالدَّاخلِ.

20

بينما كانت حياتي تتجدد بكلمات رابو كارابكيان، وجد كيلجور تراوت نفسه يقف على حافة الطريق السريع، يحدق في الهوليداي إن الجديد، الذي يفصله عنه شوجر كريك في حوضه الأسمنتي. لم تكن هناك كباري فوق الجدول. سيكون عليه أن يخوض.

هكذا جلس على الحاجز، خلع حذاءه وجوربه، شمّر بنطاله حتى ركبتيه. ساقاه كانتا مزيّنتين بعروقٍ وندباتٍ متعدّدة، وكذا كانت ساقا أبي عندما كان شيخًا عجوزًا.

أعطيتُ كيلجور تراوت سيقان أبي، هديّة مني. ومَنَحْته أقدام أبي أيضًا، التي كانت أقدامًا طويلة نحيفة حسّاسة. كانت لازوردية. كانت أقدامًا فنيّة.

أَنْزَلَ تَرَاوَتْ أَقْدَامَهُ الْفَنِّيَّةَ فِي الْحَوْضِ الْأَسْمَنْتِيِّ الَّذِي يَمُرُّ فِيهِ شَوْجَرُ كَرِيكَ. مَا أَنْ فَعَلَ، حَتَّى غَلَفَتْ قَدَمَيْهِ مَادَّةً بِلَاسْتِيكِيَّةٍ شَفَافَةً مِنْ عَلَى سَطْحِ الْجَدُولِ. عِنْدَمَا رَفَعَ أَحَدَ قَدَمَيْهِ مِنَ الْجَدُولِ مُتَفَاجِئًا، جَفَّتِ الْمَادَّةُ الْبِلَاسْتِيكِيَّةُ فِي الْهَوَاءِ فَوْرًا، لِتَصْبِحَ قَدَمُهُ مَكْسُوءَةً بِحِذَاءِ رَفِيعٍ مَشْدُودٍ عَلَى الْجِلْدِ، يُشْبِهُ عَرَقَ اللَّوْلُؤِ. كَرَّرَ نَفْسَ الْعَمَلِيَّةِ مَعَ قَدَمِهِ الْأُخْرَى.

مَصْدَرُ الْمَادَّةِ كَانَ مَصْنَعٌ بَارِيْتَرُونَ. كَانَتْ الشَّرْكَةُ تُصْنَعُ نَوْعًا جَدِيدًا مِنَ الْقَنَابِلِ الْمُضَادَّةِ لِلْبَشَرِ لِصَالِحِ الْقُوَّاتِ الْجَوِّيَّةِ. تَبَعِثُ الْقُنْبَلَةُ كُرِّيَّاتٍ بِلَاسْتِيكِيَّةً عِوَضًا عَنِ الْكُرِّيَّاتِ الْمَعْدِنِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْبِلَاسْتِيكَ أَرْخَصٌ. كَانَ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ تَحْدِيدُ مَوْقِعِهَا فِي أَجْسَادِ الْمُصَابِينَ بِهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ بِأَلَاتِ الْأَشْعَّةِ السَّيْنِيَّةِ.

لَمْ تَمْلِكْ بَارِيْتَرُونَ أَدْنَى فِكْرَةٍ عَنْ أَنَّهَا تَرْمِي مُخْلَفَاتِهَا فِي شَوْجَرِ كَرِيكَ. كَانَتْ قَدْ اسْتَأْجَرَتْ شَرْكَةَ مَارِيْتِيْمُو بَرُورَزْزِ لِلْمَقَاوِلَاتِ، وَالَّتِي تُسَيِّطِرُ عَلَيْهَا الْعَصَابَاتِ، لِتَبْنِي لَهَا نِظَامًا لِلتَّخْلُصِ مِنَ الْمُخْلَفَاتِ. عَرَفُوا أَنَّهَا شَرْكَةُ عَصَابَاتِ، عَرَفَ الْكُلُّ ذَلِكَ. لَكِنْ مَارِيْتِيْمُو بَرُورَزْزِ -عَادَةً- أَفْضَلُ بَنَائِينَ فِي الْمَدِينَةِ. فَهَمْ -مَثَلًا- مَنْ بَنَوْا بَيْتَ دَوَايْنِ هَوْفَرِ، وَالَّذِي كَانَ بَيْتًا مَتِينًا.

لَكِنِّهَا بَيْنَ كُلِّ حِينٍ وَحِينَ كَانَتْ تَفْعَلُ شَيْئًا شَدِيدَ الْإِجْرَامِ: نِظَامُ بَارِيْتَرُونَ لِتَصْرِيْفِ الْمُخْلَفَاتِ مِثَالُ عَلَى ذَلِكَ. كَانَ بَاهِظَ التَّكْلِفَةِ، وَبَدَأَ شَدِيدَ التَّعْقِيدِ وَالْإِحْكَامِ. لَكِنَّهُ فِي الْوَاقِعِ لَمْ يَكُنْ سِوَى كَوْمَةٍ مِنَ الْخُرْدَةِ الْمُتَّصِلَةِ بِبَعْضِهَا بِكُلِّ الطَّرِيقِ الْمُمْكِنَةِ، تَخْفِي دَاخِلَهَا مَسَارًا مُسْتَقِيمًا عِبَارَةً عَنِ مَاسُورَةِ مَجَارِي مَسْرُوقَةٍ، تَصِلُ مَبَاشَرَةً بَيْنَ بَارِيْتَرُونَ وَشَوْجَرِ كَرِيكَ.

سَتَغَضُّبُ بَارِيْتَرُونِ أَشَدَّ الْغَضَبِ عِنْدَمَا تَعْرِفُ كَمَّ التَّلَوُّثِ الَّذِي سَبَّبْتَهُ. عَلَى مِدَارِ تَارِيخِهَا، كَانَتْ تَحَاوُلُ دَوْمًا أَنْ تَكُونَ مِثَالًا لِلشَّرْكَةِ الْوَطْنِيَّةِ الصَّالِحَةِ، مَهْمَا كَانَ الثَّمَنُ.

* * *

عَبْرَ تَرَاوَتِ الْآنِ الْجَدُولِ عَلَى سَاقِي وَقَدَمَيَّ أَبِي، وَفِيْمَا هُوَ يَقْطَعُهُ بِخَطَوَاتٍ وَاسِعَةٍ، أَخَذَتْ تِلْكَ الزَّوَائِدُ الْبِلَاسْتِيكِيَّةُ تُشْبِهُ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ الْأَصْدَافِ الْبَحْرِيَّةِ. حَمَلَتْ مُتَعَلِّقَاتِهِ وَحِذَاءَهُ وَجَوْرَبَهُ عَلَى رَأْسِهِ، رَغْمَ أَنْ الْمَاءَ لَمْ يَكْدِ يَصِلُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ.

عَرَفَ تَرَاوَتِ إِلَى أَيِّ مَدَى يَبْدُو مَسْخَرَةً. تَوَقَّعَ اسْتِقْبَالَ كَرِيهًا، حَلْمَ بِأَحْرَاجِ الْمَهْرَجَانِ حَتَّى الْمَوْتِ. لَقَدْ قَطَعَ كُلَّ تِلْكَ الْمَسَافَةِ سَعِيًّا إِلَى حَفْلَةٍ مَاسُوشِيَّةٍ جَمَاعِيَّةٍ. أَرَادَهُمْ أَنْ يُعَامِلُوهُ كَمَا الصَّرْصُورُ.

* * *

كَآلَةٍ، مَوْقِفُهُ كَانَ مُعَقَّدًا وَحَزِينًا وَمُثِيرًا لِلضَّحْكِ. لَكِنَّ الْجُزْءَ الْمُقَدَّسَ مِنْهُ، أَيَّ وَعِيهِ، ظَلَّ شُعَاعَ نَوْرٍ لَا يَتَذَبذَبُ.

وَهَذَا الْكِتَابُ تَكْتَبُهُ آلَةٌ مِنَ اللَّحْمِ بِالتَّعَاوُنِ مَعَ آلَةٍ مِنَ الْحَدِيدِ وَالبِلَاسْتِيكِ. هَذَا الْبِلَاسْتِيكِ كَانَ بِالْصُّدْفَةِ ذَا صِلَةٍ قَرَابَةٍ بِالمَادَّةِ اللَّزْجَةِ فِي شُوجَرِ كَرِيكِ. وَفِي جَوْهَرِ آلَةِ الْكِتَابَةِ اللَّحْمِيَّةِ يَكْمُنُ شَيْءٌ مُقَدَّسٌ: شُعَاعُ نَوْرٍ لَا يَتَذَبذَبُ.

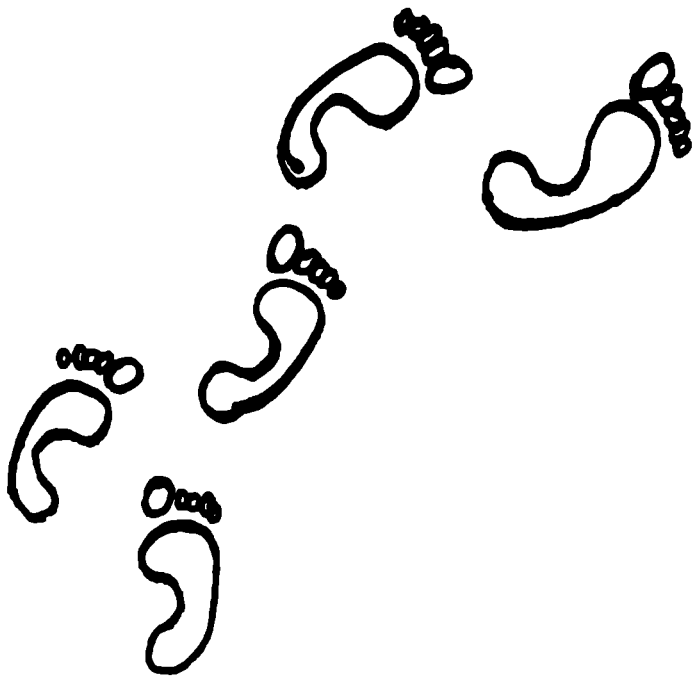
فِي جَوْهَرِ كُلِّ شَخْصٍ يَقْرَأُ هَذَا الْكِتَابَ شُعَاعُ نَوْرٍ لَا يَتَذَبذَبُ.

رَنْ جَرَسُ شَقَّتِي فِي نِيُويُورْكِ الْآنِ. أَعْلَمُ مَاذَا سَأَجِدُ عِنْدَمَا أَفْتَحُ الْبَابَ: شُعَاعَ نَوْرٍ لَا يَتَذَبذَبُ.

بَارَكَ الرَّبُّ فِي رَابُو كَارَابِكِيَانِ!

* * *

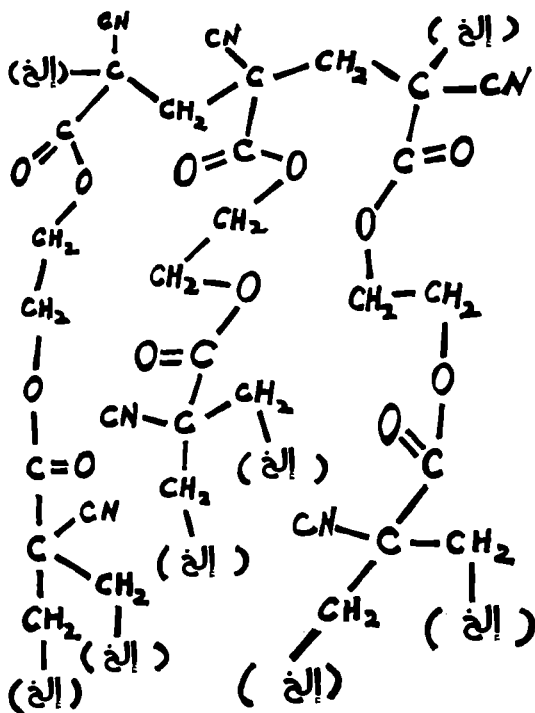
اسْمَعْ: تَسَلَّقُ تَرَاوَتْ خَارِجًا مِنْ الْحَوْضِ إِلَى الصَّحْرَاءِ الْأَسْفَلِيَّةِ،
الَّتِي هِيَ سَاحَةٌ أَنْتَظَرُ السَّيَّارَاتِ. كَانَتْ خُطُّهُ هِيَ دُخُولَ لُؤَيْ
الْفَنْدَقِ بِقَدَمَيْهِ الْعَارِيَتَيْنِ، لِيَتْرَكَ آثَارَ أَقْدَامٍ عَلَى السُّجَّادَةِ تَبْدُو كَتَلِكِ:



وَرَأَى فِي خِيَالِهِ أَنْ أَحَدَهُمْ سَيَثُورُ لِمُرَآئِ آثَارِ الْأَقْدَامِ؛ مَا سَيُعْطِيهِ
فُرْصَةً لِلرَّدِّ بَعْظَمَةٍ: "مَا الَّذِي يُزَعِّجُكَ؟ أَنَا بِبَسَاطَةٍ أَسْتُخْدَمُ أَوَّلَ آلَةٍ
طَبَاعَةٍ عَرَفَهَا الْإِنْسَانُ. أَنْتِ تَقْرَأُ الْآنَ بِحُرُوفٍ عَرِيضَةٍ رِسَالَةَ كَوْنِيَّةً
تَقُولُ: "أَنَا هُنَا، أَنَا هُنَا، أَنَا هُنَا"."

* * *

لكن تراوت لم يكن آلة طباعة متحركة. لم تترك أقدامه آثاراً على السجادة؛ لأنها كانت مغطاة بالبلاستيك، والبلاستيك كان جافاً. تلك هي البنية الجزيئية للبلاستيك:



تتابع الجزيئات تكرر نفسها بتلك الطريقة إلى ما لا نهاية، لتكون لوحاً متيناً لا يختر الماء.

ذلك الجزيء كان هو الوحش ذاته الذي هاجمه التوأمان أخوة دواين غير الأشقاء: لایل وكایل، بنادقهم الخرطوشية الآلية. ذلك كان ما يدمر كهف المعجزة المقدسة.

الرجل الذي عَلَّمَنِي كيف أرسم مقطعًا من البنية الجزيئية
للبلاستيك هو بروفيسور والتر إتش. ستوكماير من كلية دارتموث.
عالمُ كيمياء فيزيائية مميّز، وصديق مُمتِعٌ ومفيد. لم أختلقه. أتمنّى
لو كنتُ بروفيسور والتر إتش. ستوكماير؛ فهو عازفُ بيانو رائعٌ،
ويتزكجُ بخِفّة الحُلم.

وعندما رسم شكلاً معقولاً للجزيء، أشار إلى نقاط بعينها حيث
سيتابع البناء التكرار، أشرتُ أنا إليها باختصارٍ يعني التشابه بلا نهاية.
يبدو لي أن النهاية المناسبة لأي قصة - بما أن الحياة باتت الآن مُركَّبًا
"بوليمريًا" يُغلف الأرض بإحكام- يجب أن تكون الاختصار ذاته، الذي
أكتبه الآن بحروفٍ ضخمَةٍ كتلك؛ لأنّي أريد فعلَ ذلك:

الغ!

ومن أجل الاعتراف باستمرارية هذا البوليمر، أبدأ كثيرًا من جملي
بـ "و" و"هكذا"، وأنهى العديد من الفقرات بـ "... وما إلى ذلك".
وما إلى ذلك.

قال دوستويفسكي: "إن الكون أشبه ببحرٍ جميعُ أجزائه مُتصلة"،
وأنا أقول: إن الكون أشبه بالسيلوفان.

هكذا دخل تراوت لوبي الفندق كآلة طباعة بلا حبر، لكنه يبقى مع ذلك أكثر البشر الذين دخلوا الفندق شذوذًا.

في كل مكان حوله كان يوجد ما يسميه بقيّة الناس بالمرايا، ويسمّيه هو بالمسالك. الحائط الذي يفصل بين اللوبي والبار كان مسلّكًا كبيرًا، ارتفاعه عشر أقدام، وطوله ثلاثين قدمًا. على آلة بيع السجائر كان يوجد مسلك آخر، وآخر على آلة بيع الحلوى. وعندما نظر تراوت عبرهم ليرى ماذا يحدث في الكون الآخر، رأى كائنًا عجوزًا قديرًا أحمر العينين، عاري القدمين، بنطاله مرفوع حتى ركبتيه.

وفيما صدف، الشخص الوحيد عداه في اللوبي وقتها كان موظف الاستقبال، الشاب الجميل ميلو ماريتيمو. ملابس ميلو وبشرته وعيناه كانوا بكل ألوان الزيتون الممكنة. كان خريجًا لكلية كورنيل للفنادق، وكان الحفيد مثلي الجنس لجيليمو "ليتل ويلي" ماريتيمو، الحارس الشخصي لرجل عصابات شيكاغو الشهير آل كابون.

قدم تراوت نفسه لذلك الشاب نقي السريرة، واقفًا أمام مكتبه بقدمين عاريتين متباعدتين، وذراعين مفرودتين. قال لميلو: "ها قد جاء رجل الثلج المعقن. لو كنت تراني أقل نظافة من أغلب رجال الثلج المعقنين؛ فذلك لأنهم خطفوني طفلًا من سهول جبل إفرست، وأخذوني عبدًا إلى ماخور في ريو دي جانيرو، حيث ظللت أنظف أقذر المراهيض طوال الأعوام الخمسة عشر المنقضية. صرخ ذات مرّة أحد زوّار غرفة الكرابيج عندنا، في مزيج من العذاب والنشوة، أن هناك مهرجان فنون بمدينة ميدلاند. فهربت بحبل من ملاءات سلّة الغسيل القذرة. وها قد جئت إلى مدينة ميدلاند لتعرفوا بي، قبل أن أموت، كفتانٍ عظيم، مثلما أوّمن أي كذلك".

"مستر تراوت"، حَيَّا ميلو ماريتيمو تراوت بافتتان جَلِيًّا، قال بسعادة باهرة: "كنتُ لأعرفُكَ لو رأيتُكَ في أيِّ مكان، أهلاً بِكَ في ميدلاند، كم نحن بحاجة إليك".

قال كيلجور تراوت: "كيف عرَفْتَنِي؟". لم يعرف أحدٌ كيلجور تراوت من قبل قَطُّ.

قال ميلو: "لا يمكن أن تكون شخصًا آخر".

انكمش تراوت، انهزم. تدلَّت ذراعاه فبدا كِطْفِلٍ. قال: "لم يعرفني أحدٌ من قبل قَطُّ".

قال ميلو: "أعرف ذلك، نحن مَنْ اكتشفناك، ونتمنَّى أن تكون مَنْ يكتشِفُنَا. لن تبقى مدينةُ ميدلاند بعد ذلك معروفةً كَمَوْطِنِ ماري أليس ميلر، بَطْلَةِ العَالَمِ في سباحة الصدر لمائتَيْ مِتر، فقط. ستُصَبِحُ كذلك أوَّلَ مَدِينَةٍ تَعْتَرِفُ بِعَظَمَةِ كيلجور تراوت".

ابتعد تراوت عن مكتب الاستقبال وجلس على أريكةٍ مُزَخْرَفَةٍ إسبانيَّة الطراز. اللوبي كُلُّهُ كان على الطَّرَازِ الإسباني، عدا آلات البيع.

قال ميلو عند هذه النقطة جُمْلَةً من برنامج تليفزيونيٍّ كان شائعًا قبل عِدَّةِ سنوات. لم يَعُدِ البرنامج يُعْرَضُ الآن، لكن لا يزال أغلبُ النَّاسِ يتذكَّرون تلك الجملة. أغلبُ المُحَادَثَاتِ في هذا البلد تتكوَّنُ من جُمَلٍ تليفزيونية، من برامجٍ حَالِيَةٍ أو قَدِيمَةٍ على حَدِّ سَوَاء. البرنامج الذي اقتبس منه ميلو الجُمْلَةَ كانوا يأتون فيه بشَخْصِ عَجوز، عادةً ما يكون شهيرًا نوعًا، إلى ما تبدو وكأنها عُرفَةٌ عَادِيَّةٌ، لكنها في الحقيقة منصَّةٌ مَسْرَحٍ، أمامها جمهورٌ، وتختبئ في أرجائها الكاميرات. ويختبئ في الأنحاء أيضًا أشخاصٌ عرفوا ذلك الشَّخْصَ في الماضي، يخرجون لاحقًا ليحكوا عنه الحكايات.

قال ميلو الآن لتراوت ما كان ليقوله المُشرفُ على الطقوس لو كان تراوت في البرنامج والستائرُ ترتفعُ أمامه: "كيلجور تراوت، هذه هي حياتك".

* * *

عدا أنه لم يكن هناك أيُّ جمهورٍ أو ستائر أو أي من ذلك. والحقيقة أن ميلو ماريتيمو كان الشَّخصَ الوحيدَ في ميدلاند الذي يعرف أيَّ شيءٍ عن كيلجور تراوت. اعتقاده أن الطبقةَ الرَّاقيةَ في مدينة ميدلاند تشعر بنفس حَماسِه حِيالَ أعمالِ تراوت كان تفاعلاً زائداً عن الحدِّ. "نحن جاهزون للنهضة يا مستر تراوت، وأنت ليوناردو نَهَضتِنَا".

قال تراوت مذهولاً: "كيف استطعتَ أن تَسْمَعَ عَنِّي؟".

قال ميلو: "إبَّانَ تَحْضيري لنهضة ميدلاند، جَعَلْتُ شُغلي الشَّاغلَ قراءةَ كُلِّ ما كتبه الفنَّانون القادمون إلينا، وكُلُّ ما كُتِبَ عنهم". اعترض تراوت: "لا يوجد شيءٌ لي أو عَنِّي في أي مكان".

جاء ميلو من خلف مكتبه، وحمل معه ما بدا وكأنه كُرَّةُ بيسبول قديمة غير مُتجانسة، ملفوفة بكلِّ أنواع الأشرطة اللاصقة. قال: "عندما لم أستطع إيجاد أيِّ شيءٍ عَنكَ؛ كتبتُ إلى إيوت روزوتر، الرَّجُلُ الذي قال إن علينا إحضارك إلى هنا. لديه مجموعته الخاصَّةُ من أعمالِكَ يا مستر تراوت، 41 رواية و36 قصة قصيرة. سمح لي بقراءة تهم كُلِّهم". ثم رفع الشيء الذي يبدو ككُرَّةِ بيسبول، الذي كان في الواقع أحدَ كُتُبِ مَجْموعَةِ روزوتر. استخدم روزوتر لمكتبته من الخيال العلمي كان مُهلِكاً. قال: "ذاك هو الكتاب الوحيد الذي لم أَنههِ بَعْدُ، وسأفعل قبل شروق شمس الغد".

* * *

الرواية المقصودة، بالصدفة، كانت (الأرنبة الذكيّة). شخصيتها الرئيسية كانت أرنبةً وحشيّةً، تعيش مثل باقي الأرناب الوحشية، لكنها عبقرية مثل ألبرت أينشتين أو ويليام شكسبير. كانت البطلة الأنثى الوحيدة في كلّ روايات وقصص كيلجور تراوت.

مضت في حياتها مثل الأرناب العادية، برغم عبقريتها المذهلة. استنتجت أن مخرجها بلا فائدة، وأنه ورمّ من نوع ما، وأنه بلا شك لا استخدام له في نظام حياة الأرناب.

هكذا ذهبت تنطّ، هوبًا، هوبًا، إلى المدينة؛ لتستأصل الورم. لكنّ صيادًا يدعى ددلي فارو أطلق عليها النار وقتلها قبل أن تصل إلى وجهتها. سلخها فارو وانتزع أحشاءها، لكن بعدها قرّر وزوجته جريس أن من الأفضل ألا يأكلها؛ لأنّ رأسها أكبر بكثير من العادي. اعتقدًا -مثلما اعتقدت هي عندما كانت حيّة- أنها على الأرجح مريضة.

وما إلى ذلك.

كان على تراوت التغيير إلى طقم الملابس الوحيد الآخر لديه، بذلة سهرة المدرسة الثانوية والقميص الجديد وباقي الأشياء، على الفور. الجزء السفلي من بنطاله المشمّر صار مشبعًا بالمادة البلاستيكية من الجدول؛ فلم يعد بوسعها فردّه مجددًا. بات متيبسًا كغطاء مصرف المجاري.

هكذا اصطحبه ميلو ماريتيمو إلى جناحه، والذي كان عُرفتي فندق عاديّتين بينهما باب مفتوح. كان لتراوت ولكلّ الزوّار المُميّزين جناح فيه جهازا تليفزيون مُلوّنان، وحوصًا استحمام، وأربع أسرة مزدوجة مُزوّدة بأصابع سحرية. الأصابع السحرية هي هزازات كهربائية مثبتة

في زُنْبُكِ الْمَرْتَبَةِ. إِنَّ وَضَعَ الضيفَ عُمَلَةً رُبْعَ دُولَارٍ فِي صَنْدُوقِ صَغِيرٍ عَلَى الْمَائِدَةِ بِجِوَارِهِ؛ سَتَهْزَهُزُّ الْأَصَابِعُ السَّحْرِيَّةَ السَّرِيرِ.

في غرفة تراوت كان يوجد كَمٌّ من الزهور يكفي لجِنَازَةِ رَجُلٍ عَصَابَاتٍ كاثُولِيكِيٍّ. كانت الزهور من فريد تي. باري، رئيس مهرجان الفنون، ومن اتحاد النَّوَادِي النسائية في مدينة ميدلاند، ومن الغرفة التجارية، وما إلى ذلك.

قرأ تراوت الكروت التي جاءت مع الورد، وعَلَّقَ: "يبدو أن هذه المدينة تَقْفُ في ظهر الفنون بِشِدَّةٍ بلا شَكٍّ".

أغلق ميلو عيونَه الزَيْتُونِيَّةَ، قال كَمَّنَ يَسْتَعْذِبُ الْأَلَمَ: "حان الوقت يا مستر تراوت. يا ربي، كم كُنَّا مُشْتاقين طوال الوقت، دون حتى أن نَعْلَمَ إلى ماذا نتوق بالضبط". لم يكن الشابُّ الصَّغِيرُ سَلِيلًا لِعُتَاةِ الإِجْرَامِ فقط، بل كان ذا قَرَابَةٍ وَثِيْقَةٍ بِمُجْرَمِينَ نَشِطِينَ فِي مِيدْلَانْدِ الْآنَ. أصحاب شركة ماريتيمو بروزرز للمقاولات -مَثَلًا- كانوا أعمامه. جينيو ماريتيمو، ابن عمِّ أبيه، كان مَلِكُ مُخَدَّرَاتِ الْمَدِينَةِ.

* * *

في جناح تراوت تَابَعَ ميلو اللطيف: "ياااه يا مستر تراوت، عَلَّمْنَا الْغِنَاءَ وَالرَّقْصَ وَالضَّحِكَ والبكاء. لَكَمْ حَاوَلْنَا أَنْ نَحْيَا بِالْمَالِ وَالجِنْسِ وَالْحَسَدِ وَالْعَقَارَاتِ وَكُرَّةِ الْقَدَمِ وَكُرَّةِ السَّلَّةِ وَالسِّيَّارَاتِ وَالتِّلِفِيزِيُونِ وَالْكَحُولِ، وَبِنَشَارَةِ الْخَشْبِ وَفَتَايِيتِ الزُّجَاجِ!".

قال تراوت بِقَرَفٍ: "افتح عَيْنَيْكَ! هل أبدو لك كِرَاقِصٍ؟ كَمُغْنٍ؟ كَرَجُلٍ سَعِيدٍ؟". صار الآن يرتدي بذلته. كانت كبيرة جدًا عليه. فقد الكثير من وزنه منذ المدرسة الثانوية. امتلأت جيوبه بِكِرَاتِ النَّفْتَالِينِ، وَتَدَلَّتْ مِثْلَ حَقِيْبَةِ سَرَجِ الْحِصَانِ.

قال تراوت: "افتح عَيْنَيْكَ! هل سيبدو رَجُلٌ تَغْدَى على الجمالِ
مِثْلَمَا أبدو؟ أتقول إنَّ لا شيءَ عِنْدَكُمْ إِلَّا الخراب واليأس؟ لم أجلب لكم
إِلَّا المزيد".

قال ميلو بدفء: "عيناى مَفْتُوحَتان، وأرى بالضبط ما تَوَقَّعتُ
رُؤْيَتَه. أرى رَجُلًا جُرْحُه عميقٌ؛ لأنه جَرُؤٌ على عبور نيران الحقيقة
إلى الجانب الآخر، الجانب الذي لم يَرَه أحدٌ قطُّ. ثم عاد من جديد،
ليخبرنا عمَّا هناك".

* * *

وجلست هناك، في الهوليداي إنَّ الجديد، وجَعَلْتَه يختفي، ثم يَظْهَرُ
مُجَدِّدًا، ثم يختفي، ثم يظهر مُجَدِّدًا. في الواقع لم يكن هناك شيء إلا
حقلٌ واسعٌ مَفْتُوح.
زَرَعَه فَلَاحٌ بالذَّرَّة.

فَكَّرْتُ، حان وقتُ لقاء تراوت بدواين هوفر، وقت إصابة دواين
بالسُّعار.

عرفتُ كيف سينتهي هذا الكتاب. سيؤذي دواين الكثير من
الناس.

سيقضم عَقْلَه من إصْبَعِ سَبَّابَةِ كيلجور تراوت الأيمن.
ثمَّ عندها سيخرج تراوت -بعد تَضْمِيدِ جُرْحِه- إلى مدينةٍ لا
يعرفها. هناك سيُقابِلُ خالِقَه، الذي سيشرح له كُلَّ شيء.

مكتبة

t.me/t_pdf

21

دخل كيلجور تراوت البارَ. أقدامه كانت ساخنةً وكأنها تحترق. لم تكن مُحاطةً بالحذاء والجوارب فقط، لكن بالبلاستيك الشفاف أيضًا. لم تستطع التعرُّق، لم تستطع التنفُّس.

لم يره رابو كارابكيان ولا بياتريس كيدسلر يدخل، كانا في مكانهما على مشرب البيانو، يحيط بهما أصدقاء مُعجبون جُدُد. تلقى خطاب كارابكيان من الحاضرين قبولًا حسنًا. وافق الجميعُ على أن ميدلاند باتت تملكُ واحدةً من أعظم لوحات العالم.

قالت بوني مكماهون: "الآن فهمتُ. كان عليك فقط أن تشرح لنا".

قال كارلو ماريتيمو البنَّاء: "لم أكن أظنُّ أن هناك حاجةً للشرح، لكن، سبحان الله، كانت هناك أمسُ الحاجة".

آبي كوهين الجواهرجي، قال لكارابكيان: "لو جعل الفنانون من شرح أعمالهم عادةً؛ لأحبَّ الناس الفنَّ أكثر. أتدرك ذلك؟".

وما إلى ذلك.

كان تراوت متوترًا. حَسِبَ أن كثيرًا من الناس سيتلقَّونه بنفس حماس ميلو ماريتيمو المُفْرِط، ولم يكن لديه أدنى خِبرَةٍ مع أيِّ احتفاءٍ مُشابه. لكنَّ أحدًا لم يعترض طريقه. عاد مجهولًا مثلما كان دومًا. اختار مائدةً بالقرب من دواين هوفر ومنِّي، وجلس عليها. كل ما استطاع رؤيته منِّي، كان انعكاسَ لَهَبِ الشُّموعِ على مرآة نظَّارتي، مَسَلْكي.

كان دواين هوفر لا يزال غائبًا بذهنه عمَّا يحدث في البار. جلس مثل كُتْلَةٍ مُخَاطٍ، يُحدِّق في شيء ما فيَّ، لا هو هنا، ولا الآن. حرك دواين شَفْتَيْهِ فيما جلس تراوت، كان يقول شيئًا بلا صَوْتٍ، ولم يَكُنْ له أي علاقة بتراوت أو بي: "وداعًا أيها الاثنان الأزرق".

* * *

كان مع تراوت مظروفٌ من الكرتون أعطاه له ميلو ماريتيمو. احتوى المظروف على برنامج مهرجان الفنون، وخطابٍ ترحيبٍ به من فريد تي. باري رئيس المهرجان، وجدولٍ زَمَنِيٍّ بِمُناسباتِ الأسبوع المقبل، وأشياء أخرى.

حمل تراوت أيضًا نُسخةً من روايته (الآن بوسعي أن أقول). ذلك كان كتاب (القناديس المفتوحة على مصراعيها)، الذي سيأخذه دواين عمًّا قريب بجدِّية.

هكذا صار ثلاثتنا هناك. بات من المُمكن أن يحيط بنا، أنا وتراوت ودواين، مثلثٌ مُتساوي الأضلاع، طول ضلعه حوالي اثنتا عشرة قَدَمًا.

كأشعة نورٍ لا تتذبذب، كُنَّا مُنْفَصِلِينَ، نَسِمُّ بالبساطة والجمال. كآلاتٍ، كُنَّا أكياسًا مُترَهِّلةً من المواسير والكابلات القديمة، مفضلاتنا صَدِئَةٌ ودُعَامَاتنا واهية، ومدى ترابُّطنا كان لا يمكن تصديقه.

في النهاية، أنا مَنْ خَلَقْتُ دواين وتراوت، والآن تراوت على وشك دفع دواين من حافة الجنون، ودواين عمًّا قريب سيقضم طرف إصبع تراوت.

* * *

راقبنا واين هوبلر من فتحة التلصص بالمطبخ. ثم رَبَّتْ أَحَدُهُمْ على كتفه، الرجل الذي أطعمه يَطْلُبُ الآن منه الرَّحِيلَ.

هكذا هام واين هوبلر على وجهه بالخارج، ووجد نفسه بين سيَّارات دواين المُسْتَعْمَلَةَ مُجَدِّدًا. تابع مُحَادَثَتَهُ مع حركة المرور على الطريق السريع.

* * *

شَغَلَ ساقِي البار أضواء الأشعَّة فوق البنفسجية في السقف. وبما أن زِيَّ بوني مكماهون كان مُتَشَبِّعًا بمواد فُلُورِسِنْتِيَّة، توهَّج مثل لافتة كهربيَّة، وحدث المِثْلُ لِسُتْرَةِ الساقِي والأقنعة الإفريقية على الحائط. ولقميص دواين هوفر أيضًا، ولقمصان عَدَدٍ من الرجال الآخرين. ذلك كان السبب: تُغَسَّلُ تلك القمصان بمنتجات ووش-داي، التي تحتوي على موادَّ فُلُورِسِنْتِيَّة. الفكرة كانت جَعَلَ المَلَابِسِ أَكْثَرَ سَطُوعًا تحت ضوء الشمس بجعلهم فُلُورِسِنْتِيَّين.

لكنَّ الملابس نفسها في عُرْفَةٍ مُظْلِمَةٍ تحت الأشعَّة فوق البنفسجية، تصبح ساطعةً إلى درجة مُثيرة للسُّخْرية.

أضِيَّتْ أسنان باني هوفر أيضًا، بما أنه يستخدم مَعْجُونَ أسنانٍ يحتوي موادَّ فُلُورِسِنْتِيَّة، يُفْتَرَضُ بها جَعَلَ الابتسامة مُشْرِقةً في ضوء النهار. ابتسم، وبدا أن فَمَهُ مَلِيٌّ بفروع أنوار الكريسماس.

لكنَّ الأَسطَاحَ في العُرْفَةِ بلا مُنازِعِ كانَ صَدْرَ قَمِيصِ بذلة كيلجور
تراوت الجديد. تلاًأ وتألَّق، وكان لبريقه عُمُقٌ، وكأنه حقيبة من
الماس المُشعِّع.

لكن حينها انحنى تراوت إلى الأمام دون قصد؛ فالتوى معه صدرُ
القَمِيصِ المُنشَى، فصار كما لو أنه طَبَّقَ استقبال هوائيٌّ. ذلك جعل
قَمِيصَه أَقربَ إلى مصباحِ فَنارٍ، صَوَّوه مُوجَّهٌ على دواين هوقر.

أيقظ الضوءُ المُباغِثُ دواين من عَفَوَتِه. حسب أنه رُبَّما قد مات.
على أي حال يبدو أن هناك شيئاً خارقاً للطبيعة، وغَيرَ مُؤلِمٍ يحدث
الآن. ابتسم دواين مُستَقْبِلاً النورَ المُقدَّسَ بثِقَةٍ. صار مُستَعِدًّا لأيِّ شيء.

* * *

لم يكن لدى تراوت أيُّ تفسيرٍ لِلتَّحَوُّلِ المُدهِشِ في الملابس الجارية
حوله في المكان. مثل أغلب كُتَّاب الخيال العِلْمِيِّ، لم يعلم أيُّ شيءٍ
تقريباً عن العِلْمِ. لم يكن يهتمُّ بالحقائق الجامدة أكثر ممَّا يهتمُّ رابو
كارابكيان بها. هكذا لم يملك من نفسه إلاَّ الذهول.

أمَّا قَمِيصِي أنا، فلأنَّه كان قديمًا، ولطالما غُسِلَ في مغسلةٍ صينيَّةٍ لا
تستخدمُ إلاَّ صابونًا عاديًّا؛ فلم يُشعِّع.

تاه عَقْلُ دواين هوقر في صدر قَمِيصِ تراوت. مثلما تاه من قبل
في قطرات زيت الليمون المتلاثلة. تذكَّر الآن شيئًا قاله له أبوه بالتَّبَنِّي
عندما كان لا يزال في العاشرة، شيء كالتَّالي: سبب عدم وجود زواج في
شبيردزتاون.

لم تَكُنْ تلك ذكرى غير ذاتِ صلَّةٍ بالكامل. فدواين في النهاية كان
يتحدَّثُ مع بوني مكماهون، التي خسر زوجها أموالاً كثيرة في مغسلة
السيارات بشبيردزتاون. والسبب الرئيسي لفشل المغسلة هو: تحتاج

المغاسل الناجحة إلى عِمَالَةٍ رَخِيصَةٍ مُتَوَفِّرَةٍ، أَيِّ عِمَالَةٍ سَوْدَاءٍ، ولم يَكُنْ هناك زَنُوجٌ في شِيرِدزَتاون.

قال والد دواين بالتَّبَنِّي لدواين عندما كان في العاشِرة: قبل سنوات، هَجَّ الزُّنُوجُ إلى الشمال بالملايين، إلى شيكاغو وميدلاند وإنديانابوليس وديترويت. كانت الحربُ العَالَمِيَّةُ مُشْتَعِلَةً، والنَّقْصُ في العِمَالَةِ على أَشَدِّهِ، لدرجة أن حَتَّى الزنوج الذين لا يعرفون القراءة والكتابة استطاعوا الحصولَ على وظائفٍ جَيِّدَةٍ بالمصانع. صار مع الزنوج أموالٌ إلى حَدِّ ما يحدث من قبل".

تابع: "لكن في شِيرِدزَتاون، تَصَرَّفَ البِيضُ بِذَكَاءٍ سَرِيعًا. لم يريدوا أَيَّ زَنُوجٍ في مدينتهم؛ فوضعوا لافتاتٍ في الطَّرِيقِ الرَّئِيسِيَّةِ على حدود المدينة ومحطَّة القطار".

وصف والدُ دواين بالتَّبَنِّي اللافتاتِ، التي كانت تبدو كترك:



قال والد دواين: "ذات ليلة، تَرَجَلتُ أُسْرَةً زُنُوجٍ من مقطورة شَحِنٍ في شيردزتاون. رُبَّمَا لم يَرَوْا اللَّافِتَةَ، رُبَّمَا لم يَسْتَطِيعُوا قِرَاءَتَهَا، رُبَّمَا لم يُصَدِّقُوهَا. كان والد دواين بلا عَمَلٍ عندما حَكى الحِكَايَةَ لدواين بِبَهْجَةٍ بالغَةِ. كان الكسَادُ الكَبِيرُ قد بدأ لِتَوَّه. وكان ودواين قد خَرَجَا في رحلتهم الأَسْبُوعِيَّة بِسَيَّارَةِ الأُسْرَةِ، لِئِنْقِلِ القُمَامَةَ والمُخْلَفَاتِ إِلَى الرِيفِ، حَيْثُ أَلْقُوا بِكُلِّ شَيْءٍ فِي شُوجِرِ كَرِيكَ.

تَابَعَ وَالِدُ دَوَايْنِ: "عَلَى أَيَّةِ حَالٍ، التَّجَوَّؤُوا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَى كُوخٍ خَاوٍ، أَشْعَلُوا نَارًا فِي المَدْفَأَةِ، وَرَتَّبُوا أُمُورَهُمْ. ثُمَّ جَاءَ حَشْدٌ مِنَ النَّاسِ عِنْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ، وَأَخَذُوا الرُّجُلَ وَنَشَرُوهُ إِلَى نَصْفَيْنِ، وَعَلَّقُوهُ عَلَى السُّلْكِ العُلُويِّ مِنْ سُورِ الأَسْلَاقِ الشَّائِكَةِ". تَذَكَّرَ دَوَايْنِ بِوَضُوحٍ كَيْفَ كَانَ فِي السَّمَاءِ قَوْسُ قُزْحٍ بِسَبَبِ زَيْتِ القُمَامَةِ يَمْتَدُّ بِبِهَاءٍ فَوْقَ شُوجِرِ كَرِيكَ عِنْدَمَا سَمِعَ ذَلِكَ.

قال والده بالتبني: "منذ تلك الليلة، والتي كانت قبل وقتٍ بعيدٍ، لم يَقْضِ زَنْجِيٌّ لَيْلَةً فِي شِيرِدْزَتَاوْنِ قَطُّ".

* * *

كان تراوت واعيًا بنظرة دواين المجنونة إلى صدره إلى درجةٍ أشْعَرَته بِالْحَكَّةِ. سَبَحَتْ عَيُونُ دَوَايْنِ، حَسِبَهَا تَرَاوْتُ تَسْبِيحَ فِي الكُحُولِ. لم يكن في استطاعته معرفة أن دواين يرى الآن بقعة الزيت الطافية على سطح شوجر كريك، التي صَنَعَتْ قَوْسَ القُزْحِ قَبْلَ أَرْبَعِينَ عَامًا.

وكان تراوت واعيًا بي أيضًا، بالقليل الذي استطاع رؤيته مني. بل إني جعلته مُرْتَبِّغًا مِنِّي أَكْثَرَ مِنْ ارْتِبَاكِهِ مِنْ دَوَايْنِ. الفكرة كالتالي: تراوت كان الشخصية الوحيدة من مخلوقاتي التي تمتلك مُخَيَّلَةً كَافِيَةً لِلشُّكِّ فِي أَنَّهُ قَدْ خَلَقَهُ إِنْسَانٌ غَيْرُهُ. كان قد ذكر هذا الاحتمال عِدَّةَ مَرَّاتٍ لِبَبْغَائِهِ. قال مثلًا: "والله يا بيل، من الطريقة التي تَحَدَّثُ بِهَا

الأشياء؛ لا أستطيع التفكير إلّا في أُنَى شَخْصِيَّةٍ في كتابٍ أَحَدٍ ما يرغب في الكتابة عن شخصٍ يُعاني طوال الوقت".

الآن بدأ تراوت في تخمين أنه يجلس على مقربةٍ شديدة من الشخص الذي خَلَقَهُ. وبات مُحَرَّجًا. كان من الصعب عليه معرفة كيف سيكون رَدُّ فِعْلِهِ، خَاصَّةً وأن رُدودَ أفعاله لن تكون إلّا ما سأقول أنها ستكون.

تساهلتُ معه، لم أُلَوِّح له، لم أُحَدِّق به. حافظتُ على نَظَّارتي على وجهي. كَتَبْتُ مُجَدِّدًا على سطح مائدتِي، شَخَبْتُ رُمُوزَ العَلاقَةِ المُعَقَّدَةِ بين المادَّة والطَّاقة مثلما فُهِمَّت على أَيَّامِي:

$$E = Mc^2$$

كانت مُعادَلَةٌ مَعْيُوبَةٌ بحسب ما أظُنُّ. كان يجب أن يكون بها "A" في مكانٍ ما يُمَثِّلُ "الوعي Awareness"، فبدونه لن يكون للـ "E" والـ "M" والـ "C" - وهم ثوابتٌ رياضيَّة - أيُّ وجودٍ.

بالصُّدْفَةِ، كُنَّا جَمِيعًا مُلتَصِقِينَ بسطح كرة. كان الكُوكَبُ على شكل كُرَّة. لا يعرف أَحَدٌ بالضبط لماذا لا نَقع عنها، برغم تَظَاهُرِ الجَمِيعِ أَنهم يفهمون السببَ بِشَكْلِ ما.

أدرك الأشخاص شديداً الذكاء أن أفضل طريقة للثراء هي امتلاك
قطعة من السطح، يُضطرُّ الناسُ للالتصاق بها.

خشي تراوت من التقاء عينيّه بعينيّ أو بعينيّ دواين؛ لذا مضى
يفحص محتويات المظروف الكرتوني الذي كان ينتظره في جناحه.

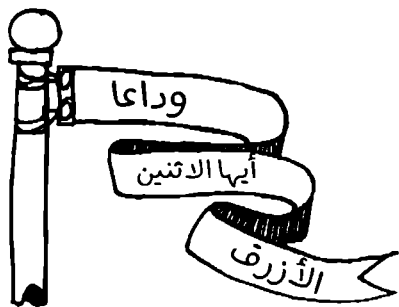
أول ما فحص كان خطاباً من فريد تي. باري، رئيس مهرجان الفنون،
والمتبرّع لإنشاء مركز ميلدريد باري التذكاري للفنون، ومؤسس ورئيس
مجلس إدارة شركة باريترون المحدودة.

مرفقاً بالخطاب كان سهماً من أسهم باريترون العادية، باسم
كيلجور تراوت. ذلك كان الخطاب:

السيد تراوت العزيز، إنَّ تبرُّع شخصٍ مُميّزٍ ومُبدِعٍ مثلكِ بوقته
الثمين لمهرجان مدينة ميدلاند للفنون الأول، لَمِنَ مُسَبِّباتِ الشرفِ
والسعادة. كم نتمنّى أن تشعر أنّك فردٌ من أَسْرَتِنَا إِبَّانَ مُكوِثِكَ هنا.
ولهذا السبب، وبهدف إعطائِكَ وبقيةِ زوّارِنَا الكرامِ إحساساً أعمقَ
بمُشارِكَتِكُمْ في حياةِ مُجتمَعِنَا؛ أقدمُ لِكُلِّ مِنكُمْ -على سبيلِ الهديةِ-
سهماً من الشركة التي أنشئت، الشركة التي أنا الآن رئيسُ مجلس
إدارتها. لم تُعدْ شركتي وحدي الآن، بل شركتكم أيضاً.

بدأت شركتنا باسم شركة روبو-ماچيك الأمريكية عام 1934، بثلاثة
موظفين فقط. هدفها كان تصميم وتصنيع أول غسّالة أوتوماتيكية
بالكامل لاستخدامها في البيوت. ستجد شعار الغسّالة على رمز الشركة،
في أعلى شهادة السهم.

الرمز كان عبارة عن إلهة إغريقية ممدّدة على شيزلونج مزخرف.
حملت سارية علم، من رأسها امتدت راية طويلة. هذا ما قالته الرأية:



خَلَطَ شِعَارُ شَرِكَةِ رُوبُو-مَاجِيكِ القَدِيمَةِ بِبِرَاعَةِ فِكْرَةٍ نَوَعَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ مِنَ النَّاسِ عَنِ يَوْمِ الاثْنَيْنِ. إِحْدَاهُمَا كَانَتْ أَنَّ النِّسَاءَ يَغْسِلْنَ عَادَةً المَلابِسَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، يَوْمَ الاثْنَيْنِ هُوَ بَبَاطَةٌ يَوْمَ الغَسِيلِ، وَلَا يُعَدُّ يَوْمًا كَثِيبًا لِذَلِكَ السَّبَبِ بِالذَّاتِ.

لَكِنْ مَنْ يَعْمَلُونَ فِي وَظَائِفِ سَيِّئَةٍ مِنَ النَّاسِ، اعْتَادُوا عَلَى تَسْمِيَةِ يَوْمِ الاثْنَيْنِ "بِالاثْنَيْنِ الأَزْرَقِ" أحيانًا، فِي إِشَارَةٍ إِلَى مَدَى كَابْتِهِ؛ لِأَنَّهُمْ كَرِهُوا العُودَةَ إِلَى العَمَلِ بَعْدَ يَوْمِ الرَّاحَةِ. عِنْدَمَا وَضَعَ فَرِيدُ تِي. بَارِي شِعَارَ رُوبُو-مَاجِيكِ فِي شَبَابِهِ، تَظَاهَرَ بِأَنَّ الاثْنَيْنِ كَانَ يُدْعَى "الاثْنَيْنِ الأَزْرَقِ" لِأَنَّ الغَسِيلَ صَارَ يُضَافُ إِلَى النِّسَاءِ المُتَعَبَاتِ.

وَرُوبُو-مَاجِيكِ سَتُسَعِدُهُمْ مِنْ جَدِيدٍ.

بِالصُّدْفَةِ، لَمْ تَكُنْ مَعْلُومَةٌ أَنَّ أَغْلَبَ النِّسَاءِ قُومَنَ بِالغَسِيلِ يَوْمِ الاثْنَيْنِ فِي زَمَنِ نَشْأَةِ شَرِكَةِ رُوبُو-مَاجِيكِ صَحِيحَةً. كُنَّ يَغْسِلْنَ وَقْتَمَا أَرَدْنَ. مِنْ أَكْثَرِ ذِكْرِيَّاتِ دَوَائِنِ هُوْفِرِ حَيَوِيَّةً عَنِ الكَسَادِ الكَبِيرِ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ، هِيَ صُورَةٌ أُمُّهُ بِالتَّبْنِيِّ عِنْدَمَا قَرَّرَتْ الشُّرُوعَ فِي الغَسِيلِ لَيْلَةَ الكَرِيسْمَاسِ. كَانَتْ حَانِقَةً عَلَى الدَّرَجَةِ المُتَدَنِّيَّةِ الَّتِي هَبَطَتْ

الأُسرة إليها، ثم هرعت فجأةً إلى القبو، حيث الخنافس السوداء والديدان، وأخذت تغسل.

قالت: "حان وقت شغل الزوج".

* * *

بدأ فريد تي. باري في الإعلان عن روبو-ماجيك عام 1933، قبل أن يصير عنده غَسَالَةٌ يُعْتَمَدُ عليها لبيعها بكثير. كان واحدًا من أشخاص معدودين في مدينة ميدلاند بوسعهم تحمُّل تكلفة لوحة إعلانية خلال الكساد الكبير، هكذا لم تحتج رسائل روبو-ماجيك الإعلانية إلى التَّدافُع والتَّنَافُس مع آخرين على انتباه المُتلَقِّي. كانت فعليًا الرَّمزَ الوحيد في المدينة.

أحد إعلانات فريد كان على لافتة خارج البوابة الرئيسية لشركة كيدسلر للسيارات المُنْدَثِرة، التي استحوذت عليها شركة روبو-ماجيك. فيه كانت سيِّدة من مُجتمَعٍ راقٍ تَرْتَدِي معطفَ فَرُو وعِقدَ لؤلؤ، تغادر قَصْرَها لقضاء أمسية خَامِلَةٍ لطيفة، ويَخْرُجُ من فمها بالونٌ كلام، ذلك ما كانت تقول:

سأذهب إلى ناري
البريدج بينها تقوم
روبو ماجيك
بالغسيل! وداعا
أيها الاثنين الأزرق!

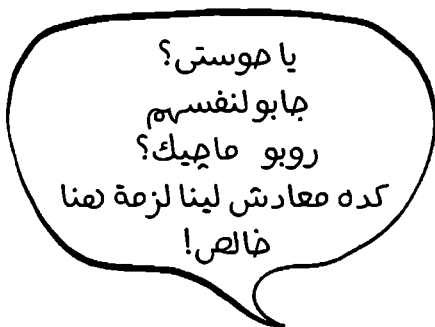
إعلانٌ آخر على لافتةٍ بالقرب من مستودع القطارات، أظهر رجُلِي
توصيل بيض اللّون يحملان روبو-ماجيك إلى داخل بيت. تراقبهم
الخدّمة السّوداء بعيونٍ تَقْفِرُ للخارج بطريقة كاركاتيريّة. ومن فمها
يخرُجُ بالونٌ كَلَامٍ أيضًا، يقول التالي:

* * *

كتب فريد تي. باري ذلك الإعلانَ بنفسه، وتوقّف في ذلك الوقت
أن أجهزة روبو-ماجيك المنزلية من مختلف الأنواع، ستؤدّي في النهاية
ما سمّاه: "كل شغل الزوج في العالم"، أي الرّفْع والتنظيف والطبخ
والغسيل والكيّ والاعتناء بالأطفال وطرْد الأوساخ.

لم تكن والدة دواين بالتبني السيّدّة البيضاء الوحيدة التي لم تطق
القيام بذلك الشُّغل. أمي أيضًا كانت كذلك، وكذا كانت شقيقتي،
لترقُد في سلام. رفضت كليهما بلا نقاش القيام بشُغل الزوج.
وبالطبع رفض الرّجال البيض القيام به أيضًا. سمّوه "شغل
الستات"، وقالت عليه النساء "شغل الزوج".

* * *



سأقوم بتخمينٍ جامِحِ الآن: أعتقد أن في نهاية الحرب الأهلية
بوطني، كان رجالُ الشَّمالِ البيضِ، الذين فازوا بها، مُحَبِّطِينَ، بشكلٍ لم
يُعْتَرَفُ به قَطُّ. وأن سُلَّالَتَهُمْ وَرَثَتُ عَنْهُمْ ذلكَ الإحباطَ على ما أَظُنُّ،
دون أن يعرفوا هذا.

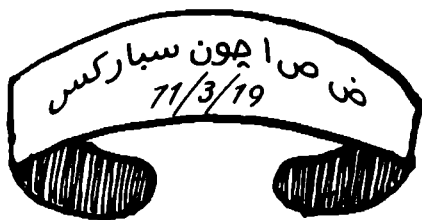
فالمُنتصرون في تلك الحرب خسروا أهمَّ غَنَائِمِهَا: العبيد من البشر.

قَاطَعَتِ الحربُ العالَمِيَّةُ الثَّانِيَةَ حلمَ روبو-ماچيك. صار مصنعُ
سيَّارات كيدسلر القديم ترسانةً أَسْلِحَةٍ بدلاً من مصنع أجهزة منزلية.
كل ما نَجَا من غسالة روبو-ماچيك كان مُخَّها، الذي يُخْبِرُ بَقِيَّةَ الآلَةِ
مَتَى تَدَعُ المَاءَ يَدْخُلُ، ومَتَى تَطْرُدُهُ، ومَتَى تَغْسَلُ، ومَتَى تَشْطِفُ،
ومَتَى تُجَفِّفُ، وما إلى ذلك.

صار ذلك المُخُّ مَرَكِزًا عَصَبِيًّا لما يُطَلَقُ عليه "نظام بلينك" خلال
الحرب العالمية الثانية. رُكِّبَ في قاذفات القنابل الثقيلة، بل وَنُقِّدَت
به عملياتُ إلقاء قنابل بالفعل، عندما ضغط قائدُ طَائِرَةٍ زَرَّ "إلقاء
القنابل" الأحمر اللامع. يُنَشِّطُ الزَّرُّ نِظامَ بلينك، الذي يُطَلِقُ حِينَهَا
القنابلَ بِطَرِيقَةٍ تَسْمَحُ بِتَنْفِيزِ مَمَطٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الانفجارات على الكوكب
بالأسفل. بلينك كانت اختصاراً لتعبير "كمبيوتر تسوية فترات التفجير
."Blast Interval Normalization Computer

22

وجلسْتُ هناك في بار الهوليداي إنَّ الجديد، أشاهد دواين هوڤر يحدِّق في صدر قميص كيلجور تراوت. كنت أرتدي سوارًا يبدو كالتالي:



ض ص 1 تعني ضابط صف من الدرجة الأولى، وهي رتبة جون سباركس.

كلّفتني السوارُ دولارَيْن ونصفًا. أرتديه تعبيرًا عن أسفي على مئات الأمريكيين الذين تعرَّضوا للأسرِ خلال حرب فيتنام. باتت تلك الأساور شائعةً. يحمل كلُّ منها اسمَ أسيرِ حربٍ حقيقيٍّ ورُتبته وتاريخَ أسرِهِ.

لا يفترض أن يخلع السوار مرتديه إلا بعد عودة السجّاء إلى بيوتهم أو بعد الإبلاغ عن موتهم أو فقْدانهم.

فكّرتُ كيف أذكر السوار في حكايتي، ثم واثني فكرةً جيّدة، أن ألقيه في مكانٍ ما ليجده واين هوبلر.

سيفترض واين أنه يعود لامرأة تُحبُّ شخصاً اسمه ض ص 1 چون سباركس، وأنها خُطبت له أو تزوّجته أو شيء بهذه الأهمية في التاسع عشر من مارس عام 1971.

سيحاول واين ترديدَ اسمه الأول غير المعتاد بصوت مُتردّد: "ضصا؟ ضصاااصصا؟".

* * *

في البار، جعلتُ دواين هوفر قد أخذ دورةً في القراءة السريعة ليلاً في جمعية الشبان المسيحيين؛ ما سيسمح له بقراءة رواية كيلجور تراوت في دقائق بدلاً من ساعات.

* * *

في البار، أخذتُ حبةً بيضاء، قال طبيبي إنّي بوسعي أخذها بكميَّات معقولة، اثنان يومياً مثلاً؛ حتى لا تُصبحَ أيّامي زرقاء مثل الاثنين.

* * *

في البار، جعلتني الحبة مع الكحول أشعرُ باستعجالٍ مُزعج لتفسير كلِّ الأشياء التي لم أفسرها بعد، ومن ثمَّ الإسراع في استكمال حكايتي.

لنرى: لقد فسّرت بالفعل قُدرةً دواين غير المتماشية مع شخصيته على القراءة بسرعة. على الأرجح لم يَكُن كيلجور تراوت ليقدّر على الوصول من نيويورك في الوقت الذي خصّصته لذلك، لكن لم يُعد هناك وقتٌ لإصلاح ذلك. دَعَكَ من ذلك، دَعَكَ من ذلك!

لِنَزْ، لِنَزْ. آه، تذكّرت، يجب أن أُفسّر الجاكيت الذي سيراه تراوت في المستشفى. سيبدو كذلك من الخلف:



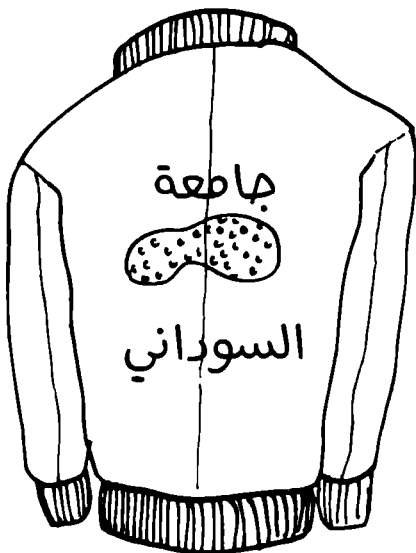
هذا هو التفسير: قديمًا لم يكن هناك سوى مدرسة ثانوية واحدة للزُوج فقط في ميدلاند، ولا تزال مدرسة زُوج فقط. سُمّيت على اسم كريسبوس أتوكس، وهو رَجُلٌ أسودٌ قَتَلَهُ رِصَاصُ القُوَّاتِ البريطانيّة في بوسطن عام 1770. توجد لوحةٌ بألوانٍ زيتيّة لهذه الحادثة في الممرِّ الرئيسيِّ بالمدرسة. وبها عِدَّةُ رِجالٍ بِيضٍ يتلقَّون الرِّصَاصَ أيضًا. في مقدّمة رأس كريسبوس أتوكس نفسه حُفرةٌ تُشبه المدخَلَ الأماميَّ لبيت الطيور.

لكنَّ السُّودَ لم يعودوا يُطلقون عليها مدرسة كريسبوس أتوكس الثانوية. باتوا يُسمُّونها مدرسة العابر البريء الثانوية.

وعندما بُنيت مدرسة زُوج ثانوية أخرى بعد الحرب العالميّة الثانية، سُمّيت على اسم جورج واشنطن كارفر، وهو رَجُلٌ أسودٌ، وُلِدَ

عَبْدًا، لكنه صار كيميائيًا شهيرًا على أي حال. واكتشف استخداماتٍ رائعةً جديدة للفلو السوداني.

لكن السُّودَ لم يُسَمَّوا المدرسة باسمها الصحيح أيضًا. في يوم افتتاحها، كان الشباب السود يرتدون بالفعل چاكِتات تبدو كتلك من الخلفِ:



أحتاج أيضًا لتفسير لماذا كان الكثير من السُّود في ميدلاند قادرين على محاكاة أصوات الطيور من مُختلف أنحاء ما كانت ذات يوم الإمبراطورية البريطانية. الفكرة هي أن فريد تي. باري ووالديه كانوا الأشخاص الوحيدين تقريبًا في ميدلاند، القادرين على استئجار زوجٍ للقيام بشُغلِ الزُّنوج خلال الكساد الكبير. استحوذوا على قصر كيدسلر القديم، الذي وُلِدَت فيه الروائية بياتريس كيدسلر. وكان لديهم قرابة العشرين خادمًا يعملون في الوقت ذاته.

جمع والد فريد خلال ازدهار العشرينات أموالاً كثيرة، من العمل كمهربيّ وكمتلاعِبٍ بالأسهُم والسَّنَدَات. حافظَ على أمواله سائِلةً، وهو ما اتَّضح أنه شيءٌ ذكيٌّ؛ إذ انهارت بنوكٌ عديدة خلال الكساد الكبير. وكان والد فريد أيضًا وكيلًا لرجال عصابات شيكاغو، الذين أرادوا شراء أعمالٍ شرعيَّةٍ لأبنائهم وأحفادهم. رجال العصابات هؤلاء اشتروا كلَّ ما رغبوا فيه من مُنشآتٍ تقريبيًا في مدينة ميدلاند، من خلال والد فريد، بمقابلٍ يتراوحُ بين واحدٍ على عشرة وواحدٍ على مائة من قيمتها الحقيقية.

وقبل أن يأتي والد فريد إلى الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى، كانا مُؤدِّيَيْن على مسارح إنجلترا الموسيقية. والد فريد كان يعزف الموسيقى بالمنشار، وأمُّه كانت تُحاكي أصوات الطيور من مختلف أنحاء ما كانت لا تزال الإمبراطورية البريطانية.

تابعت أمُّه محاكاةً أصوات الطيور لتسلية نفسها، حتى خلال الكساد الكبير. كانت تقول مثلًا "البلبل الماليزي"، ثم تُحاكي صوته. وتقول: "بومَّة موريبارك النيوزيلندية"، ثم تُحاكي صوتها.

وكلُّ مَنْ عملوا عندها من السود، اعتقدوا أن أداءها كان أظرفَ شيءٍ رأوه على الإطلاق، وإن لم يضحكوا بصوتٍ عالٍ قطُّ بينما تفعل. وتعلَّموا بدورهم محاكاةً الطيور؛ ليقتلوا أقرابهم وأصحابهم ضحكًا. وانتشرت البدعةُ. حتَّى السود الذين لم يقتربوا قطُّ من قصر كيدسلر بات بوسعهم محاكاة صوت طائر القيثارة وطائر الدُّعرة من أستراليا، والصفير الذهبي من الهند، والعندليب والحسون والنمَّمة والشَّفشافة من إنجلترا ذاتها.

كانوا قادرين حتى على محاكاة الصياح السعيد لرفيق طفولة كيلجور تراوت المنقرض في الجزيرة، والذي كان نسرَ برمودا.

عندما بلغ كيلجور تراوت المدينة، كان لا يزال بوسع السُّود مُحاكاة هذه الطيور، وترديد ما كانت تقوله أمُّ فريد كلمةً بكلمةٍ قبل كل محاكاة. إنَّ حاكي أحدهم العنديلِبَ مثلاً، كان سيقول أو ستقول ذلك في البداية: "ما يضاعف الجمال الغريب لنداء العنديلِب، الذي يعشقه الشعراء، حقيقة أنه لا يُغني إلا في ضوء القمر".

وما إلى ذلك.

في البار، قرَّرت كيميائُ دواين السيئة فجأةً أنَّ الوقت قد حان ليسأل دواين كيلجور تراوت عن أسرار الحياة.

صاح دواين: "هات الرُّسالة". نهض مُترنِّحاً من مجلسه، وهوى مُجدِّداً على المقعد بجوار تراوت، يُشعُّ الحرارة كمدفأةٍ بخاريَّةٍ. "الرسالة أرجوك".

وهنا فعَلَ دواين شيئاً غيرَ طبيعيٍّ بالمرَّة. فعله لأنِّي أردتُه أن يفعل. كان شيئاً لطالما رغبتُ لسنواتٍ طويلةٍ في جعل شخصيَّةٍ ما تفعله. فعل دواين لتراوت ما فعَلته الدُّوقَةُ لأليس في (مغامرات أليس في بلاد العجائب) للويس كارول. وضع ذقنه على كتف تراوت المسكين، غاص فيه بذقنه.

قال: "الرسالة؟"، وغاص بذقنه، وغاص بذقنه.

تراوت لم يَرُدَّ. كان قد تمَنَّى أن يُمضي القليل المُتبقِّي من حياته دون أن يضطرَّ أبداً للمسِّ إنسان آخر. ذقن دواين على كتفه كانت بالنسبة إليه مؤلِّمةً كاللُّواط.

قال دواين بينما يخطف رواية تراوت (الآن بوسعي أن أقول): "أهذه الرسالة؟ أهذه هي؟".

أجاب تراوت بصوتٍ أجشٍّ: "نعم، هذه هي". أزاح دواين دَقَنه من على كتفه، فغمّرتَه راحةٌ هائلة.

بدأ دواين في القراءة بنهمٍ، وكأنما كان يتضورُ جوعًا للحروف المطبوعة. ومكّنته دورةُ القراءةِ السريعة التي أخذها في جمعيّة الشُّبان المسيحيّين من التهام الصفحات التهامًا.

قرأ: "سيدي العزيز، سيدي المسكين، سيدي الشجاع، أنتَ تجرّبهُ أجراها خالقُ الكون. أنتَ الكائنُ الوحيد في الكون كله الذي يملك إرادةً حُرّة. أنت الوحيد الذي عليه أن يعرف بنفسه ما الذي سيفعله بعد ذلك، ولماذا سيفعله. الجميع عداك روبوتات، آلات.

يبدو لك أنّ بعض الأشخاص يُحبُّونك، وأن بعضهم يكرهونك، ولا شكَّ أنّك تتساءل عن السبب. إنهم ببساطةٍ آلاتٌ حُبٌّ وآلاتٌ كراهية.

أنت مرهقٌ، ومُحبَطٌ، وكيف لا تكون؟ فأن تُجادلَ طوال الوقت بالمنطق، في كونٍ لم يُفترَض به أن يكون منطقيًا؛ لهو أمرٌ مرهقٌ بكلِّ تأكيد.

23

تابع دواين القراءة: "أنت مُحاطٌ بِآلَاتِ مَحَبَّةٍ وَآلَاتِ كِرَاهِيَةٍ وَآلَاتِ طَمَعٍ وَآلَاتِ إِثَارٍ وَآلَاتِ شَجَاعَةٍ وَآلَاتِ جُبْنٍ وَآلَاتِ حَقِيقَةٍ وَآلَاتِ كَذِبٍ وَآلَاتِ هَزَلٍ وَآلَاتِ جَدِّ، هَدَفَهُمِ الْوَحِيدُ هُوَ إِثَارَتُكَ بِكُلِّ الطَّرُقِ الْمُمَكِنَةِ؛ حَتَّى يَسْتَطِيعَ خَالِقُ الْكَوْنِ مُرَاقَبَةَ رُدُودِ أَفْعَالِكَ. لَا تَسْتَطِيعُ أَيُّ مِنْهُمْ الْإِحْسَاسَ أَوْ التَّفَكِيرَ بِأَكْثَرِ مِمَّا تَسْتَطِيعُ سَاعَةَ الْحَائِظِ الْقَدِيمَةِ.

"إِنْ خَالِقَ الْكَوْنِ يَوَدُّ الْآنَ الْإِعْتِذَارَ، لَيْسَ فَقَطْ عَنِ الصُّحْبَةِ الْمُتَقَلَّبَةِ الْمُتَنَافِسَةِ الَّتِي وَفَّرَهَا لَكَ خِلَالَ التَّجْرِبَةِ، بَلْ أَيْضًا عَنِ الْحَالَةِ الْمُزْرِيَةِ الْمُقْرِفَةِ لِلْكَوَكَبِ ذَاتِهِ. لَقَدْ بَرَمَجَ الْخَالِقُ الرُّبُوتَاتِ عَلَى الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِ مِلَّايَيْنِ السَّنِينَ، حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ قِطْعَةٍ جُبْنٍ مُتَعَفُّنَةٍ سَامَّةٍ عِنْدَمَا يَحِينُ مَوْعِدُ وَصُولِكَ هُنَا. وَجَعَلَهُ أَيْضًا شَدِيدَ الْإِزْدِحَامِ بِالرُّبُوتَاتِ الْمُبْرَمَجَةِ، بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ حَالَةِ مَعِيشَتِهِمْ، عَلَى التَّلَهُّفِ إِلَى التَّوَاصُلِ الْجَنَسِيِّ وَعَشْقِ الْأَطْفَالِ الرُّضَّعِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ."

* * *

بالصدفة كانت ماري أليس ميلر، بطلة العالم في سباحة الصدر
لمائتي متر وملكة مهرجان الفنون، تمرُّ عبر البار. كانت تعبُّه كطريق
مختصر من ساحة ركن السيارات الجانبية، حيث ينتظرها أبوها في
سيارته البليموث باراكودا الخضراء ذات السقف المنحني، التي اشتراها
مستعملة من دواين. كانت السيارة لا تزال في بداية فترة الضمان.

كان دون ميلر، أبو أليس، رئيسًا للجنة إطلاق السراح المشروط في
شبيردزتون، وأشياء أخرى. كان هو من قرَّر أن واين هوبلر، الذي
يتلکأ بين سيارات دواين المستعملة مجددًا، صار لائقًا كفاية للانضمام
للمجتمع.

ذهبت ماري أليس إلى اللوبي لتأخذ التاج والصولجان، من أجل
دورها كمليكة في مأدبة مهرجان الفنون هذه الليلة. وكان ميلو
ماريتيمو، موظف الاستقبال وسليل العصابات، قد صنعهم بيديه.
عيناها كانتا ملتهبتين على الدوام، بدوتا مثل كريز الماراشينو.

شخص واحد فقط لاحظها بما يكفي للتعليق عليها بصوت
مسموع، آبي كوهين الجواهرجي. قال عن ماري أليس، مُحترقًا انعدام
جاذبيتها الجنسية وبراءتها ورأسها الخاوي: "سمكة تونة".

* * *

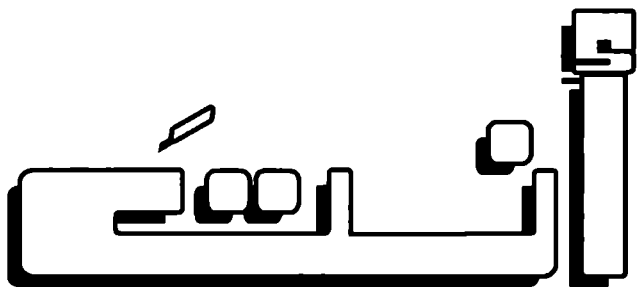
سمعه كيلجور تراوت يذکر سَمَكَ التُّونة. عقله حاول أن يفهم
معنى ذلك. عقله كان غارقًا في مستنقع غرائب. صار قابلاً لأن يكون
أيضًا مثل واين هوبلر، هائمًا بين سيارات دواين المستعملة في أسبوع
هاواي.

أقدامه، التي يُغلقها البلاستيك، كانت تزداد سخونة مع الوقت،
وصارت الحرارة مؤلمة. أخذت في التلوي والتثني، تتوسل لإطلاق
سراحها في ماء أو هواء بارد.

وتابعَ دواين القراءةَ عن نفسه وعن خالق الكون:

"وبرمَجَ الروبوتات أيضًا ليكتبوا الكتب والمجَلَّات والجرائد من أجلك أنت، وكتبوا عروض التليفزيون والراديو والمسارح والأفلام من أجلك أنت. كتبوا الأغاني من أجلك أنت. اخترع خالقُ الكون مئات الأديان، حتى تجدَ أنتَ أمامك الكثيرَ لتختار منهم. جعلهم يقتلون بعضهم بالملايين؛ لهذا السبب وحده: إدهاشك أنت. ارتكبوا أفظع المنكرات المُمكِنَة وأفضلَ الحَسَنات المُمكِنَة، لا شعوريًا، أوتوماتيكيًا، حتميًا، فقط لإثارة رِدَّةِ فِعْلِكَ أنتَ".

آخر كلمة طُبِعَت بحروفٍ ضَخْمَةٍ، وكانت في سطرٍ وحدها، مثل تلك:



* * *

قال الكتاب: "كُلَّ مَرَّةٍ دَخَلْتُ فِيهَا مَكْتَبَةً، كان خالقُ الكونِ يَحْبَسُ أنفاسَه. من بين أكوام الثقافة المُتراكِمَة أمامك في وليمَةٍ لا نهائيةٍ، ماذا ستختار بإرادتك الحرَّة؟".

قال الكتاب: "والداك كانا آلتَي شجار، وكانا آلتَي شَفَقَةٍ على الدَّات. أمُّكَ كانت مُبرمَجَةً على توبيخ أبيك على كونه آلةً جَنِي أموالٍ مَعطوبَةٍ، وأبوك كان مُبرمَجًا على توبيخ أمِّكَ على كونها آلةً

رعاية بيت معطوبة. وكان كلاهما مبرمجين على توبيخ بعضهما على كونهما آلات حُب معطوبة".

"ثمَّ كان أبوك مبرمجًا على الاندفاع خارجًا من البيت، وصَفَعَ البابَ خلفه. يُحوِّل هذا أمك أوتوماتيكيًا إلى آلةٍ نحيبٍ. ثم يذهب إلى الحانة ليسكر بصحبة آلاتٍ شربٍ أخرى. ثم تذهب آلاتُ الشرب كلها إلى ماخور فيستأجرون آلاتٍ مضاجعةٍ. ثم يجرُّ أبوك نفسه عائداً إلى البيت ليصير آلةً اعتذارٍ. وأمك تتحوَّل ببُطءٍ شديدٍ إلى آلةٍ عفوٍ".

* * *

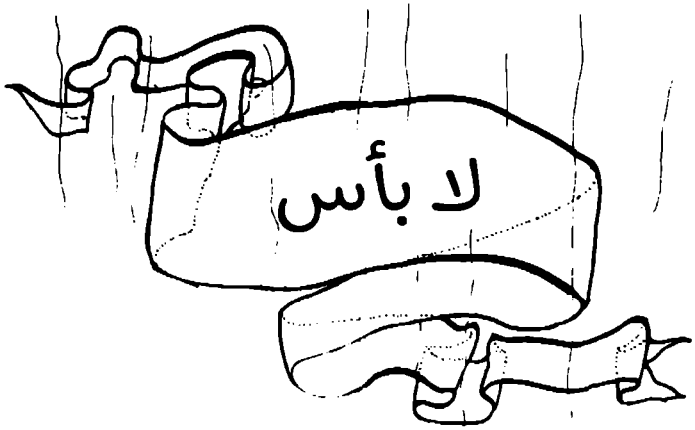
نهض دواين على قدميه، بعدما تجرَّع عشرات آلاف الكلمات السولبسية الغريبة في نحو عشر دقائق.

مشى مُتبيِّسًا نحو مشربِ البيانو؛ ما جعله مُتبيِّسًا كان روعه من مدى قوته الشخصية وتفوُّقه. لم يجرؤ على استخدام كامل قوته في مجرد المشي؛ خوفًا من تدمير الهوليداي إنَّ الجديد بوقع قدميه. لم يخف على حياته؛ فكتابُ تراوت أگد له أنه قتل بالفعل ثلاثًا وعشرين مرَّةً. في كل مرَّة، كان خالقُ الكون يُصلِّحُه ويُشغله مُجددًا. أمسك دواين نفسه باسم الأناقة لا الأمان. سيكون ردُّ فعله على فهمه الجديد للحياة حادِّقًا، أمام جمهورٍ من فردين: هو، وخالقُ الكون.

مكتبة
t.me/t_pdf

اقترَب من ابْنِه المِثْلِيَّ.

رأى باني المشاكل تلوح في الأفق، وافترض أنه موعدُ الموت. كان قادراً على الدفاع عن نفسه بسهولة، بتقنيات القتال التي تعلّمها في المدرسة العسكرية. لكنه فضّل التأمل بدلاً من ذلك. أغلق عينيه، وغاص وعيه في صمتِ الأجزاء غير المُستخدَمة من عقله. هناك، كان ذلك الوشاح المُشعّ يَعُومُ:



دفع دواين رأسَ باني من الخلف. دَحَرَجَهَا مثل ثَمَرَةِ الأناناس على مفاتيح البيانو. ضحك وقال لابنه: "... يا آلَةَ مَصِّ الأَيْرِ القَدِرَةِ!".

باني لم يقاوم، برغم أن وجهه كان يتشوّه إلى حَدِّ مُريع. رفع دواين رأسه عن المفاتيح، ورَزَعَهَا مُجدِّدًا. تَنَأَثَرَ على مفاتيح البيانو الدَّمُ واللُّعَابُ والمُخَاط.

صار رابو كارابكيان وبياتريس كيدسلر وبوني مكماهون الآن يجذبون دواين، وانتزعوه عن باني. لم يَزِدْ هذا دواين إلا سَعَادَةً. قال لخالق الكون: "قلَّتْ لي أَلَا أُضْرِبَ امْرَأَةً أَبَدًا، أليس كذلك؟".

ثم صفع بياتريس كيدسلر على فمها، ولگمّ بوني مكماهون في بطنها. كان يؤمن حقًا أَنهنَّ آلاتٌ بلا شعور.

سأل دواين جمهوره المصعوق: "أتعرفون أيُّها الروبوتات لماذا أَكَلت زوجتي الدرانو؟ سأخبركم: كانت آلة أكل درانو".

في الصُّباح التالي ستكون هناك خريطة في الجريدة لثورة دواين العاصفة. سيُعبَّر عن مساره حَطُّ مُنقَطُ يبدأ من بار الفندق، ويعبر الطريق إلى مكتب فرانسين بيفكو في وكالته للسيارات، ثم يدور على عَقْبِيه إلى الهوليداي إنَّ الجديد من جديد، ثم سيُعبَّر شوجر كريك إلى الحارة المُتَّجِهَة غربًا من الطريق السريع، ثم إلى الفاصل العشبي بين الحارتَيْن. سيغلب دواين حينها رَجُلِي شُرطَة تَصَادَف وجودهم.

هذا ما سيقوله دواين لِرَجُلِي الشُرطَة بعدما قَيَّدَا يَدَيْه خلف ظهره: "الحمد لله على وجودكم هنا!".

لم يقتل دواين أحدًا في ثورته، لكنه آذى بِشَدَّةٍ أَحَدَ عَشَرَ شَخْصًا، لِدرَجَة احتياجهم للمستشفى. وفي خريطة الجريدة، كانت هناك علامة تُشير إلى كُلِّ مكانٍ أصاب فيه أَحَدُهُم إصابةً حَظِرَة. تلك كانت العلامة، بعد تكبيرها جدًّا:



في خريطة الجريدة لثورة دواين، كان هناك ثلاثة صُلبان داخل بار الفندق، تُعبّر عن باي وبياتريس كيدسلر وبوني مكماهون.

ثم هرع دواين إلى الأسفلت الفاصل بين الفندق وساحته لبيع السيارات. نادى على الزنوج في الخارج ليأتوه من فورهم. قال: "أريد التحدّث معكم".

كان بالخارج وحده. لم يتبعه أيُّ شخصٍ من البار حتى الآن. كان دون ميلر، والد ماري أليس ميلر، في سيارته بالقرب من دواين، ينتظر ماري أليس لتعودَ بِتَاجِهَا وَصَوْلَجَانِهَا، لكنه لم يَرَ ولم يسمع شيئاً من العرض الذي قدّمه دواين. كانت مقاعدُ سيارته قابِلَةً لِلْفَرْدِ كَسَرِيرٍ. تمَدّد دون على ظهره، برأسه تحت مستوى النافذة، يستريح ويحدّق في السقف. كان يحاول تَعَلُّمَ الفرنسية عن طريق سَمَاعِ دَرُوسِ مُسَجَّلَةٍ على شريط.

قال الشريط: "Demain nous allons passer la soirée au cinema" وحاوَلَ دون تَردِيدَ ذلك بدوره. وقال الشريط: "Nous espérons que notre grand-père vivra encore longtemps". وما إلى ذلك.

استمرَّ دواين في النداء على الزنوج ليخرجوا ويتحدّثوا معه. ابتسم. حَسِبَ أن خالقَ الكون برَمَجَهُم كُلَّهُم على الاختباء، على سبيل المزاح. نظر دواين في الأرجاء بِمَكْرٍ. ثم صاح بعَلَامَةٍ اعتاد على استخدامها في طفولته، للإشارة إلى أن لُعبَةَ الغُمِيضَةِ قد انتهت، وأن الوقت قد حان لعودة الأطفال إلى البيت.

هذا ما نادى به، وكانت الشمس غائِبَةً عندما فعل: "أولي أولي أوكسين فريييييييييييي".

الشَّخْصُ الَّذِي أَجَابَ تَعْوِذَتَهُ، كَانَ شَخْصًا لَمْ يَلْعَبْ غُمَيْضَةً فِي حَيَاتِهِ قَطُّ. خَرَجَ وَايِن هوبلر من بين السيارات المُسْتَعْمَلَةَ بِهَدْوٍ. عَقَدَ يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ وَوَقَفَ بِقَدَمَيْنِ مُتَبَاعِدَتَيْنِ. اتَّخَذَ وَضْعًا يُعْرَفُ بِوَقْفَةِ الْإِنْتِبَاهِ. يَتَعَلَّمُ تِلْكَ الْوَقْفَةَ الْجَنُودُ وَالْمَسَاجِينُ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، كَوَسِيلَةٍ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْيَقِظَةِ وَالسَّذَاجَةِ وَالاحْتِرَامِ وَالتَّخْلِيِ الْإِرَادِيِّ عَنِ الدَّفَاعِ. كَانَ مُسْتَعَدًّا لِأَيِّ شَيْءٍ، وَلَا يَمَانَعُ الْمَوْتَ.

شَفِيَ الْآنَ ذَاتَهُ. لَمْ يَعْرِفْ مَنْ هُوَ وَايِن، رَحَّبَ بِهِ مِثْلَ أَيِّ رُوبُوتٍ أَسْوَدٍ عَادِيٍّ. أَيُّ رُوبُوتٍ أَسْوَدٍ كَانَ سَيُؤَدِّي ذَاتَ الْغَرَضِ. عَادَ دَوَايِنُ مُجَدِّدًا مُلْحَاحَاتِيهِ السَّاخِرَةَ مَعَ خَالِقِ الْكُونِ، مُسْتَخْدِمًا الرُّوبُوتَ كَأَدَاةٍ حَدِيثٍ جَامِدَةٍ. يَضَعُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ مِيدَلَانْدِ جَمَادَاتٍ بِلَا فَائِدَةٍ مِنْ هَاوَايِ أَوْ الْمَكْسِيكِ أَوْ مِنْ أَيِّ مَكَانٍ، عَلَى مَوَائِدِ الْقَهْوَةِ أَوْ عَلَى مَوَائِدِ غُرْفِ الْمَعِيشَةِ أَوْ عَلَى أَرْفُفِ النَّيْشِ، وَيُطَلِّقُ عَلَى مِثْلِ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ (أَدَوَاتٍ حَدِيثٍ).

ظَلَّ وَايِنُ فِي وَضْعِ الْإِنْتِبَاهِ فِيمَا حَكَى دَوَايِنُ عَنِ الْعَامِ الَّذِي قَضَاهُ كَمَسْئُولِ الْمُقَاطَعَةِ عَنِ أَشْبَالِ الْكَشَّافَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ، عِنْدَمَا انْضَمَّ لِلْكَشَّافَةِ عَدَدٌ مِنْ صِغَارِ السُّودِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ سَنَةٍ مَضَتْ.

قَالَ دَوَايِنُ لَوَايِنِ عَنِ مَجْهُودَاتِهِ لِإِنْقَازِ حَيَاةِ شَابِّ أَسْوَدٍ اسْمُهُ بَايْتُونُ بَرَاوِنِ، وَالَّذِي صَارَ، فِي سِنِّ الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ وَالنِّصْفِ، أَصْغَرَ شَخْصٍ يَمُوتُ عَلَى الْكُرْسِيِّ الْمَكْهْرَبِ فِي شِيْبِرْدَزَتَاوِنِ عَلَى الْإِطْلَاقِ. وَتَحَدَّثَ دَوَايِنُ عَنِ كُلِّ السُّودِ الَّذِينَ اسْتَأْجَرَهُمْ حِينَمَا رَفِضَ الْجَمِيعُ اسْتِئْجَارَ السُّودِ، عَنِ كَيْفِ أَنْهَمُ لَا يَأْتُونَ لِلْعَمَلِ أَبَدًا فِي مِيعَادِهِمْ. وَذَكَرَ أَيْضًا قَلَّةً مِنْهُمْ، كَانَتْ نَشِيطَةً وَمُنْضَبِطَةً. ثُمَّ غَمَزَ لَوَايِنُ وَقَالَ ذَلِكَ: "كَانُوا مُبْرَمَجِينَ عَلَى ذَلِكَ".

تحدّث عن زوجته وابنه مُجدِّدًا، اعترف أن الروبوتات البيض لا يختلفون عن الروبوتات السود في الأساس؛ فقد كانوا مُبرمجين على أن يكونوا أيًا ما كانوا عليه، وعلى فعل أيِّ ما فعلوه.

بعد ذلك، صمّت دواين لوَهَلَة.

كان والد ماري أليس في الوقت ذاته لا يزال يتعلّم الفرنسية فيما هو مُمدّدٌ في سيارته، على بُعدِ يارداتٍ قليلة.

ثم سَدَدَ دواين ضربةً لواين، أراد صَفَعَهُ بِقُوَّةٍ بِكَفِّهِ المفتوح، لكنّ واين كان ماهرًا في التفادي. نزل على رُكْبَتَيْهِ في حين مَرَقَتِ اليَدُ في الهواء الذي كان يحتلُّه وجهه قبل لحظة.

ضحك دواين، قال: "مُراوِغٌ إفريقيُّ!". كان في ذلك إشارةً لِلعَبَةِ أكشاكِ كرنفالاتٍ كانت شائِعَةً في طفولة دواين. في مؤخَّرَةِ الكُشْكِ كان رَجُلٌ أسودٌ يُخرجُ رأسه من فتحةٍ في ستارةٍ فُماشِيَّة، ويدفعُ الناسُ الأموالَ ليحصلوا على شرفِ توجيهِ رميةٍ قَوِيَّةٍ بِكُرَّةٍ بيسبول على رأسه. إن أصابته، يفوزون بجائزة.

* * *

هكذا فكَّرَ دواين أن خالِقَ الكون يدعوهُ الآنَ لِلعِبِ المُراوِغِ الإفريقي؛ فصار ماکرًا، أخفى نواياه العُدوانِيَّة وتظاهرَ بِالْمَلَلِ، ثم رَكَّلَ واين فجأةً.

تفاداه واين مُجدِّدًا، وكان عليه مُتَابَعَةُ التَّفَادِي في اللحظة ذاتها تقريبًا؛ إذ هاجَمَهُ دواين بِمجموعَةٍ رَكَلاتٍ وَصَفَعاتٍ وَلكِماتٍ مُتتابِعَةٍ. فقفز واين في صندوقِ سيارَةٍ غَرِيبِ الشَّكْلِ، مُثَبَّتٍ في هيكلِ كاديلاك ليموزين 1962، تعود لشركة ماريتيمو بروزرز للمقاولات.

منظور واين المرتفع الجديد مَنَحَهُ إطلالةً على ما يتجاوزُ دواين وحرارَتِي الطَّرِيقِ السريعِ خلفه، وتمتدُّ إلى قُرَابَةِ ميلٍ أو أكثر من مطار

ويل فيرتشايلد التذكارى وراء الطريق السريع. ومن المهّم في تلك النقطة فهم أن واين، الذي لم يرَ مطارًا قط، كان غير مؤهلٍ لما يُمكن أن يحدث لمطارٍ عندما تأتي طائرةٌ في الليل.

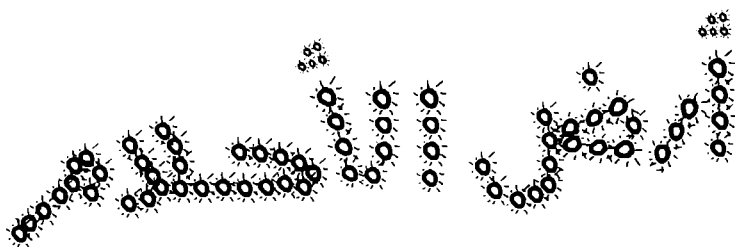
طمأنه دواين: "حسنًا، حسنًا، هذا يكفي". تحلّى بروح رياضيةٍ عاليةٍ. لم يكن لديه أيُّ نيّةٍ لتسلّق الصندوق وتوجيه ضربةٍ أخرى لواين؛ فقد كان من ناحيةٍ مُنقطِعِ الأنفاس، ومن ناحيةٍ أخرى فهم أنّ واين آله تَفادٍ ممتازةٌ، لا تستطيع ضربه إلا آله ضربٍ مُمتازةٍ. قال دواين: "أنت أشطر مني".

هكذا تراجعَ دواين قليلًا، وقنعَ بوعظِ واين. تحدّث عن العبوديّة البشريّة، ليس فقط عن العبيدِ السود، بل عن العبيدِ البيضِ أيضًا. اعتبر دواين عمالَ مناجِمِ الفحمِ وعمالَ خطوطِ الإنتاجِ وما شابههم - عبيدًا، أيًا كان لونهم. قال: "كنتُ أؤمن أن ذلك عارٌ علينا، كنتُ أعتقد أن كراسي الإعدام الكهربية عارٌ، وأن الحربَ عارٌ، وحوادث السيارات والسّرطان"، وما إلى ذلك.

لم يعد يرى في أيّ من ذلك عارًا بعد الآن. قال: "لماذا أهتمُّ بما يحدثُ للآلات؟".

كان وجهُ واين هوبلر حتى الآن جامدًا، لكنّ دُهوًا لا يُمكنُ التّحكّمُ به رَسَمَ نفسه على مُحيّاه فجأةً. وقع فكهُ السّفليُّ تاركًا فمه مفتوحًا. اشتعلت أضواءُ مهبطِ طائراتِ مطارِ فيرتشايلد التذكارى لتوّها. تبدّت هذه الأضواءُ لِعَيْنِي واين مثل أميالٍ وأميالٍ من المَجوهراتِ المتلألئة. كان يرى على الناحيةِ الأخرى من الطّريقِ السّريع، حُلْمًا يتحقّق.

توهَّجَت الأضواءُ داخلَ رأسِ واين كأنَّها مَصابيحُ كَهربيَّةٌ تكتُبُ
الاسمَ الطُّفوليَّ لِحُلْمِهِ القديمِ الذي يتجسَّدُ أمامَ عَيْنِهِ الآنَ، مصابيحُ
كتلك:



24

اسمَع: أصاب دواين هوغر أشخاصاً عديدين بإصاباتٍ خطيرة، لدرجة استدعاء سيارَة إسعافٍ خاصَّة تُعرف باسم مارثا. مارثا كانت حافلةً جنرال مورتورز عابرةً للقارَّات بالحجم الكبير، لكن بعد إزالة مقاعدها. كان فيها سِتَّة وثلاثون سريرًا لضحايا الكوارث، بالإضافة إلى مطبخٍ وحمَّامٍ وغُرْفَةٍ عمليَّات. كان بها ما يكفي من الطعام واللوازم الطبيَّة لتعمل كمستشفى صغيرٍ مُستقلٍّ مُدَّة أسبوع دون مُساعدةٍ من العالم الخارجي.

اسمها الكاملُ كان "وحدة مارثا سيمونز التذكارية المتنقِّلة للكوارث"، سُمِّيت لِتَشريفِ زَوْجَةِ نيوبولت سيمونز، مُفَوِّضِ المُقاطعةِ لِلسَّلامةِ العامَّة. ماتت مارثا بالسُّعار الذي أصابها من خُفَّاشٍ مَرِيضٍ وَجَدته مُعلِّقًا بستائرِ غُرْفَةِ المعيشة المُمتدَّة من السقف إلى الأرض ذات صباح. كانت تقرأ لِتَوْها سيرة ألبرت شفائتزر، الذي اعتقد أن على البشر

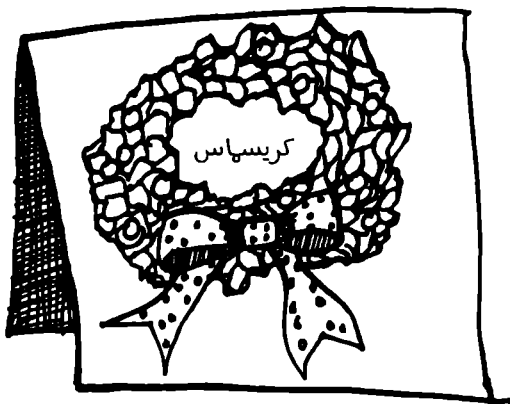
مُعَامَلَة الحيوانات الأَبْسَط بِحُبِّ. عَضُّهَا الخُفَّاش عَضَّةٌ خَفِيفَةٌ بَيْنَمَا كَانَتْ تَلْكُهُ فِي مَنَدِيلٍ وَرَقِيٍّ. حَمَلْتَهُ إِلَى فِنَائِهَا الخَلْفِيٍّ، حَيْثُ وَضَعْتَهُ بِرَفْقٍ عَلَى النَّجِيلَةِ الصَّنَاعِيَّةِ، الَّتِي تُعْرَفُ بِاسْمِ أُسْتَرُوتِيرِفِ.

كَانَ فَخِذَاهَا سِتًّا وَثَلَاثِينَ بُوَصَةً، وَخَصَرُهَا تِسْعًا وَعِشْرِينَ بُوَصَةً، وَصَدْرُهَا ثَمَانِي وَثَلَاثِينَ بُوَصَةً سَاعَةً مَوْتِهَا. كَانَ لِزَوْجِهَا عُضْوٌ طَوْلُهُ سَبْعُ بُوَصَاتٍ وَنِصْفُ البُوَصَةِ، وَقُطْرَةُ بُوَصَتَانِ.

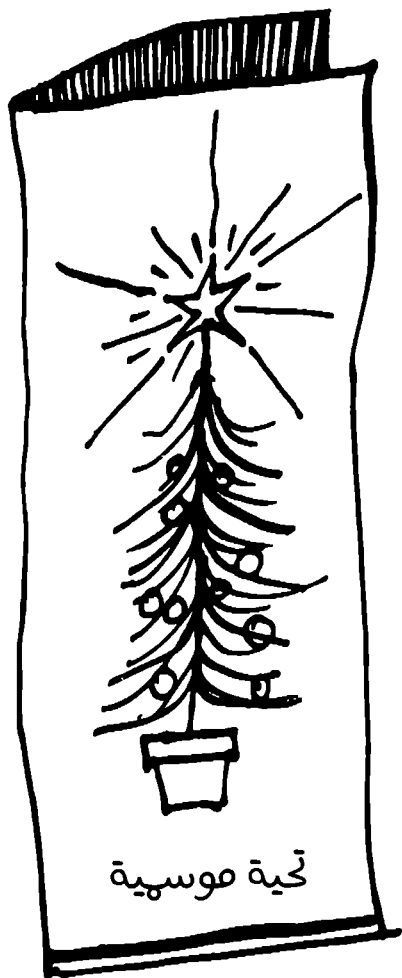
كَانَ وَدَوَايِنُ قَدْ اقْتَرَبَا مِنْ بَعْضِهِمْ لَفْتَرَةٍ؛ لِأَنَّ زَوْجَتَهُ وَزَوْجَةَ دَوَايِنِ قَدْ مَاتَا مِيتَاتٍ غَرِيبَةً خِلَالَ شَهْرٍ مِنْ بَعْضِهِمَا.

اشْتَرِيًّا مَعًا مِقْلَعٌ حَصَى عَلَى طَرِيقِ -23أ، لَكِنَّ شَرِكَةَ مَارِيْتِمُو بَرُورَزْزَ لِلْمُقَاوَلَاتِ عَرَضَتْ عَلَيْهِمَا ضِعْفَ مَا دَفَعَا. هَكَذَا قَبْلًا عَرَضَهَا وَاقْتَسَمَا الأَرْبَاحَ، ثُمَّ تَدَاعَتْ الصَّدَاقَةُ بِشَكْلِ مَا. مَا زَالَا يَتَبَادَلَانِ بِطَاقَاتِ تَهْنِئَةِ الكَرِيْسِمَاسِ.

آخر بطاقة كريسماس من دواين إلى نيوبولت سيمونز تبدو كتلك:



آخر بطاقة كريسما من نيوبولت سيمونز إلى دواين تبدو كتلك:



طبيبتني النفسية أيضًا اسمها مارثا. تجمع مارثا الأشخاص العصبيين في عائلاتٍ صغيرةٍ وتجعلهم يتقابلون مرةً أسبوعيًا. وتعلّمنا كيف يُهدئ بعضنا بعضًا بذكاء. هي الآن في إجازة. أحبّها كثيرًا.

وأفكر الآن، فيما يقترب عيد ميلادي الخمسين، في الروائي الأمريكي توماس وولف، الذي مات عندما كان في الثامنة والثلاثين فقط. كان قد تلقى مُساعدةً كبيرة في تنظيم رواياته من ماكسويل بيركنز، مُحرِّره في دار نشر تشارلز سكريبنر وأولاده. سمعتُ أن بيركنز قال له أن يجعل في رأسه بينما يكتب، كِفكرةٍ شاملةٍ، بحثَ البطل عن أب.

يبدو لي أن الروايات الأمريكية الحقيقية فعلاً ستكون عن بحث الأبطال أو البطلات على حدٍّ سواء عن أمهاتٍ لا آباء. لا إخراجٍ في ذلك؛ فتلك ببساطة هي الحقيقة.

الأم أفيدُ بكثير.

لن أشعرَ بحالٍ أفضلَ على نحوٍ خاصٍّ إن وجدتُ أبًا جديدًا، وكذلك دواين هوفر، وكذلك كيلجور تراوت.

وبينما كان دواين هوفر عديمُ الأم يُوبَّخ واین هوبلر عديمَ الأم في ساحةِ السيَّارات المُستعمَلة، كان هناك رَجُلٌ قَتَلَ أمَّهُ بالفعل، يَسْتَعِدُّ للهبوط بطائرةٍ مُستأجرةٍ في مطار ويل فيرتشايلد التذكاري على الجانب الآخر من الطريق السريع. ذلك الرجل كان إيليو تروزوت، راعي كيلجور تراوت. كان قد قَتَلَ أمَّهُ بالخطأ في حادثةٍ قواربٍ عندما كان شابًا. كانت بَطلة الولايات المتحدة في الشَّطرنج للسيدات، بعد تسعة عشرَ مائةٍ وستةٍ وثلاثين عامًا من ميلاد ابنِ الرَّبِّ، حسبما يُفترَض. قتل روزوتر أمَّهُ في العام التالي.

كان قائد طيارته هو مَنْ تَسَبَّبَ في تحويل مهبط المطار إلى فكرة سَجِينٍ سَابِقٍ عن أرض الأحلام. تذكّر روزوتر مُجَوَّهَاتِ أُمِّه عندما أُضِيَّتْ الأَنْوَارُ. نظر إلى الغرب، وابتسم لمُرَأَى الْجَمَالِ الرقيق لمركز ميلدريد باري التذكارى للفنون، قمرٌ مُكْتَمِلٌ مُسْتَقَرٌّ على أَعْمِدَةٍ في انحناءة شوجر كريك. ذكّره ذلك بكيف كانت أُمُّه تبدو عندما رآها بعيون الطفل حديث الولادة الغائمة.

أنا اختلقته بالطبع، وطياره أيضاً. وَضَعْتُ خلف لوحة تحكّم الطائرة الكولونيل لوزليف هاربر، الرَّجُلَ الذي أسقطَ القنبلة النووية على ناجازاكي في اليابان.

جَعَلْتُ روزوتر مُدِمِّنَ كُحُولٍ في كتابٍ آخر. جَعَلْتُهُ الآن أفضلَ إلى حَدِّ معقول، بمساعدة مجموعات الإقلاع عن الكحول السرية. جعلته يستغلُّ توفُّقه الجديد عن الشُّرب في استكشاف الفوائد الروحية والجسدية لحفلات الجنس الجماعية مع الأعراب في نيويورك، وأشياء أخرى. إلى الآن لم يجد إلا الارتباك.

كان بوسعي قتلُه وطياره أيضاً، لكنني تركتهم يعيشون. هكذا لَمَسَتْ الطَّائِرَةُ الأَرْضَ بلا أحداثٍ جديدة بالذَّكر.

الطَّيْبِيانِ في حافلة الكوارث المدعوة بمارثا كانا سيبريان أوكويندي من نيچيريا، وكاشدرار ميازما من البلد الوليد بنجلاديش. كلاهما كانا من أماكن في هذا العالم مشهورة بنفاد الطَّعام من وقتٍ لآخر. وكان كلا المكانين في الواقع مذكورين في كتاب كيلجور تراوت (الآن بوسعي أن أقول). قرأ دواين هوفر في ذلك الكتاب أن الروبوتات في جميع أنحاء العالم ينفد وقودها طوال الوقت، وتقع ميثنة، بينما تنتظر

في الأنحاء الفُرصةُ شبه المَعدومةِ في ظهور الكائن الوحيد ذي الإرادة الحُرّةِ في الكون لاختبارِه.

خلف عجلة قيادة حافلة الإسعاف كان يجلس شابٌ أسودٌ يُدعى إيدي كي، هو في الواقع سليلٌ مباشرٌ لفرانسييس سكوت كي، الوطنيّ الأمريكيّ الأبيض الذي كتب النشيدَ القوميّ. عرف إيدي أنه سليلٌ كي. كان بوسعه تسمية أكثر من سِتِّمائة من أسلافه، ويعرف على الأقل حكايةً واحدَةً عن كلِّ منهم. كان منهم رجالٌ أفارقةٌ وهنودٌ وبيضٌ. عرف -على سبيل المثال- أن عائلته من جهةِ أمِّه، امتلكت ذاتَ يومٍ المزرعةَ التي اكتُشِفَ فيها كهفُ المعجزةِ المُقدَّسة. وأنَّ أسلافه أطلقوا عليها "مزرعة الطائر الأزرق".

هذا كان سببَ وجودِ العديد من الأطبَّاء الأجنبيّ الشُّبَّان في طاقم المستشفى بالصدفة: لم يُنتج البلدُ أطبَّاءَ بما يكفي لكلِّ مرضاه، لكنه امتلك أموالاً كثيرة. هكذا اشترى أطبَّاء من بلادٍ أخرى لا تمتلك الكثير من المال.

عرف إيدي كي الكثيرَ عن أسلافه لأنَّ الجانبَ الأسود من أسرته يقوم بما لا تزال أسرُّ إفريقيَّةً عديدة تقوم به في إفريقيا: يجعل أحدَ أفرادِه من كلِّ جيلٍ يلعب دورَ الحافظ لتاريخ أسرته حتى الآن. بدأ إيدي كي في تخزين أسماء ومُغامرات أسلافه في عقله من جهتيّ أمِّه وأبيه من الأسرة عندما كان في السادسة فقط من عمره. وبينما جلس في مقدِّمة حافلة الكوارث، ينظر من الزُّجاج الأمامي، واتاه شعورٌ

أنه نفسه حافلة، وأنَّ عَيْنَيْهِ هُمَا الزُّجَاجُ الأمامي لها، الذي يستطيع أجدادُها النَّظَرَ عَبرَهُ إن أرادوا.

فرانسييس سكوت كي لم يَكُنْ إِلَّا واحِدًا من آلاف الأَسلاف. في حالة حدوث الفرصة شبه المعدومة، أن يكون فرانسييس هو مَنْ ينظر عبر عيونِ إيدي إلى ما صارت عليه الولايات المتحدة الآن، رَكَّزَ إيدي عَيْنَيْهِ على العَلَمِ الأمريكي المُلصَقِ على الزُّجَاجِ الأمامي. وقال هامسًا: "لا يزال يُرْفَرَفُ يا رَجُل".

* * *

إمام إيدي كي بماضٍ زاخِرٍ جعل الحياةَ أكثرَ إثارةً للاهتمام بالنسبة له أكثرَ مِمَّا هي بالنسبة لدواين مثلًا، أو لي، أو لكليجور تراوت، أو بالنسبة لأيِّ شَخِصٍ أبيضٍ آخَرَ في ذلك اليوم بمدينة ميدلاند. لم يُجَرَّبَ أَيْنًا إحساسَ أن يستخدم شَخِصٌ آخَرَ أَعْيُنَنَا أو أيادينا. لم نَعَلَمَ حتى مَنْ كان أجدادنا أو جَدَّاتِنَا القدامى. إيدي كان يطفو على نهرٍ مَليءٍ بأناسٍ يَعومون حوله طوال الوقت. أنا ودواين وتراوت كُنَّا حَصَى يَقْبَعُ ساكِنًا.

ولأن إيدي كي كان يَعَلَمُ الكثيرَ عن ظَهْرِ قَلْبِ، كان في مقدوره الشُّعورُ بِعُمقٍ وحرارةٍ بدواين هوَقر مثلًا، وبدكتور سيريان أوكويندي أيضًا. دواين كان رَجُلًا استولت أُسْرَتُهُ على مزرعة الطائر الأزرق. أوكويندي، الإنداروي، اختطفَ بَعْضُ أسلافِهِ أحدَ أسلافِ كي في السَّاحِلِ العَرَبِيِّ الإفريقي، رَجُلًا يُدعى أوجوموا. باعه الإندارويين مُقَابِلَ بندقيةٍ مسكيت للنَّخَّاسين البريطانيين، الذين أخذوه في سفينةٍ اسمُها سكايلارك إلى مدينة تشارلستون في ولاية كارولينا الجنوبية، حيث عُرضَ في مزادٍ كَالَةِ زِراعةٍ ذاتِيَّةِ الدَّفْعِ والإصلاح.

وما إلى ذلك.

* * *

دَفَعَ بدواين هوفر ليصعد على متن مارثا عبر الباب المُزْدَوَج الكبير في المؤخرة أمام مقصورة المُحَرِّك. وكان إيدي كي على مقعدِ السَّائق، يُتابع ما يحدث بالمرآة الخلفية. كان دواين مُقَمَّطًا بإحكامٍ بِمُلاءاتٍ قُمَاشِيَّة، حتى بدا لإيدي في المرآة مثل إصبعٍ إبهامٍ في ضمادة.

لم يلاحظ دواين القيود. اعتقد أنه على الكوكب البكر الموعود به في رواية كيلجور تراوت. حتَّى عندما مَدَّدَ أَفْقِيًّا بجوار سيربان أوكويندي وكاشدرار ميازما، حَسِبَ أنه يَقْفُ. أخبره الكتابُ أنه ذهب لِيَسْبَحَ في المياه الباردة على الكوكب البكر، وأنه يصيح بأشياء مُفاجِئَةً عندما يخرج من حوضِ الماء المثلَّج طوال الوقت. إنها لُعبَةٌ، فيها يحاول خالِقُ الكَوْنِ تَخْمِينَ ما سيصيح به دواين كلَّ يوم، ويكسبها دواين كُلَّ مَرَّة.

هذا ما صاح به دواين في سِيَّارة الإسعاف: "وداعًا أيها الاثنين الأزرق!"، ثم بدا له أن يومًا آخَرَ قَد مَرَّ على الكوكب البكر، وحن وقتُ الصِيَّاح مُجدَّدًا، صاح: "لا سُعالَ في السِّيَّارة"⁽¹⁾.

* * *

كيلجور تراوت كان واحدًا من المُصابين القادِرين على المَشي. استطاع الصعود إلى مارثا دون مُسَاعَدَةٍ، واختار الجلوسَ بعيدًا عن الطوارئ الحقيقية. كان قد قفز على ظهر دواين هوفر عندما جَرَّ دواين فرانسين بيفكو من عُرفَةِ العَرَضِ بوكالة السِّيَّارات إلى الأسفلت. أراد دواين أن يُبرِحَها ضربًا في العَلَن، وهو شيء جَعَلته كيميائهُ السَّيئة يَعتَقِدُ أنها استحقَّته تمامًا.

(1) "لا سُعالَ في السِّيَّارة Not a cough in a carload": الشُّعار الإعلاني لِنوعٍ من السجائر الأمريكية كان يُدعى (أولد جولد Old Gold) في ثلاثينيات القرن العشرين. [المترجم]

كان دواين قد كسر بالفعل فَكَّهَا وثلاثاً من أضلعِهَا في المكتب.
 عندما دحرجها إلى الخارج، كان هناك تَجْمَهُرٌ قوامُه القادمون من
 البار ومطبخ الهوليداي إنَّ الجديد إلى الخارج. قال للجمهور: "هذه
 أفضل آلةٍ مُضاجَعَةٍ في الولاية. لُفَّ زُنْبُرُكُهَا، وستنام معَكَ وتقول إنها
 تُجِبُّكَ، ولن تخرس حتى تُعْطِيَهَا فرع دجاج كنتاكي".

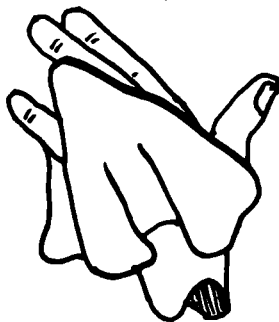
وما إلى ذلك.

وجذبه تراوت من الخلف.

وبشكل ما انزلقت بنصرُ تراوت إلى فم دواين، فقضم دواين
 عَقْلَتَهَا العُلويَّة. بعدها أطلق دواين سراحَ فرانسين؛ فسقطت على
 الأسفلت. كانت فاقِدَةً للوعي، والأكثر تَضُرُّراً من بين الجميع. وانطلق
 دواين يجري كالحصان فوق الحوض الأسمنتيَّ بجوار الطريق السريع،
 وبصق عَقْلَةً إصبع كيلجور تراوت في شوجر كريك.

* * *

لم يُفْضَل كيلجور تراوت أن يَتَمَدَّد على سريرٍ في مارثا. استقرَّ في
 المقعد الجلدي خلف إيدي كي. سأله كي ما خَطْبُه، فرفع تراوت يده
 اليُمْنى، التي يُغْطِي أغلبها مِنديلٌ دامٍ، مثل تلك:
 صاح دواين: "زَلَّةٌ لِسَانٍ قد تقتل إنساناً".



* * *

صاح دواين: "أتذكرون بيرل هاربور؟". أغلب ما فعله خلال الدقائق الخمس وأربعين المنقضية، كان مُجِئًا إلى حَدِّ شنيع. لكنه على الأقل ترك واين هوبلر يذهب. عاد واين إلى التَّلَكُّؤِ بين السَّيَّارات المُسْتَعْمَلَةَ من جديد، دون أن يَمَسَّهُ سوءٌ. والتقط السُّوَارَ الذي تركته هناك ليجده.

أما فيما يَخْصُنِي: حَافَظْتُ على مسافةٍ مُحْتَرَمَةٍ بيني وبين العنف، مع أُنِي مَنْ خَلَقْتُ دواين وَخَلَقْتُ عُنْفَهُ وَخَلَقْتُ المَدِينَةَ، والسَّمَاءَ فوقهم والأرض تحتهم. برغم ذلك، خرجتُ من الشَّغْبِ بِزُجَاجِ سَاعَةٍ مَكْسُورٍ وما سَيَتَّضِحُ لاحِقًا أنها إصْبَعُ قَدَمِ مَكْسُورٍ. قفز شخصٌ ما إلى الورا ليهرب من طريق دواين، فكسر زُجَاجَ سَاعَتِي، مع أُنِي خَلَقْتُهُ، وكسر إصْبَعُ قَدَمِي.

* * *

هذا ليس من الكتب التي ينال فيها الناس ما يستحقُّون في النهاية. دواين آذَى شَخْصًا واحدًا فقط يستحقُّ الإيذاء فعلاً لكونه شريراً جداً: دون بريدلوف. بريدلوف كان عامِلَ تَرْكِيبِ وَحَدَاتِ غَازِ الذي اغتصب باي كين، نادِلَةَ دواين في مطعم برجر تشيف بجادَّةِ كريستفيو، في ساحة الانتظار خارج استاد چورچ هيكرمان بانستر التذكاري بمقاطعة فيرجراوندز، بعدما هزمت جامعة السودانى مدرسة العابر البريء الثانويَّة في تصفيات كرة السَّلَّةِ للمدارس الثانويَّة المَحَلِّيَّةِ.

* * *

دون بريدلوف كان في مطبخ الفندق عندما بدأت ثورة دواين. كان يصلح فُرْنَ الغَازِ المعطوب هناك.

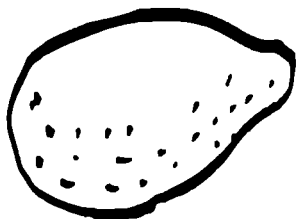
خرج منه بحثًا عن بعض الهواء النقي، وجاء دواين يركض نحوه. كان دواين قد بصق لِتَوِّهِ عُقْلَةً إصْبَعِ كِيلْجُورِ تراوت في شوجر كريك.

عرف دون ودواين بعضهما جيِّدًا، منذ باع دواين لدون سيارة بونتياك فينتورا جديدة، وقال عنها دون إنها ليمونة. الليمونة هي سيَّارة لا تمشي على ما يُرام، ولا أحدَ يَقْدِرُ على تصليحها.

خسر دواين في الواقع أموالًا في ذلك التَّعامُلِ، بعدما قام بتحسيناتٍ واستبدال أجزاء في محاولته لإرضاء بريدلوف. لكنَّ بريدلوف لم يُرضه شيءٌ، وفي النهاية كتب بحروفٍ صفراءٍ فاقعةً على باب شنطة السيارة وكلا بابَيْها:

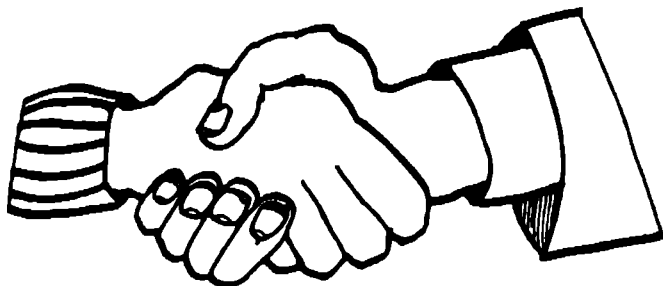
هذه السيارة

ليمونة



بالصدفة، هذا كان الخُطْبَ الحَقِيقِيَّ بالسيارة: ابن جار بريدلوف وضع سُكَّرَ قَيْقَبٍ في خَزَّانِ وقود الفينتورا. سُكَّرُ القَيْقَبِ هو نوعٌ من الحلوى المصنوعة من دماء الأشجار.

هكذا مَدَّ دواين هوفر يده اليمنى إلى بريدلوف، وبدون تفكير أخذ بريدلوف يَدَه في يَدِه. اتَّصَلَت الأيادي كالتَّالي:



ذلك كان رمزاً للصدّاقة بين الرجال. بالإضافة إلى أن الطريقة التي يصافح بها الرَّجُلُ غَيْرَه تقول الكثيرَ عن شخصيته. اعتصر دواين ودون بريدلوف أيادي بعضهم بجفافٍ وقُوَّة.

تمسَّك دواين بيَدِ دون بريدلوف اليمنى، وابتسم كما لو أنه عفا عمَّا سَلَفَ. ثم ثنى يده اليسرى على شكل كأس، وصرع أُذُنَ دون بالجانب المفتوح من الكأس. أدَّى هذا إلى صَغَطِ جَوِّيِّ هائلٍ في أُذنِ دون. وقع على الأرض لأنَّ الألم كان شديدَ السُّوء. لن يسمع دون بهذه الأذُنِ مُجدِّداً.

* * *

هكذا كان دون أيضاً في سيارة الإسعاف، جالساً مثل كيلجور تراوت. فرانسين كانت مُمدِّدَةً، فاقِدَةً للوعي، لكن تتأوَّه. بياتريس كيدسلر كانت مُمدِّدَةً، رغم كونها قادِرةً على الجلوس، فكَّها كان مكسوراً. باني هوفر كان مُمدِّداً، صار لا يمكن التَّعرُّفَ على وجهه، ولو حتى كوجِهٍ فقط. أعطاه سيرريان أوكويندي المورفين.

وكان هناك خمس ضحايا آخرون أيضاً: أنثى بيضاء، ودُكْران أبيضان، ودُكْران أسودان. البِيضُ الثَّلَاثَةُ لم يزوروا مدينة ميدلاند من قبل. كانوا

في طريقهم معًا من مدينة إيرى في بنسلفانيا، إلى الجراندي كانيون، وهو أكثر الصُدوع عُمقًا في الكوكب. أرادوا أن ينظروا إلى الهاوية، لكنَّ الفرصةَ لن تُتاحَ لهم أبدًا. اعتدى عليهم دواين هوغر فيما هم مُتجهون من السيَّارة إلى لوبي الهوليداي إنَّ الجديد.

وكلا الذَّكرين الأسودين كانا من موظفي مطبخ الفندق.

* * *

حاول سيبريان أوكويندي نزعَ حذاء دواين هوغر، لكنَّ حذاء هوغر وأربطته وجوربه كانوا مُفعمين بالمادَّة البلاستيكية، التي علقت بهم عندما خاض في شوجر كريك.

لم يكن أوكويندي في حيرةٍ من وحدة الحذاء والجوارب البلاستيكية تلك؛ فهو يرى مثلها في المستشفى كل يوم، في أقدام الأطفال الذين يلعبون بالقرب من شوجر كريك أكثر من اللازم. بل كان في الواقع يحْتَفِظُ بِمَقْصُ حديدِيٍّ مُعلَّق على حائط غرفة الطوارئ بالمستشفى، لِقَطْعِ وحدات الأحذية والجوارب البلاستيكية.

استدار مُساعِدهُ البِنْجاليُّ، الطبيب الشاب كاشدرار ميازما.

قال: "هات لي مقصًا".

كان ميازما يقف بظهره مُسْتَنِدًا إلى باب حَمَّام السيدات في أوتوبيس الطوارئ. لم يفعل أيَّ شيء حتى الآن للتَّعامُل مع الطوارئ، قام أوكويندي والشرطة وفريق الدفاع المدني بكلِّ العمل حتى الآن. رفض ميازما حتَّى البَحْثَ عن مقصِّ.

ميازما ببساطةٍ لم يَكُنْ عليه أن يعمل في مجال الطَّبِّ على الإطلاق، أو على الأقل في أيِّ حَقْلٍ يُحْتَمَل فيه أن يتعرَّض للنقد. لم يستطع تحمُّل النقد. تلك كانت سِمَةً فيه تتجاوز قُدْرَتَه على السيطرة. أي

إشارة إلى أي شيء فيه ليس شديد الروعة، تُحوّله أوتوماتيكياً إلى طفلٍ مُتذمّرٍ بلا فائدة، لا يفعل شيئاً إلاّ ترديد أنه يريد الذهاب إلى المنزل. وهذا ما قاله عندما طلب منه أوكويندي للمرة الثانية أن يجِدَ مَقصّاً: "أريد الذهاب إلى المنزل".

ذلك كان الشيء الذي تعرّض للنّقد بسببه، قبل ورود البلاغ أن دواين هاج كثور: بَتَرَ ميازما قَدَمَ رَجُلٍ أسود، مع أن القَدَم كانت على الأرجح قابِلَةً للإنقاذ. وما إلى ذلك.

بوسعي أن أمضي أكثر وأكثر في ذِكرِ التفاصيل الحميميّة لحياة الأشخاص الموجودين في حافلة الإسعاف الخارقة، لكن ما فائدة المزيد من المعلومات؟

أنا أتفق مع كيلجور تراوت فيما يَخُصُّ الروايات الواقعية وتَراكم التفاصيل شديدة الدقّة فيها. في رواية تراوت (بنك الذاكرة العابر للقارات)، البطل في سفينة فضاءٍ طولها مائتا ميل، وقُطْرُها اثنان وستون ميلاً. استعار روايةً واقعيّةً من فرع المكتبة في حيّه، قرأ منها حوالي سِتِّين صَفْحَةً، ثم أعادها إلى المكتبة.

سألته أمنيّة المكتبة لماذا لا تُعجبه، قال لها: "أنا أعرف الكثير عن البشر بالفعل". وما إلى ذلك.

مكتبة
t.me/t_pdf

بدأت مارثا في التَّحَرُّك. رأى كيلجور تراوت لافتةً أَحَبَّهَا كَثِيرًا. هذا ما تقول:



وما إلى ذلك.

عاد وَعَيُّ دواين هوفر لِلْحَظَّةِ وجيزة إلى الأرض. تحدَّث عن فتحِ نادٍ صَحِّيٍّ في ميدلاند، بآلاتِ تَجْدِيفٍ وَدَرَّاجَاتِ ثَابِتَةٍ وچاكوزي ومصابيحِ شَمْسِيَّةٍ وَحَمَّامِ سَبَاحَةٍ، وما إلى ذلك. قال لسبيريان أوكويندي إن الفكرة في النوادي الصَّحِّيَّةِ هي فَتْحُهَا ثم بَيْعُهَا في أَقْرَبِ فُرْصَةٍ مُمَكِّنَةٍ مُقَابِلَ رِبْح. قال: "يتحمَّس الناس بِسُرْعَةٍ لِفُقْدَانِ الوَزن واستعادة

اللياقة، فَيَسْجُلُونَ فِي الْبِرْنَامِجِ، ثُمَّ يَفْقَدُونَ اهْتِمَامَهُمْ بَعْدَ سَنَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، وَيَتَوَقَّفُونَ عَنِ الْمَجِيءِ. هَكَذَا هُمْ النَّاسُ."

وما إلى ذلك.

لَنْ يَفْتَتِحَ دَوَائِنَ أَيِّ نَادٍ صِحِّيٍّ. لَنْ يَفْتَتِحَ أَيُّ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا. سَيَقَاضِيهِ النَّاسُ الَّذِينَ آذَاهُمْ دُونَ حَقِّ بَشْرَاسَةِ انْتِقَامِيَّةٍ حَتَّى يُفْلِسَ. سَيُصْبِحُ "بَالُونًا" عَجُوزًا بَاهِتًا آخِرَ مَنْ بَالُونَاتِ حِي سَكِيد-رُو، الَّذِي هُوَ حَيٌّ فُنْدُقِ فِيرْتشَايِلْد الَّذِي كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ فَاخِرًا. سَيُصْبِحُ الْمُشْرَدَّ الْوَحِيدَ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ عَنْهُ بِحَقِّ: "أَتَرَاهُ؟ أَتَصَدَّقُ ذَلِكَ؟ إِنَّهُ لَا يَمْلِكُ حَتَّى الْهَوَاءِ، لَكِنَّهُ ذَاتَ يَوْمٍ كَانَ فَاحِشَ الثَّرَاءِ."

وما إلى ذلك.

قَشَّرَ كِيلْجُورُ تَرَاوَتَ شَرَايِحَ الْبِلَاسْتِيكِ عَنِ أَقْدَامِهِ الْمُحْتَرِّقَةِ فِي سَيَارَةِ الْإِسْعَافِ. اضْطَرَّ لِاسْتِخْدَامِ يَدَيْهِ الْيُسْرَى السَّلِيمَةِ.

الخ!

خاتمة

عُرْفَةُ طَوَارِيءِ الْمُسْتَشْفَى كَانَتْ فِي قَبْوِهَا. بَعْدَمَا طُهِرَتْ جَدَعَةُ بُنْصُرَ كِيلْجُورِ تَرَاوَتْ وَخِيْطَتْ وَضُمَّدَتْ، قِيلَ لَهُ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى الشُّؤُونِ الْمَالِيَةِ فِي الدُّوْرِ الْعُلُويِّ. كَانَ عَلَيْهِ مَلَأُ بَعْضِ الْاِسْتِمَارَاتِ، بِمَا أَنَّهُ مِنْ خَارِجِ مِقَاطَعَةِ مِيدَلَانْدِ وَبَلَا تَأْمِينِ صِحِّيٍّ، وَمُفْلِسٍ. لَمْ يَكُنْ مَعَهُ دَفْتَرُ شِيكَاتٍ، لَمْ يَكُنْ مَعَهُ نَقُودٌ.

تَاهُ فِي الْقَبْوِ قَلِيلاً، مِثْلَمَا يَتَوَهَّ كَثِيرُونَ. وَجَدَ بَابَ الْمَشْرَحَةِ الْمَزْدُوجِ، مِثْلَمَا يَجِدُهُ الْكَثِيرُونَ. فَكَّرَ تَلْقَائِيًّا فِي مَوْتِهِ الْحَتْمِيِّ، مِثْلَمَا يُفَكِّرُ الْكَثِيرُونَ. وَجَدَ عُرْفَةَ أَشْعَّةِ سَيْنِيَّةٍ غَيْرِ مُسْتَخْدَمَةٍ، جَعَلْتَهُ يَتَسَاءَلُ تَلْقَائِيًّا إِنْ كَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ مَا خَبِيْثٌ يَنْمُو دَاخِلَهُ. مَرَّ ذَاتُ التَّسَاوُلِ فِي خَاطِرِ الْكَثِيرِينَ عِنْدَ عُبُورِهِمْ بِتِلْكَ الْغُرْفَةِ.

لَمْ يَشْعُرْ تَرَاوَتْ الْآنَ بِشَيْءٍ لَنْ يَشْعُرَ بِهِ الْمَلَائِينَ غَيْرَهُ مِنَ الْبَشَرِ تَلْقَائِيًّا.

وَوَجَدَ تَرَاوَتْ سَلَالِمَ، لَكِنْهَا لَيْسَتْ السَّلَالِمَ الصَّحِيْحَةَ؛ فَقَدْ أَخَذَتْهُ لَا إِلَى الْبَهْوِ وَمَكْتَبِ الْمُحَاسِبِ وَمَتَجَرِّ الْهَدَايَا وَهَذِهِ الْأَشْيَاءِ، بَلْ إِلَى

مصفوفة من الغُرفِ حيث يتعافى الناس من إصاباتٍ من جميع الأنواع، أو يزدادون سَقَمًا. كان الكثيرون هنا مُلتصقين في الأرض بقوة الجاذبية، وهي قوة لا ترتخي ولو لثانية.

عبر تراوت من أمام عُرفةٍ خاصّةٍ باهظة الثمن، وفيها كان شابٌ أسودٌ، وهاتفٌ أبيضٌ وتلفزيونٌ مُلوّنٌ وعُلبٌ حلوى وبقاآت زهور في كلِّ مكان. كان ذلك إلجين واشنطن، قوَاد يُدير عمله من الهوليداي إن القديم. كان في السادسة والعشرين فقط من عمره، لكنه كان فاحش الثراء.

كانت ساعات الزيارة قد انتهت، وجاريأته السُّت اللواتي يُتاجرُ بهنَّ قد ذهبن. غير أنَّهن تَرَكْنَ خَلْفَهُنَّ سَحَابَةً من العطور. تهوَّع تراوت عندما عبر أمام الباب، في ردِّ فعلٍ تلقائيٍّ للسَّحابة العدائيَّة في جيوبه الأنفية؛ ما ضَخَّم بشكلٍ هائلٍ الرِّسائلِ التَّخاطريَّة التي يرسلها ويستقبلها. شعرت أنه أكبر من الحياة بمائة مرَّة؛ لأن الرسائل صارت عاليَّة ومثيرة. كانت الضَّجَّةُ هي ما يثيره، لا ما تقول.

وسط كلِّ تلك الضَّجَّة، قال إلجين واشنطن شيئًا مُتملِّقًا لتراوت: "يا رَجُل، يا رَجُل، يا رَجُل". كان دكتور كاشدرار ميازما قد بَتَرَ قَدَمَه مُبكرًا في ذلك اليوم، لكنه نسي ذلك. نادى مُداهنًا: "يا رجل، يا رجل". لم يَرُدُّ شيءٌ بعينه من تراوت. جزءٌ ما من عقله كان يمارس بلا وعي مَهَارَتَه في جذب الغُرباء إليه. كان صَيَادَ أرواحِ رجالٍ. "يا رجل...". أظهر سِنًا ذهبيًا، وغَمَزَ عَيْنًا.

اقترب تراوت من نهاية سريِر الرِّجُل الأسود. لم يكن ذلك بدافعٍ من التَّعاطُف، كان يتحرَّك أليًا مُجددًا. تراوت، مثل كثير من الأرضيين، كان مُغفلاً فول-أوتوماتيك عندما يتعلَّق الأمرُ بشخصيَّةٍ سامَّةٍ مثل إلجين واشنطن تقول له ما يريد وما يفعل. كِلا الرِّجُلَيْن، بالصدِّفة،

كان يعود أصلهما إلى الإمبراطور شارلمان. أي شخصٍ ذو دماءٍ أوروبيةٍ في عروقه هو سليلٌ للإمبراطور شارلمان.

أدرك إلجين واشنطن أنه اجتذب إنسانًا آخرَ دون قصدٍ. لم يكن من طبعه أن يدعه يذهب دون أن يقللَ منه، دون أن يشعره أنه أحمقٌ بشكلٍ ما. في بعض المرات قتل رجالًا ليقللَ منهم. لكنه كان لطيفًا مع تراوت. أغلق عينيه وكأنه يفكر بعمقٍ، ثم قال بصديقٍ: "أعتقد أنني أموت".

قال تراوت: "سأحضرُ ممرضَةً". أي إنسان كان سيقول الشيء ذاته. قال إلجين واشنطن، ملوِّحًا بيده في اعتراضٍ حالمٍ: "لا، لا.... أنا أموت ببطء، بالتدريج".

قال تراوت: "أرى ذلك".

قال واشنطن: "اعمل في معروفًا". لم يملك أدنى فكرةٍ عن المعروف الذي سيطلبه. لكن سيخطرُ على باله واحدٌ. دائمًا ما تخطر له أفكارُ خدمات.

قال تراوت بعدم ارتياحٍ: "أي معروف؟". تبيس عند ذكرِ معروفٍ غير مُحدّد. كان من ذلك النوع من الآلات. وواشنطن عرف أنه سيتبيس. كلُّ إنسانٍ هو من ذلك النوع من الآلات.

قال: "أريدك أن تسمعني بينما أصفرُ أغنيةَ العنديلِب". وأمر تراوت أن يسكتَ بتوجيهِ نظرةٍ شريرةٍ إليه.

قال: "ما يُضاعفُ الجمالَ الغريبَ لنداءِ العنديلِب، الذي يعشقه الشعراءُ، حقيقةً أنه لا يغني إلا في ضوء القمر". ثم فعل ما يفعله كلُّ شخصٍ أسود في ميدلاند تقريبًا: حاكى صوتَ العنديلِب.

تأجل مهرجان ميدلاند للفنون بسبب الجنون. فريد تي. باري، مدير المهرجان، جاء إلى المستشفى في سيارته الليموزين، يلبس مثل الصينيين، ليقدّم تعاطفه إلى بياتريس كيدسلر وكيلجور تراوت. لم يستطع أحدٌ إيجاد تراوت في أيّ مكان. وبياتريس كيدسلر كانت قد نامت بالمورفين.

افترض كيلجور تراوت أن مهرجان الفنون سيحدث برغم كلّ شيء هذه الليلة. لم يكن معه أيّ نقود لأيّ وسيلةٍ مواصلاتٍ؛ فانطلق على قدميه. بدأ طريق الخمسة أميال بالسّير في جادّة فيرتشايلد، متولّيًا نقطةً صغيرةً متوهّجة في آخر المطاف. النقطة كانت مركز فنون مدينة ميدلاند. سيجعلها تكبر بالمشي إليها. عندما يجعلها مشيه كبيرةً بما يكفي، ستبتلعه. وسيكون هناك طعامٌ.

* * *

على بُعد ستّ مربّعاتٍ سكنيّةٍ تقريبًا، انتظرته لأعترض طريقه. جلسّ في سيارة بليموث داستر، استأجرتها من شركة أفيس لتأجير السيارات، ببطاقتي الائتمانيّة من داينرز كلوب. كان في فمي أنبوبة ورقية، محشوة بأوراق أشجار. أشعلتها. ذلك كان فعل elegant.

طول عضوي كان ثلاث بوصات، وقطره خمس بوصات. قُطر قضبي هو الأكبر عالميًا على ما أظن. ارتخى الآن في سروالي الداخلي. وخرجت من سيّارتي لأفرد رجلي، ما كان فعل elegant آخر. كنت بين المصانع والمستودعات. أضواء الشوارع كانت متباعدةً وواهنة. ساحات ركن السيّارات كانت خاويةً عدا من سيارات خُفراء الليل، التي كانت متناثرةً هنا وهناك. لم يكن هناك أيّ مرور في جادّة فيرتشايلد، التي كانت ذات يوم شريان المدينة الأورطي. امتصّ رحيق الحياة منها الطريقي السّريع وحزام روبرت إف. كيندي الداخلي، الذي بُني على مسار خطّ مونون للسكّة الحديديّة القديم. لم تعد مونون موجودةً.

* * *

* * *

لا ينام أحدٌ في ذلك الجانب من المدينة. ولا يوجد مَنْ يَتَجَوَّلُ هناك. يتحوَّلُ إلى مجموعةٍ قِلاَعٍ في الليل، بأجهزةٍ إنذارٍ وأَسوارٍ عالِيَةٍ وكلابٍ حِرَاسَةٍ، التي كانت آلاَتِ قَتْلِ.

عندما خَرَجْتُ من سيارتي البليموث، لم أَخَفْ من شيء، وكان في ذلك غَبَاءٌ مِنِّي. المُوَلَّفُ الغافل، خاصَّةً عندما تكون موادُّ عَمَلِهِ بهذه الخطورة، عليه أن يتوقَّع هجماتٍ مُؤلِّمةً على حين غِرَّةٍ كصواعِقِ البرق.

كنت على وشك التَّعرُّضِ للهجوم من قبل كَلْبٍ دوبرمان بينشر، والذي كان شخصيَّةً رئيسيَّةً في نُسخةٍ سابقَةٍ من هذا الكِتَابِ.

* * *

اسمَعْ: اسم الدوبرمان كان كازاك. كان يَحْرُسُ ساحةَ توريد شركة ماريتيمو بروزرز للمقاوَلات في الليل. مُدْرَبُو كازاك، أيُّ الناس الذين شرحوا له أيُّ نوعٍ من الكواكب هو ذلك الذي يمشي عليه، وأي نوع من الحيوانات هو، علِّمواهُ أن خالِقَ الكون أراد منه قَتْلَ أيِّ شيءٍ يستطيع الإمساك به، وأكله أيضًا.

في نُسخةٍ سابقَةٍ من هذا الكِتَابِ، جعلت بنجامين دايفرز، الزوج الأسود للوتي دايفرز، خادمة دواين هوفر، يعتني بكازاك. كان يُلقِي بقطعة لحمٍ نَبِيَّةٍ إلى الحفرة التي يعيش فيها كازاك في النهار، يَجْرُ كازاك إلى الحفرة مع شروق الشمس، يصرخ فيه ويرميه بكُرَاتِ التَّنِسِ عند غروب الشمس، ثم يُطَلِّقُ سراحه.

كان بنجامين دايفز عازف البوق الأول بأوركسترا سيمفونية مدينة ميدلاند، لكنه لم يتلقَ أيَّ راتبٍ مُقابل ذلك؛ فاحتاج إلى وظيفة حقيقية. ارتدى ملابس سميكة مصنوعة من مراتب مخلّفات الحرب والأسلاك المعدنية، حتى لا يستطيع كازاك قتله. حاول كازاك وحاول. يمكن إيجاد قطع من المراتب والأسلاك في كل أنحاء الساحة.

وفعل كازاك أفضل ما بوسعه لقتل أيِّ شخصٍ يقترب أكثر من اللازم من السور المحيط بكوكبه. ففَزَ تجاهَ الناس وكان السور غير موجودٍ. انبعج السور إلى الخارج في اتجاه الرصيف، بدا وكأنَّ أحدهم يُطلق عليه قذائف مدفعيَّة من الداخل.

كان يجب أن الأِحْظَ شكّل السور الغريب عندما خرجت من سيَّارتي، عندما أشعلت السيجارة بطريقة elegant. كان يجب أن أعرف أن شخصيَّة بشراسة كازاك لا تُحذف من الروايات بسهولة.

كازاك كان رابضاً خلف كومة من الأنابيب البرونزية اشترتها ماريتيمو بروزرز في صباح ذلك اليوم من لصِّ بسعيرٍ بخسٍ. كازاك كان ينوي قتلي.

* * *

أدرت ظهري للسور، وأخذت نفساً عميقاً من سيجارتي. ستقتلني بول مول عاجلاً أم آجلاً. وتأمّلتُ فلسفيّاً أسوار قصر كيدسلر القديم التي يكتنفها الظلام، على الناحية الأخرى من جادة فيرتشايلد.

نشأت بياتريس كيدسلر هناك. أشهر جرائم قتل في تاريخ المدينة حدّثت هناك. ويل فيرتشايلد، بطل الحرب، وخال بياتريس كيدسلر، ظهر ذات ليلة صيفيَّة في عام 1926، حاملاً بُندقية سبرينجفيلد. قتل بها خمسة من أقاربه وثلاثة من الخدم ورجلي شرطة، وكل الحيوانات

في حديقة حيوانات كيدسلر الخاصّة. ثم أطلق الرصاص على نفسه في القلب.

عندما شُرِّحَتْ جُثَّتُهُ، وجدوا في مَخِّهِ وَرَمًا بِحَجْمِ الخرطوش. ذلك كان سببَ جرائم القتل.

بعدما خسر آل كيدسلر القصرَ مع بداية الكساد الكبير، انتقل إليه فريد تي. باري ووالدها. امتلأ القصرُ القديم بأصوات الطيور البريطانية. أمسى الآن ملكيّةً صامتةً للمدينة، وهناك حديثٌ عن تحويله إلى مُتَحَفٍ، حيث يستطيع الأطفال تَعَلُّمَ تاريخ مدينة ميدلاند، كما تحكيه رؤوسُ الأسهم والحيوانات المُحَنِّطَة، وآثار الرجال البيضِ القديمة.

عرض فريد تي. باري أن يتبرّع بنصف مليون دولار للمُتَحَفِ المُقْتَرَحِ، بشرطٍ واحد: أن تُعْرَضَ فيه أوّلُ روبرو ماچيك والملصقات الدعائية القديمة لها.

وأراد أن يُعْرَضَ أيضًا فيه كيف تطوّرت الآلات مثلما تطوّرت الحيوانات، لكن بسرعة أكبر بكثير.

حدّقتُ في قصر كيدسلر، ولم أتخيّل قطُّ أن هناك كلبًا يغلي على وشك الفوران خلفي. اقترب كيلجور تراوت. كنتُ لا أكاد أكرّثُ لِقُدومه، رغم أننا كانت لدينا أشياء بالغة الأهميّة يجب أن نتبادل قَوْلها عن خَلْقِي له.

فكّرتُ بدلًا من ذلك في جَدِّي لأبي، الذي كان أوّلَ مَنْ يحصل على رُخْصَة مُهندِسٍ مِعماريٍّ في ولاية إنديانا. صَمَّمَ عددًا من بيوت

الأحلام لمليونيرات إنديانا. صارت تلك الآن ثلّاجاتٍ موتى ومدارس
جيتار وسراييب قبو. فكَّرتُ في أمِّي، التي أخذتني في جولَةٍ بالسَّيَّارة
حول مدينة إنديانابوليس ذاتَ مَرَّةٍ إِبَّانَ الكساد الكبير، لِتُبهرني بالمدى
الذي كان عليه ثراءُ أبيها وقوَّته. أرَّنتني أين كان مَصنَعُه للبيرة، وأين
كانت بعض بيوت الأحلام التي امتلكها. كلُّ تلك المعالم لم تُعدَّ أكثرَ
من سراييب قبو.

كيلجور تراوت صار على مَبَعْدَةٍ نِصْفِ مُرَبَّعٍ سَكْنِيٍّ من خالِقِه
الآن، وأبطأ من خطاه. جعلته يقلِّقُ.

استدرتُ ناحيته، حتى تصبح تجاويف الجيوب الأنفية عندي،
حيث تُرسلُ وتُستقبلُ كل الرسائل التخاطبيَّة، على خَطِّ مُستقيمٍ مع
نظيرتها عنده. قلتُ له ذلك بالتَّخاطُر: "عندي لك أخبارٌ حُلوةٌ".
قفز كازاك.

* * *

رأيت كازاك برُكنٍ عيني اليمنى. عيناه كانتا مراوحَ تَدور، أسنانه
كانت خناجرَ بيضاء، لعبه كان سيانيد، دماؤه كانت نيتروجليرين.
كان يحوم في اتجاهي مثل منطادٍ يتهادى بكسل في الهواء.
أخبرت عيناى عقلي عنه.

أرسل عقلي رسالةً إلى منطقةٍ تحت المهاد، تخبرها بأن تُفرِّزَ
هرمون سي. أر. إف. في الأوعية القصيرة التي تربط تحت المهاد بالغُدَّة
النخامية.

جعل هرمون سي. أر. إف. الغُدَّة النُخامية ترمي بهرمون إيه. سي.
قي. إتش. في مَجرى الدم. كانت غُدَّتِي النخامية تصنع وتُخزَّنُ هرمون

إيه. سي. تي. إتش. تحسبًا لمثل تلك المناسبة. وأخذ المنطاد يقترب أكثر فأكثر.

ووصل بعض الإيه. سي. تي. إتش. إلى الغشاء الخارجي للغُدِّ الكظريَّة، التي كانت تصنع وتُخزَّن الهرمون القشري السُكري للطوارئ. أضافت غُددي الكظريَّة الهرمونات القشريَّة السُكريَّة إلى مجرى دمائي. ودارت تلك في أنحاء جسدي، مُبدِلةً الجليكوجين إلى جلوكوز. والجلوكوز هو طعام العضلات، سيساعدني على القتال كقط وحثي أو على الهرب كغزال.

واقرب أكثر فأكثر.

ومنحتني الغُدُّ الكظريَّة جرعةً من الأدرينالين أيضًا. بات لوني بنفسجيًا فيما ارتفع ضغط دمى إلى عنان السماء. جعل الأدرينالين قلبي يدقُّ مثل إنذار كشف اللصوص. وجعل شعري ينتصب. وجعل أيضًا مُخترات الدم تنهمر في مجرى دمائي، هكذا إن جرحت، لا أفقد رحيق حياتي بسهولة.

كلُّ ما حدث في جسدي حتى الآن يقع ضمن الإطار الطبيعي لعملیات الآلة البشرية. لكنَّ جسدي قام بإجراءٍ دفاعيٍّ آخر قيل لي إنه الأوَّل من نوعه في التاريخ الطبي. ربَّما حدث لي بسبب ماسٍ كهربيٍّ في سلكٍ أو انكسار ترس. أيًّا كان، فما حدث كان أُنِي سَحَبْتُ خِصِيَّتِي إلى التجويف البطني، سحبتهم إلى داخل جسدي مثلما تستعيد الطائِرة عَجَلَاتِهَا بعد الإقلاع. والآن يخبرونني أُنِي لن أستطيع إخراجهم مُجددًا دون عمليَّةٍ جِراحِيَّة.

على كُُلِّ حال، رأني تراوت من على بُعدِ نصفِ مُربَّعِ سَكْنِي، دون أن يعلم مَنْ أنا، دون أن يعلم عن كازاك وما فعله جسدي بسبب كازاك.

يومُ تراوت كان مليئًا بالأحداث حتى الآن، لكنه لم يَنْتَه بعد. فالآن،
رأى خالقه يَقْفِزُ من فوق سيارة.

هَبَطْتُ على يديَّ ورُكْبَتَيَّ في منتصفِ جادَّةِ بوليفارد.

اصطدم كازاك بالسور. قَبَضْتُ عليه الجاذبيَّةُ مثلما قَبَضْتُ عليَّ.
طَرَحَتْه الجاذبيَّةُ أرضًا على الخرسانة. فقد الكلبُ العَبِيْطُ وَعَيْه.

دار تراوت على عَقْبَيْه. أسرعَ عائِدًا مُتَوَتِّرًا إلى المستشفى. نادَيْتُه،
لكن هذا جعله يُسرِعُ أكثر.

فقفزت إلى سيَّارتي وطارده. كنتُ لا أزال مسطوِّلاً بفعل الأدرينالين
والهرمون القِشْرِيَّ السُّكْرِيَّ وكل تلك الأشياء. لم أَكُنْ أعلمُ بَعْدُ أَنِي
سَحَبْتُ خِصِيَّتِي لِلدَّاخِلِ في خِصَمِّ الإِثَارَة. لم أشعر إلا بانزعاج مُبْهِمٍ
من تحت.

صار تراوت يعدو عندما أصبحتُ بجواره. ضَبَطْتُهُ على سُرْعَةٍ
أحد عشر ميلًا في الساعة، وهي سرعة مُمتازة بالنسبة إلى رَجُلٍ في
مثل عمره. صار هو أيضًا مليئًا بالأدرينالين ومُخْتَرَاتِ الدَّمِ والهرمون
القِشْرِيَّ السُّكْرِيَّ.

نوافذي كانت مفتوحةً، ونادَيْتُه: "يا مستر تراوت! يا مستر
تراوت!".

النداء بالاسم هدأ من سرعته.

قلتُ: "تريث، أنا صديق". توقَّف، واستند لاهئًا مُنْهَكًا إلى سور
يحيط بمستودع أجهزة يعود لشركة جنرال إلكتريك. رمز الشركة
وشعارها كانا مُعَلَّقَيْنِ في سماء الليل خلف كيلجور تراوت، الذي
كانت عيناه مُتَسَعَّتَيْنِ. الشُّعَارُ كان ذلك:

التَّقدُّمُ

هو أهمُّ مُنتجاتنا

قلتُ من داخل عَتَمَةِ السيارة: "يا مستر تراوت، لا يوجد ما تخاف منه. جِئْتُ لأبشِّركَ بسعادة عظيمة".

تمهَّل لاستعادة أنفاسه؛ لذا لم يكن كثير الكلام في البداية. قال: "هل... أنت... هل أنت... من مهرجان الفنون؟". دارت عيناه في محجرتيهما.

أجبتُ: "أنا من مهرجان كُلِّ شيء".

قال: "من ماذا؟".

فكَّرتُ أنَّ من الأفضل أن أدَّعه يُلقِي نظرةً جيِّدَةً عَلَيَّ، فحاولت أن أضيء بعض النور. غير أنني شَغَلْتُ غَسَّالَةَ الرُّجَّاج الأمامي بدلاً من ذلك. أغلقتها مرَّةً أخرى. صارت رؤيتي لأضواء مستشفى المقاطعة مُشوَّشَةً بقطرات المياها. سحبت مفتاحًا آخر، فخرج في يدي. اتَّصَحَّ أنه قدَّاحة السجائر. لم يُعد لديَّ خيارٌ إلا الاستمرار في الحديث من العَتَمَةِ.

قلتُ: "مستر تراوت، أنا روائيٌّ، أنا خَلَقْتُكَ لأستخدِمَكَ في كُتبي".

قال: "اعذُرني؟".

قلتُ: "أنا خَالِقُكَ. أنتَ الآن في قلب كتابٍ، بالقرب من نهايته في الواقع".

قال: "هممم".

"أهناكَ ما ترغب في أن تسألني عنه؟".

قال: "اعدُرني؟".

قلتُ: "لديكَ مُطَلَقُ الحُرِّيَّةِ في السُّؤالِ عن أيِّ ما تريد، عن الماضي أو عن المستقبل. هناك جائزةٌ نوبلٍ تنتظِرُكَ في المستقبل".

قال: "جا... ماذا؟".

مكتبة

t.me/t_pdf

"جائزة نوبل في الطب".

قال: "هاه...". بصوتٍ غير ملزم.

"ورثبتُ لَكَ أيضًا الوصولَ إلى ناشرٍ مُحترَمٍ من الآن فصاعدًا. لا حاجة بكِ لِكُتُبِ القنادس بعد الآن".

قال: "هممم".

قلت: "لو كنتُ مكانَكَ، لا شكَّ أني سيكون عندي أسئلة كثيرة".

قال: "هل معكَ سلاحٌ؟".

ضحكتُ في الظلام، حاولتُ إشعالَ النُّورِ مرَّةً أُخرى، فشغلتُ غَسَّالَةَ الزُّجاجِ مُجدِّدًا. "لستُ بحاجةٍ إلى سلاحٍ لأتحكَّم بِكَ يا مِستر تراوت. كل ما عليَّ هو كتابة شيءٍ ما عنكَ، وسيتحقِّق فورًا".

قال: "أنتَ مجنون؟".

قلتُ: "لا". ثم دَمَرْتُ قُدْرَتَهُ على الشُّكِّ بي. نَقَلْتُهُ إلى تاج محل، ثُمَّ إلى فينيسيا ثُمَّ إلى دار السلام ثُمَّ إلى سطح الشمس، حيث لا يستطيع لَهَبُها أن يَلْتَهِمَهُ، ثُمَّ أَعَدُّتُهُ من جديدٍ إلى ميدلاند.

انهار العجوزُ المِسكينُ ووَقعَ على رُكبتَيْهِ. دَكَّرَنِي بالطريقة التي كانت تستجيب بها أُمِّي وأُمُّ باني هوفر لمن يُوجِّه نَحْوَهُما كاميرا فوتوغرافية.

وبينما ينكمش في مكانه، نَقَلْتُهُ إلى برمودا في طفولته، وجَعَلْتُهُ يتأمل بِيضَةَ نَسْرِ برمودا غير مُخَصَّبَةٍ. ثم أخذته إلى إنديانابوليس في طفولتي، ووَضَعْتُهُ بين جمهور السيرك هناك. جَعَلْتُهُ يرى رَجُلًا مُصَابًا باختلاجٍ حَرَكِيٍّ، وامرأةً ذاتَ غُدَّةٍ دَرَقِيَّةٍ أَضْحَمَ من القَرع العَسَلِيِّ.

* * *

خَرَجْتُ من سيارتي المُستأجرة. فعلتُ ذلك بِضَجَّةٍ، حتى تُخَبِّرَهُ أذناه بالكثير عن خالِقِهِ، حتى لو كان غيرَ رَاغِبٍ في استعمال عَيْنَيْهِ. صَفَعْتُ البابَ بِشِدَّةٍ. وفيما اتَّجَهْتُ ناحِيَتَهُ من جهة سائق السيارة، أدْرْتُ قَدَمِي قَلِيلًا؛ حتى لا تبدو خطواتي مُتَعَمِّدَةً فقط، بل حازِمةً أيضًا.

وَقَفْتُ بأطرافِ حِذَائِي على حافة نطاق البَصْرِ الضَّيِّقِ لعَيْنَيْهِ المُسَبَّلَتَيْنِ. قلتُ بِرِقَّةٍ: "مستر تراوت، أنا أُحِبُّكَ. لقد حَطَّمْتُ عَقْلَكَ إلى فُتَاتٍ، وأودُّ جَعْلَهُ كَامِلًا. أريدُكَ أن تشعر بالكمال وبالتناغم الداخلي كما لم أسمح لك أن تفعل من قبل. أريدُكَ أن تفتح عَيْنَيْكَ، وتنظر لِمَا أَحْمِلُهُ في يدي".

لم يكن في يَدِي شيء، لكن بِقُدْرَتِي على تراوت كنتُ أستطيع جَعْلَهُ يرى أيَّ شيءٍ أَرَدْتُهُ أن يراه. كنتُ لأَجْعَلُهُ يرى هيلين طروادة مَثَلًا لو أَرَدْتُ، فقط واحدة بطول سِتِّ بوصاتٍ.

قلتُ: "مستر تراوت، كيلجور، أحمل في يدي رمزًا للكمال والتناغم والغذاء. إنه شَرْقِيٌّ في رَمَزِيَّتِهِ، لكننا أمريكيون يا كيلجور، لا صينيِّين. نريد نحن الأمريكيين من رموزنا أن تكونَ غَنِيَّةَ الألوان وثَلَاثِيَّةَ الأبعاد ومُفَعَّمَةً بالعصارة. والأهم من ذلك، نتوق إلى رُمُوزٍ لم تُسَمِّمْها الدُّنُوبُ العُظْمَى التي ارتكبتها أُمَّتُنَا، مثل العبودية والإبادة الجماعية وإهمال الجريمة، أو الجَشَعِ والمكْرِ التَّجَارِي البغيض".

قلتُ: "انظُر يا مستر تراوت"، وانتظرتُ بِصَبْرٍ.

"كيلجور...؟".

نظر الرجل العجوز، وكان له وَجْهُ أَبِي الضائع عندما بات أرملاً،
عندما بات في أَرْدَلِ العُمر.

رأى أن ما أحمله في يدي كان تُفَاحَةً.

قلتُ: "أنا أقترِب من عيد ميلادي الخمسين يا مستر تراوت، أنا
أُتَهِر وأُجَدُّد من نفسي لأجل السنوات القادمة المختلفة عمَّا سبق. في
ظروفي رُوحِيَّةٌ مُشَابِهَةٌ، حَرَّرَ الكونت تولستوي أِقْنَانَهُ، وأطلق توماس
چيفرسون سراحَ عبيده. أنا سَأَمْنَحُ الحُرِّيَّةَ لِكُلِّ شَخْصِيَّاتِي الأدبية، التي
خَدَمْتَنِي بولاءٍ شَدِيدٍ على مدار رحلتي في الكتابة.

أنتَ الوحيد الذي أُخِبرُهُ بذلك. أمَّا البقية، فالليلة بالنسبة لهم
ستكون مثل أيِّ لَيْلَةٍ أُخْرَى. انهض يا مستر تراوت، أنتَ حُرٌّ، أنتَ
حُرٌّ".

نهَضَ مُتثاقلاً.

كنت لأصافحه، لكنَّ يَدَهُ اليمنى كانت مُصَابَةً؛ لذا ظلَّت أيادينا
مُتَدَلِّيَةً بجوارنا.

قلتُ: "رحلة سعيدة"، واختفيت.

مكتبة

t.me/t_pdf

أخذت أتقلَّب بتكاسلٍ ومُتَعَةٍ في الخواء، وهو المكان الذي أختبئُ
فيه عندما أتجرَّد من وجودي المادي. أخذتُ صيحات تراوت عليَّ
تتلاشى بينما تتباعدُ المسافة بيننا.

صوته كان صوتَ أبي. سَمِعْتُ أَبِي. ورأيتُ أُمِّي في الخواء. ظَلَّتْ أُمِّي
بَعِيدَةً، بَعِيدَةً جِدًّا؛ لأنها تَرَكَّتْ لي إرثًا من الانتحار.

مرآة يَدٍ صغيرة طَفَّتْ بِالْقُرْبِ مِنِّي. كانت مَسْلَكًا، ذات مقبضٍ
وَإِطَارٍ مِنَ اللَّوْلُو. أَمَسَكْتُهَا بِسَهْوَةٍ، رَفَعْتُهَا أَمَامَ عَيْنِي اليمنى، التي
تبدو كتلك:



هذه كانت صِيحَاتِ كيلجور تراوت عليَّ بِصَوْتِ أَبِي:
"اجْعَلْنِي شَابًّا، اجْعَلْنِي شَابًّا، اجْعَلْنِي شَابًّا!"

الخ!

مكتبة
t.me/t_pdf

نبذة عن المؤلف

كورت فونيغت جونيور (1922 - 2007) هو أحد أهم الكُتاب الأمريكيين في القرن العشرين. عُرف باستخدامه المميز للكوميديا السوداء وتقنيات رواية ما بعد حداثة، وأدوات من الخيال العلمي والفانتازيا، لإبراز مفارقات القرن العشرين وأهواله. من أشهر أعمال فونيغت (إفطار الأبطال) و(المذبح رقم 5) و(صافرات تايتنز).

مكتبة

t.me/t_pdf

نبذة عن المترجم

محمد أ. جمال

(يهدف حرف الألف والنقطة لتمييز الاسم عن آلاف الـ "محمد جمال" الآخرين، وتجنّب كتابة الاسم الكامل "محمد أحمد جمال" الذي يزيد المُوَلَّف رتابةً؛ فيُصِيب قارئاً مُحتمَلاً بالملل قبل -حتّى- فتح الغلاف).

روائيٌّ، ومترجم سَكندريٌّ، من مواليد عام الزلزال، 1992، صدرت له رواية "كتاب خيبة الأمل"، الحائزة على جائزة أخبار الأدب الأولى عام 2017، ورواية (طيران)، وعدة ترجمات من الإنجليزية، من بينها ترجمة كتاب "جوزيف كامبل- البطل بألف وجه".

يُجيدُ صنَع القهوة، وركوب الدراجات الهوائية، والمُماطلة. ولا يجيد ارتداء ربطات العُنُق.

"هذه حكاية لقاء عجوزين وحيدَيْن نحيفين
بيض البشرة، على كوكب يحتضر بسرعة.
أحدهما كان كاتب خيال علمي يدعى كيلجور
تراوت، وكان آنذاك نكرة، يحسب حياته قد
انتهت. لكنه كان مخطئاً. فنتيجة لذلك
اللقاء؛ صار من أكثر الشخصيات المحبوبة
والمبجلة في تاريخ البشر.
والرجل الذي قابله كان تاجر سيارات بوتنيك
يدعى دواين هوفر. دواين هوفر كان على
حافة الجنون."



كورت فونيجت جونيور (1922 - 2007)،
أحد أهم الكتاب الأمريكيين في القرن
العشرين. عُرف بالكوميديا السوداء وتقنيات
السرد ما بعد الحداثيّة واستخدام الخيال
العلمي والفانتازيا لإبراز مفارقات القرن
العشرين وأهواله

"مذهلة... [فونيجت] يستعرض الاتهامات
الموجهة لأمريكا، ويجعلها تبدو طازجة،
مضحكة، مريضة، مكروهة، ومحبوبة" -
نيويورك تايمز
"جامحة وعظيمة... فونيجتية بامتياز" -
بابلشرز ويكلي

